

# السيرة النبوية

## قصة المولد

تأليف

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

تحقيق  
أ.د. نجم الدين خلف الله

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



دار السلام للنشر والتوزيع  
تونس

# السيرة النبوية

## قصة المولد

تأليف

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

تحقيق

أ.د. نجم الدين خلف الله

دار السلام

للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة



دار السلام للنشر والتوزيع  
تونس

## كافة حقوق الطبع والنشر والترجمة محفوظة

--- للناسـر ---

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والتجديد

دار السلام للنشر والتوزيع  
تونس

بطاقة فهرسة : فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية - إدارة الشؤون الفنية .

ابن عاشور ، محمد الطاهر .  
السيرة النبوية : قصة المولد / تأليف محمد الطاهر ابن عاشور ؛ تحقيق نجم الدين خلف الله - القاهرة : دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ٢٠١٥ م .  
٢٠٨ ص ؛ ٢٤ سم .  
١ - السيرة النبوية .  
تدمك ٣ ٢٥٢ ٧١٧ ٩٧٧ ٩٧٨  
أ - خلف الله ، نجم الدين .  
ب - العنوان .  
٢٣٩  
نشر مشترك

بعقد رسمي من ورثة المؤلف

الطبعة الثانية

١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م



دار السلام للنشر والتوزيع  
تونس

10 مكرر - نهج هولاندة ( 1000 ) تونس  
الهاتف : 71256435 - 216 +  
71253456 - 216 +  
71253839 - 216 +  
الفاكس : 71352926 - 216 +  
sounoun@orange.tn

دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والتجديد

القاهرة - جمهورية مصر العربية

الإدارة : القاهرة : ٤٠ شارع أحمد أبو العلا - المتفرع من شارع

نور الدين بهجت - الموازي لامتداد شارع مكرم عبيد -

مدينة نصر

هاتف : ٢٢٨٧٣٢٤٦ - ٢٢٧٠٤٢٨٠ - ٢٢٧٤١٥٧٨ (٢٠٢ +)

فاكس : ٢٢٧٤١٧٥٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الأزهر : ١٢٠ شارع الأزهر الرئيسي -

هاتف : ٢٥٩٣٢٨٢٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع مدينة نصر : ١ شارع الحسن بن علي متفرع

من شارع علي أمين امتداد شارع مصطفى النحاس -

مدينة نصر - هاتف : ٢٠٨٠٢٨٧٦ (٢٠٢ +)

فاكس : ٢٠٨٠٢٦٨٠ (٢٠٢ +)

المكتبة : فرع الإسكندرية : ١٢٧ شارع الإسكندر الأكبر -

الشاطي بجوار جمعية الشبان المسلمين

هاتف : ٥٩٣٢٢٠٥ فاكس : ٥٩٣٢٢٠٤ (٢٠٣ +)

بريدنا : ص.ب ١٦٦ الغورية - الرمز البريدي ١١٦٣٩

البريد الإلكتروني : info@dar-alsalam.com

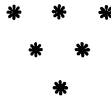
موقعنا على الإنترنت : www.dar-alsalam.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فِهْرِسُ الْمَحْتَوِيَاتِ

٥	- مقدمة المحقق
٢٩	- بُدَّة عن حياة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
٣٧	* قصَّة المولد ( للشيخ ابن عاشور )
٣٩	- ديباجة
٤١	- مُقَدِّمَة
٤٧	- نَسَب رسول الله ﷺ
٥٢	- طَهَارَة النَّسَب الشَّرِيف
٥٥	- مَوْلد الرسول ﷺ
٥٨	- نَشَأته ﷺ
٦٤	- بَعثته ﷺ
٧١	- الهِجْرَة
٧٥	- ظهور الإسلام في المدينة
٧٧	- الغزوات
٧٩	- شَأْنُ رسولِ الله ﷺ
٨٢	.....

- ١١٢ ..... - المَقْصِدُ العَظِيمُ مِنَ الهِجْرَةِ
- ١١٨ ..... - الرِّسُولُ ﷺ وَالْإِرْشَادُ ( ١ )
- ١٢٨ ..... - الرِّسُولُ ﷺ وَالْإِرْشَادُ ( ٢ )
- ١٣٤ ..... - الرِّسُولُ ﷺ وَالْإِرْشَادُ ( ٣ ) ..
- ١٤٠ ..... - وَفُودُ العَرَبِ فِي الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ( ١ )
- ١٤٩ ..... - وَفُودُ العَرَبِ فِي الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ( ٢ )
- ١٥٤ ..... - وَفُودُ العَرَبِ فِي الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ( ٣ )
- ١٦٠ ..... - وَفُودُ العَرَبِ فِي الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ ( ٤ )
- ١٦٩ ..... - الشَّمَائِلُ المَحْمُودِيَّةُ
- ١٧٧ ..... \* الفَهَارِسُ
- ١٧٩ ..... - فَهْرَسُ الآيَاتِ القُرْآنِيَّةِ
- ١٨٥ ..... - فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ
- ١٨٩ ..... - فَهْرَسُ الْأَعْلَامِ
- ١٩٤ ..... - فَهْرَسُ الوَقَائِعِ
- ١٩٩ ..... - فَهْرَسُ المِصْطَلِحَاتِ
- ٢٠١ ..... - فَهْرَسُ المِصَادِرِ وَالْمِرَاجِعِ
- ٢٠٦ ..... \* نَبْذَةُ عَنِ المَحْقَقِ



## مُقَدِّمَةُ الْمُحَقِّقِ

يسعدنا أن نقدم للقارئ الكريم هذه الطبعة الجديدة، المحققة لنصّ - من نصوص الشيخ الطاهر ابن عاشور - نادرٍ. ومن المفارقات أن هذا النص - على إيجازه وأهميته - لم يلق من لدن الباحثين العناية الكافية مع أنه يتناول سيرة الرسول ﷺ، وأهمّ الأحداث التي ميّزت حياته، قبل البعثة وبعدها، ويعلم الجميع مدى مركزية مفهومي: النبوءة، الرّسالة، في الفكر الإسلامي، قديمه وحديثه، ذلك الفكر الذي جال في مختلف أرجائه يراعُ الشيخ ابن عاشور من خلال تفسيره، ومؤلفاته الأخرى التي تناهز الأربعين. يحمل هذا النص النادر عنوان: « قصة المولد » وهو عنوان دال، يكشف طبيعة الجنس الأدبي - التاريخي الذي ينتمي إليه، والذي أدرج الكاتب فيه رسالته. وهذه أولى المسائل التي نودّ تحليلها في هذا التّقديم الموجز:

### ١ - الجنس الأدبيّ:

تتوزّع النصوص التي تتناول سيرة الرسول موضوعاً، إلى ثلاثة أجناسٍ كبرى، متغايرة الغاية، متباينة الوظيفة، ومختلفة الأسلوب: « المولدية »، السّيرة النبوية، والتمحيص التاريخي. ولنقلّ ابتداءً: إنّ « قصة المولد » التي نقدّمها اليوم هي جماع هذه الأجناس الثلاثة، ومزج - بين أساليبها - متوازن<sup>(١)</sup>:

أ - فالمولد أو « المولدية » - كما يطلق عليها في السجّل الأدبي - هو نصّ إنشاديّ، يغلب عليه السجع، وتتخلله المدائح والأشعار، وغالباً ما ينشد خلال الاحتفال بالمولد النبويّ، ويتخلّل تلاوته أناشيد وأهازيج. ويتّسم مضمونه بطابع التمجيد لفضائل النبيّ وشيمه، ومعجزاته<sup>(٢)</sup>، وكذا الإرهاصات التي سبقت مبعثه.

(١) لتدقيق النظر في نظرية الأجناس الأدبيّة، والفوارق بين « الأجناس التجريبية » و« الأجناس النظرية » في إطار « النبويّة والأجناس الأدبية » انظر:

D. Combe, Les genres littéraires, Hachette, Paris, 1992, ( pp. 123 - 132 ).

وللتعريف بمفهوم « الجنس الأدبي » وآفاقه التاريخية يمكن النظر مثلاً في:

Y. Stalloni, Les genres littéraires, Dunod, Paris, 1997, ( pp. 9 - 16 ).

(٢) يمكن مقارنة « المولدية » كمكوّن أدبي وثقافي حيث تتجلى سلطة السارد على الأحداث التاريخية بمسار الذاتية السردية الخاص بنشأة الرواية في الأدب الفرنسي في العصر الوسيط، لا سيما ما تعلق بصورة المسحج المستلهمة من آثار الماضي الديني، انظر: M. Zink, La subjectivité littéraire, éd. PUF, 1985, ( pp. 1 - 39 )

وأشهر الموالد المنتشرة في المغرب الإسلامي، ومصر والشام، موالد المناوي، والبرزنجي، وابن الديبع، وابن دحية... ولكن أقربها تاريخياً إلى كاتبنا هو المولد الذي صاغه الفقيه المالكي الشيخ إبراهيم الرياحي<sup>(١)</sup>، مختصراً فيه « مولد المصطفى » للبكري<sup>(٢)</sup>.

ب - وأما السيرة النبوية فهي جنس أدبي تاريخي عريق، يضرب بجذوره العميقة فيما كتبه أولاً المؤرخ ابن إسحاق<sup>(٣)</sup>، وما هذبته منه ابن هشام - وهو المعروف بسيرة ابن هشام<sup>(٤)</sup> - ثم عرف أشكالا مطولة مع ابن سعد في طبقاته<sup>(٥)</sup>، والطبري في: تاريخ الرسل والملوك<sup>(٦)</sup>، والبلاذري في: أنساب الأشراف<sup>(٧)</sup>، ومن جاء بعدهم مثل السهيلي في: الرّوض الأنف<sup>(٨)</sup>، وزيني دحلان، في سيرته<sup>(٩)</sup>. ويتّسم هذا الضرب من الكتابة الدينية التاريخية بالشمول وذكر سائر الأحداث والتفاصيل والأشخاص الذين يتصلون بالنبي ﷺ<sup>(١٠)</sup>.

(١) إبراهيم الرياحي، تعطير النواحي بترجمة العلامة إبراهيم الرياحي ( ٢ / ٢ - ١١ )، وهو من تأليف حفيده السيد عمر بن محمد بن علي الرياحي، طبعة المكتبة العتيقة، تونس. وقد ألفه سنة ( ١٨٤١ م ).  
(٢) يصعب إعطاء القائمة الكاملة لهذه المولديات وأشهرها: النعمة الكبرى في مولد سيد الأنام لابن حجر الهيتمي، الهدي التام في موارد المولد النبوي وما اعتيد فيه من القيام، محمد علي بن حسين المالكي، بشائر الأخيار في مولد المختار ﷺ، حسن المقصد في عمل المولد، جلال الدين السيوطي، خلاصة الكلام في الاحتفال بمولد خير الأنام، عبد الله بن الشيخ أبو بكر بن سالم، المولد العثماني المسمى الأسرار الربانية لمحمد عثمان الميرغني، مظهر الكمالات في مولد الكائنات، سلامة الرضا، الانتاجات الأحدثية، النفاذ السريعة في مولد خير البرية، لجمال بن عبد الك

ومن المعلوم، أنّ هذا الجنس - على أهمّيته - لم يخلُ من الأخبار الواهية والأشعار الزائفة، لذلك تعامل معها المحدثون والمؤرّخون - القدامى منهم والمحدثون - بكثيرٍ من الحذر والاحتياط<sup>(١)</sup>.

ج - وأما الجنس التاريخي المحض فهو استعادةٌ تمحيصية نقدية دقيقة لما ورد في كتب السيرة النبويّة من الأخبار، ولعلّ ابن سعيد من أشهر من اتّسم بهذه الروح في العصور الوسطى<sup>(٢)</sup>. وهشام جعيط من مؤرّخي تونس المعاصرين<sup>(٣)</sup>. وغاية هذا الضرب من الكتابة تمحيص الأخبار وتخليصها ممّا علق بها من تزيّادات القصّاص وأوهام الأدباء وتضخّميات الرواة، وفيه أيضًا تمشُّ منهجيٌّ لفهم الأحداث وإدراك تسلسلها الزمني فاقتراح تعليقاتٍ تاريخيّة لها.

والملاحظ أيضًا أنّ الشيخ ابن عاشور قد راوح بين أساليب هذه الأجناس الثلاثة في كتابه هذا، فكان حديثه مرّكزًا على الشمائل والفضائل، مفتتحًا بجملٍ يغلب عليها أسلوب السجع، كما تقصّى فيه كل مظاهر السيرة النبوية وأحداثها منذ الولادة، والرضاعة، والطفولة، وفترة الشباب فالبعثة، ثم الهجرة مع ذكر أهمّ الوقائع التي تخلّلتها.

والملاحظ أيضًا أن الشيخ التزم أسلوب التمييز والتمحيص، فلم يذكر من الأحداث والمعطيات إلا ما ثبت وتواتر في الصّحاح، وما رجح عند علماء السنة الأشاعرة في حالة الاختلاف.

والغالب على الظنّ - وإن لم يكن لنا في الوقت الراهن القدرة على الجزم بذلك - أن هذه الوثيقة هي نصّ محاضرة أو مسامرة، ألقاها الشيخ ابن عاشور على رؤوس الملاء، ربّما في جامع الزيتونة، بمناسبة المولد النبوي الشّريف، وذلك في حدود العقد الثالث أو الرابع من القرن العشرين.

وما من شأنه أن يقوّي هذه الفرضيّة، جملة من العناصر المتداخلة:

(١) انظر أيضًا: انتقادات المدرسة التاريخية بقيادة طه حسين، وأحمد أمين.

(٢) انظر:

La vie de Muḥammad, La Prédication prophétique à La Mecque, ( pp. 30 - 39 ). Ed. Fayard 2008.

(٣) La vie de Muḥammad, La prédication prophétique à La Mecque, Ed. Fayard 2008.



أ - الإيجاز الشديد الذي تناول به سائر أحداث السيرة النبوية (مثل: الإسراء والمعراج، الغزوات، حجة الوداع، فتح مكة...) على أنه عاد إلى تلك الوقائع، ولا سيما في تفسيره: التحرير والتنوير - الذي استغرق تأليفه طيلة خمسين سنة - وفصّل فيها القول تفصيلاً، وأشبعها تحقيقاً وتمحيصاً. وهذا الاختصار الشديد لهو من لوازم المحاضرات العامة التي تلقى في حيز من الزمن ضيق.

ب - افتتاحه الكتاب بدباجة مسجوعة، تقرب في أسلوبها من دبّابج الخطب والمحاضرات الشفوية وتذكّر بما في الخطابة من الوسائل البلاغية والتأثيرية.

ج - ختم النص بالدعاء لسائر الحاضرين، وفيه سأل الله: «أن يعيد على المسلمين من بركات هذا اليوم، كما منحهم في أصله، وأن يكتبنا - في اجتماعنا له وتفارقنا إثره - مع الذين يظلمهم الله بظلمه»<sup>(١)</sup>. وهو ما يوحي بوجود اجتماع في جامع الزيتونة - أو في غيره من المعالم الدينية - بمناسبة ذكرى المولد النبوي، وفيه تُذكر الشمائل وتُشدّ القصائد، كما جرت بذلك العادة منذ عهد البايع الحسيني أحمد باشا باي (١٨٣٧ - ١٨٥٥ م) إلى يوم الناس هذا<sup>(٢)</sup>.

د - التركيز على الفضائل والشمائل النبوية، وذلك بغرض إظهار الفرادة المحمّدية. واتبّع في هذه المحاضرة منهج التحقيق في رواية سيرة النبي ﷺ، بطريقة شديدة الاختصار ولكنها تتضمن أهم المعلومات الضرورية. وقد اكتفى فيها الشيخ بما صحّ من الأخبار متّبعاً في ذلك المنهج الذي رسمه في كل ما ألف وهو تلافي الأخبار الضعيفة.

٢ - تاريخ الكتابة:

إنّ اطلاعنا على مجموع المقالات - التي كتبها الشيخ، ولا سيّما تلك الواردة في المجلة الزيتونية<sup>(٣)</sup> ومجلة الهداية، والهداية المصرية - والتي تمثل في جملتها لحمّة قصة المولد ومادّته الأساسية - يضعنا أمام فرضيات ثلاث:

(١) قصة المولد.

(٢) أحمد بن أبي الضياف، إنحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (٤ / ٥٣، ٥٤) طبعة وزارة الثقافة.

(٣) للتعريف بالمجلة الزيتونية وتوجهها الأدبي يمكن النظر في:

الأولى: أن « قصة المولد » هي تلخيصٌ موجزٌ لمجموع تلك المقالات وتهذيبٌ لموادها، بإضافة أجزاء إليها وحذف أخرى، اعتماداً على تلك المقالات المكتوبة على مدى سنواتٍ متقاربة بين (١٩٢٩ - ١٩٣٣ م).

الثانية: أن هذه المقالات الموسّعة إنّما هي تحريراً معمقاً للأفكار العامة المُجمّلة التي وردت في قصة المولد، أي إنّها كتبت بعدها للفصل في المسائل التي وردت بشكلٍ مقتضبٍ، ودون برهنة كافية؛ لأنّها كتبت لتلقى على مسامع جمهورٍ عريضٍ من المحفّلين بالمولد النبوي - في أحد جوامع أو جمعيات العاصمة التونسية - فالنص يتوجّه إلى أفقٍ انتظار عامٍّ، غير متخصصٍّ، لا يناسبه التعمّق في المسائل الخلافية والجدلية. فهو أشبه ما يكون بخطبةٍ شفوويةٍ، تلقى على مسامع الحاضرين، تؤثّر فيهم وتذكرهم فضائل تلك المناسبة، مما يعطي الخطاب وظيفةً تأثيريةً مباشرة.

الثالثة: ومفادها أنّ الشيخ الطاهر ابن عاشور لم يضع هو بنفسه قصة المولد على هذا النحو الذي وصلنا في طبعة (١٩٧٢ م). وإنّما نجده الشيخ الفاضل ابن عاشور (١٩٠٩ - ١٩٧٠ م) هو الذي تولّى تلخيص سلسلة مقالات والده حول السيرة ونظمها على هذا التسلسل والترتيب. وربّما يكون هو من أضاف التمهيّد التاريخي - وقد صدر له باسمه في المجلة الزيتونية<sup>(١)</sup> - وهذا ما يدعّمه قول الشيخ الحبيب ابن الخوجة بأنّ الشيخ الفاضل هو الذي لخصّ قصة المولد، ولكنه لم يذكر مصدره<sup>(٢)</sup>، ولهذا السبب جمع تلخيصه مع رسالته المسماة: « كشف الدّعرات في وصف الشعرات » في مصنّفٍ واحدٍ<sup>(٣)</sup>. ولم يتمكن من الاطلاع على هذا « التلخيص » إن كان عملاً مختلفاً. كما ذكر احتفاء طلبة الشيخ بهذه الرسالة باستنساخها والاستفادة منها، وهذا غير بعيد بالنظر إلى قصرها ودسامة موادّها. ولكن، وفي الوقت الراهن لأبحاثنا، لا يسعنا - مع الأسف - تأكيد أيّة من هذه الفرضيات الثلاث.

على أننا نسجل - فيما يتصل بزمن الكتابة - غياب أيّة إشارة إلى السياق التاريخي الذي عاش فيه المؤلّف، على غرار ما انتهجه في كل مصنّفاته رغم غزارتها. ويبدو

(١) الشيخ الفاضل ابن عاشور، كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الشام؟ وقد صدر هذا البحث بنفس العدد الخاص بالمولد في المجلة الزيتونية عدد (٩) سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (١ / ٤٦٢ - ٤٦٦).

(٢) محمد الحبيب ابن الخوجة، محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية (١ / ٣٢٥).

(٣) قصة المولد، طبعة الدار التونسية للنشر (١٩٧٢ م).

أنَّ الشيخ جعل من هذا الارتفاع عن سياقه التاريخي الآني مبدأً في الكتابة؛ فهو لا يشير إلا نادراً إلى نصوص المعاصرين والعلماء المُحدثين.

ومن اللافت أيضًا أن لا نجد في هذه القصة أدنى صدَى لما شاع من كتب السيرة الحديثة - على الأقل - تلك التي كتبت في النصف الأول من القرن العشرين وما ذاع فيها من نقدٍ تاريخي، متولّد عن مؤلفات المستشرقين وأعمالهم السائدة آنذاك. وقد شهدت هذه الفترة ظهور سير عديدة كتبها أدباء ومؤرخون وصحافيون، كان هاجسهم الأول القراءة النقدية لأحداثها بالاعتماد على المنهج العقلي - الذي قد نعتبره اليوم مبسّطاً وبدائيّاً، ومنها نخص بالذكر: محمد النبي البشير، لتوفيق الحكيم<sup>(١)</sup>، على هامش السيرة لطله حسين<sup>(٢)</sup>، وعبقريّة محمد، لعباس محمود العقاد<sup>(٣)</sup>...

وليس من المجازفة القول: إنّ « قصة المولد » لابن عاشور تدخل في نفس الإطار العام، مع فاروق كبير وهو أنها تعتمد المنزع العقلي التراثي، ( وليس العقلانية الاستشراقية )، القائم على نقد الأسانيد والمتون، والتوقف دون الأخبار الواهية، ومكافحة أحاديث الآحاد بقواعد الاعتقاد... ولكن ابن عاشور يشترك مع معاصريه في استعمال الأسلوب الأدبي الرفيع.

### ٣ - مضامين الكتاب:

تتألف هذه القصة على قصرها من:

#### ١ - ديباجة<sup>(٤)</sup>:

افتتحت الرسالة بحمد الله، والصلاة والسلام على النبي ﷺ، وهذا - كما هو معلوم - عادة خطابية قديمة في استهلال الخطب والكتب. وقد ارتبط حمد الله هنا بإرساله النبي رحمة، كما ضمّن الشيخ افتتاحه هذا عديد الآيات، وأتبع فيه أسلوب السجع تشويقاً للقراءة وترغيباً فيها ( ونشير إلى أنّ هذا العنوان هو من وضعنا نحن ).

(١) توفيق الحكيم، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع (١٩٨٤ م).

(٢) طه حسين، على هامش السيرة، دار المعارف.

(٣) عباس محمود العقاد، عبقرية محمد، المجموعة الكاملة، دار الكتاب المصري (١٩٩٤ م).

(٤) قصة المولد.

٢ - مقدمة<sup>(١)</sup>:

وهي تمهيد طويلٌ إلى حد ما بالنظر إلى حجم الرسالة: أعلن فيه موضوع الكتاب، والمنهج المتوخى في صياغته، مُشدِّدًا فيه ضرورة الاقتصار على الصحيح من الأخبار، والتنكُّب عن الضعيف الواهي منها. وفي هذا التمهيد شرَّع الشيخ للاحتفاء بالمولد النبوي، والاعتناء به، كما ذكَّر في نهايته بتاريخية الاحتفال بالمولد منذ القرن الثاني عشر في بلاد الإسلام، مع التركيز على مسلك بلاد الغرب الإسلامي عمومًا، والإيالة التونسية في العصر الحسيني خصوصًا (١٧٠٥هـ / ١٩٥٧م).

٣ - نسب رسول الله ﷺ<sup>(٢)</sup>:

ويأتي بعد ذلك تعدادٌ صارمٌ لأسماء أجداد النبي، لأبيه وأمه، توقَّف فيه عند حدود عدنان، الجدَّ العشرين للنبي ﷺ. وذكر خلال ذلك بعض المعلومات التاريخية التي جزم بصحتها حول وفاة والدي النبي ﷺ، وزيارته لقبر والدته في الأبواء.

٤ - طهارة النسب الشريف<sup>(٣)</sup>:

ثم يأتي فصلٌ حجاجيٌّ - برهانيٌّ، دافع فيه الشيخ عن طهارة النسب النبوي، وخلوصه من مناقص تمس صفاء النسب وزكاهه، ثم ناقش أمر ديانة أبوي الرسول ﷺ، مبينًا أن الدين ليس ثالمًا لشرف العنصر، مدافعًا عن حنفيَّتهم، وداعيًا - في النهاية - إلى وجوب تأويل الحديث الوارد في صحيح مسلم، حول مصيرهما الأخروي، فكان الشيخ هنا متكلمًا مجادلًا أكثر منه مؤرخًا.

٥ - مولد الرسول ﷺ<sup>(٤)</sup>:

ضبط الشيخ في هذا الفصل تاريخ ميلاد النبي ﷺ باليوم والسنة، وذكر اسم قابلته، ثم قام بتحقيق دقيق لمكان ولادته، وإقامته بمكة قبل الهجرة، ومتابعة لمآل تلك الدار حتى العصر العثماني، أي إلى حدود سنة (١٠٠٩هـ / ١٦٠٠م).

٦ - نشأته ﷺ<sup>(٥)</sup>:

وهذا فصلٌ طريفٌ يتناول سيرة النبي ﷺ قبل البعثة، من رضاعته إلى اختلائه في غار حراء، لما بلغ سن الأربعين، وفيه عودٌ إلى أهم الأحداث التي تخلَّلت هذه المدة مثل حرب الفجار، وزواجه من خديجة، وتحكيمه في وضع الحجر الأسود موضعه...

٧ - بعثته ﷺ<sup>(١)</sup>:

وفي هذه البعثة وصف بدء نزول الوحي وأوائل ما تلقاه النبي من الآي والسور، ثم تصويراً لموقف المشركين ومساعدتهم للقضاء على الدعوة الإسلامية في مهدها، ثم عرض لسائر الأحداث الموالية حتى حصول البيعتين الأوليين.

٨ - الهجرة<sup>(٢)</sup>:

هذا الفصل من أطول فصول « القصة »، وصف فيه المؤلف هجرة النبي وما فعلته قريش في ملاحقته معتمداً في ذلك على الحديث الطويل، المروي في صحيح البخاري، وتخلص بعدها إلى وصف انتظار المؤمنين له في المدينة، واستقبالهم الكبير له، ثم تحدث عن الأشهر الأولى في المدينة، علماً بأن الشيخ خصص مقالاً آخر، استنبط فيه عشرة مقاصد للهجرة، استنبطها بحسب المقاصدي<sup>(٣)</sup>.

٩ - ظهور الإسلام في المدينة<sup>(٤)</sup>:

تناول الشيخ في هذا الفصل بالحديث انتصار الإسلام في الطور المدني (٦٢٢ - ٦٣٢ م)، بعد استقرار النبي بالمدينة، ثم ظهور فئة ما عرف في تاريخ الإسلام الأول: بالمنافقين، ثم تطرق إلى عملية المؤاخاة التي أنجزها الرسول بين المهاجرين والأنصار، وأخيراً أشار إلى طرق تصرف النبي كقائد للأمة وبان للدولة، بعد اتساع نزول شرائع الإسلام.

١٠ - الغزوات<sup>(٥)</sup>:

هذا الفصل لا يدل عنوانه على كل مضمونه بدقة، فهو لا يصف الغزوات فقط، بل ضمّن الشيخ المقاصد منها واقتصر على غزوة الأحزاب، ثم توسّع بعد ذلك في ذكر الوفود التي قدمت على النبي في المدينة، خلال سني حياته الأخيرة (علماً أنّ الشيخ خصص أربع مقالات في مجلة الهداية التونسية لتعداد الوفود<sup>(٦)</sup>)، ثم ختم هذا الفصل بالحديث عن حجة الوداع، وخطبتها الشهيرة.

(١) قصة المولد.

(٢) ابن عاشور، المقصد العظيم من الهجرة، المجلة الزيتونية (العدد ٣)، (٣ / ٩٤ - ٩٧). بتاريخ محرم ١٣٥٨ هـ / مارس ١٩٣١ م.

(٣) (٤، ٥) قصة المولد.

(٤) وفود العرب في الحضرة النبوية، الهداية في (٥) أعداد: مارس (١٩٧٨ م) (ص ٢٥ - ٣٠)، مايو (١٩٧٨ م) (ص ٥١ - ٥٤)، سبتمبر (١٩٧٨ م) (ص ١٧ - ٢١)، نوفمبر (١٩٨٢ م) (ص ١٧ - ٢١)، يناير (١٩٨٣ م) (ص ٤١ - ٤٥).

١١ - شأن رسول الله ﷺ<sup>(١)</sup>:

يمكن بلِّغتنا العربية المعاصرة ترجمة هذا العنوان بنمط الحياة اليوميّة للرسول<sup>(٢)</sup>. ففي هذا الفصل تطرّق الشيخ - على غير عادة السابقين من كتّاب السيرة - إلى كيفيات تقضية النبي ﷺ ليومه وليلته، وذلك بإيجاز بديع: فذكر مجالسه، وتقسيمه لوقته ثلاثة أجزاء، ولباسه وسائر أغراضه الشخصية، حسبما ورد في الصحاح.

١٢ - أزواج رسول الله ﷺ وأبناؤه<sup>(٣)</sup>:

كان حديث الشيخ عن الأزواج والأبناء مجرد تعداد لأسمائهم بهدف التأريخ وذكر معلومات اسمية مدققة دون الخوض في أي تفصيل من التفاصيل الأخرى، رغم أهميتها وما أسألته من الحبر. ويكفي أن نقارن ما ورد في هذا الفصل بما كتبه العقّاد في نفس الموضوع<sup>(٤)</sup>.

١٣ - شمائله وأخلاقه ﷺ<sup>(٥)</sup>:

وهذا الفصل فصلٌ مدقّق، يعرض فيه الكاتب لجملة الأوصاف الخلقية والخُلقيّة للنبي، ويركّز فيها على سمات الجمال الجسدي والكمال الأخلاقي، كما رسمتها الذاكرة الجماعية حسبما تواتر في فصول الشمائل المحمديّة. وقد تناول هذا المحور في مقالٍ خاصّ نقد فيه طرق أحاديث الشمائل وأسانيدها<sup>(٦)</sup>.

١٤ - أسماؤه الشريفة<sup>(٧)</sup>:

اختتم الشيخ رسالته بفصلٍ قصير، خصصه لشرح معاني أسماء النبي بالاعتماد على الحديث المروي في موطأ الإمام مالك. ويرى الشيخ أن هذه الأسماء إنّما هي صفات

(١) قصة المولد.

(٢) « نمط الحياة اليومية » يسمّى اصطلاحاً في الفرنسية « Le quotidien » وقد أطلق عليه الأستاذ الدكتور عمر الإمام في عمله المتعلق بالسنة الشعرية تسمية: « شؤون الحياة اليومية »، تجسيماً لوظيفتها الإنشائية المنفتحة على كل ما هو هامشي في الحياة في إطار نظام أدبي موحد، انظر: عمر الإمام، السنة الشعرية في العصر الأموي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، المطبعة الرسمية، تونس (٢٠٠٨م) (ص ٥١٩ - ٥٢٤).

(٣) قصة المولد.

(٤) عباس محمود العقّاد، عبقرية محمد (١ / ٩٩ - ١٢٦)، المجموعة الكاملة، دار الكتاب المصري (١٩٩٤م).

(٥) قصة المولد.

(٦) ابن عاشور: الشمائل المحمديّة، المجلة الزيتونية (عدد ٩) (١٣٥٦هـ / ١٩٢٩م) (ص ٤٥٢ - ٤٥٦).

(٧) قصة المولد.

تتحقق - في صورتها الفضلى - في شخص النبي ﷺ. ويتنزل هذا الشرح - على إيجازه - في تصورٍ كلاميٍّ عامٍّ، مفاده: أن الاسم والمسمى متطابقان، وأن الاسم صفةٌ للموصوف، فيه تتجسد أعلى معاني ذلك الاسم. ولذلك شرح الشيخ أسماء النبي الخمسة لبيان مدى حملها لمعانيها السامية. وهي طريقةٌ لطيفةٌ لإبراز تجليات الفرادة النبوية.

ولأهمية هذا الموضوع في الفكر العاشوري، عاد إليه الشيخ بالشرح والتفصيل في كتابه: كشف المغطى عن معاني الألفاظ الواردة في الموطأ<sup>(١)</sup>، موضحاً فيه أن الأسماء التي نسبت إلى النبي ليست مجرد مواضع لفظية متباينة عن مدلولاتها - بل هي حقائق تنطبق - كل الانطباق - على واقع الحال، ولذلك أسند إلى كل اسم (صفة) ما يتناسب معه من الأحداث، مؤكداً انطباقها التام على مسمياتها.

١٥ - خاتمة<sup>(٢)</sup>:

وخصّص الشيخ الخاتمة لدعاءٍ شديد الإيجاز، يتألف من جملتين. وعادة الشيخ ألا يطيل في الدعاء، وأن يتجنّب تكلف السجع، ولذلك ورد الدعاء في الخاتمة مختصراً. واللافت فيه أنه ذكر كلمتي « الاجتماع والتفرّق »، ممّا يوحي بأنّ النصّ كان محاضرةً شفويةً كما افترضنا.

من الواضح إذن أن الكاتب ركّز على الأحداث التاريخية الثابتة، واقتصر عليها دون إيراد أية معلومة يُشتَم منها رائحة التزيّد والمبالغة والأسطرة ( Mythification ). فقد وردت كتابته موثقةً جافةً خالية - إلا في القليل منها - من أساليب التّضخيم واللاعقلانية، ترجمةً لحسّ تاريخي ناضج، ووعي بالأحداث في وجودها الماديّ، مع قرنٍ للمسببات بأسبابها الموضوعية. ويتجلّى هذا الحس التاريخي مثلاً في:

- ذكر التواريخ ومحاولة ضبطها والحسم فيما وقع فيه الاختلاف.

- الاقتصار على الوقائع المعقولة أي: التي يقبلها العقل ولا تتنافى مع معايير الكونية.

- تجنّب الإطالة في سياقة المعجزات، التي بالغ في إيرادها بعض المؤرخين

والقصاص حتى غدت كتبهم زاخرة بالأخبار اللاتاريخية.

- التركيز على المنزع العقلي والاقتصار - حسب المبدأ الخلدوني<sup>(٣)</sup> - على

(٢) قصة المولد.

(١) مالك بن أنس، كتاب الموطأ.

(٣) للتذكير فإن ابن هاشور كان في الهيئة المديرية للجمعية الخلدونية منذ ( ١٩٠٥ م )، وأنه معجبٌ بمقدمة.

ما يطابق الواقع وعلى الثابت من الأحداث والأسماء والروايات حتى لا يذكر ما لا يمكن التأكد منه.

اتَّبَعَ الشيخ إذن التسلسل التاريخي منهجًا، وتوخَّى في رسم الأحداث منطوق الترابط الزمني، مع التركيز على المهمّ الأهمّ من الأحداث، وتوجَّس سرده التاريخي بذكر كمال الأوصاف الجسدية، وجمال الشّمائل الأخلاقية، وهو ما يدعم فرضيتنا بأنّ « قصة المولد » مزيجٌ من التأريخ والأخلاق، يصاغ بلغة الأدب ونفس الإيمان.

#### ٤ - المشروعية الفقهية للاحتفال بالمولد النبوي:

كتب الشيخ ابن عاشور - وهو الفقيه المتصلِّع - رسالته هذه، وفي ذهنه السجال الفقهي القديم، الدائر بين بعض متشدّدي الفقهاء الحنابلة - وغيرهم - ممّن يبدِّع الاحتفال بالمولد النبويّ ويعتبره « ضلالةً »، بما أنّ السلف الصالح لم يقيم به، إضافةً إلى كون الاحتفال ذريعةً إلى محرّم اللهو الذي قد يفضي إلى الاختلاط الممنوع بين الجنسين، مع استعمال الآلات الموسيقية<sup>(١)</sup> والرقص... من جهةٍ أولى، وبين من يجيز هذا الاحتفال ويعده « مسلکًا حسنًا » من جهةٍ ثانية.

ولذلك استهلّ الشيخ هذا الكتاب بذكر الحُجج التي تنهض دليلًا على مشروعية الاحتفال.

ومن المفيد - في هذا السياق - أن نستعرض هاتيك الحجج بإيجازٍ حتّى نكشف المنطق الفقهيّ الناظم لفكر الرّجل وهو يحدث عن نشاطٍ تشرف عليه الدّولة وقيمه أعلامُ جامع الزيتونة.

#### أ - الشرعية القرآنية:

في القرآن آياتٌ عديدة تنوّه بالمناسبات الدينيّة الكبرى، وتحثني بها مثل تلك الآيات الواردة في شأن شهر رمضان<sup>(٢)</sup>، وليلة القدر<sup>(٣)</sup>، وأيام الحجّ<sup>(٤)</sup>... فتفصيل بعض المناسبات والأزمّة على سائر الأوقات أمرٌ ثابتٌ بنصّ القرآن. ويوم المولد يجوز التنويه به قياسًا على المسلك القرآنيّ في تفضيل بعض المناسبات والتنويه بها.

= ابن خلدون في علم التاريخ، وانظر أيضًا ملاحظاته حول الأساطير وكتابة التاريخ: أليس الصبح بقريب؟ (ص ١٩٦، ١٩٧).

(١) رشيد رضا، ذكرى المولد النبوي، دار النشر للجامعات (٢٠٠٩م).

(٢) سورة البقرة: الآية (١٨٥).

(٣) سورة القدر: الآيات (١ - ٤).

(٤) سورة البقرة: الآيات (١٩٧، ١٩٨).



## ب - الاستنتاج المنطقي:

أقام الشيخ هذا القياس قائلًا: إذا كان العيدان الشرعيان ( الفطر والأضحى ) يردان عقب الفراغ من عبادة معلومة ( الفطر بعد الفراغ من صيام شهر رمضان، والأضحى بعد إنهاء أركان الحج )؛ فإن « ذكرى الوسطة في تبليغ ذلك »<sup>(١)</sup> - أي: مولد الرسول ومقدمه - جديرة بالإشادة والاحتفاء؛ إذ من باب أولى وأحرى الاحتفال بمن كان السبب في تبليغ معاني الدين. وهذا - كما نرى - استنتاجٌ منطقيٌّ يخالف إلى حدٍّ ما القياس الفقهي التقليدي من وجوه عدّة ليس هذا مجال ذكرها.

## ج - إجماع العلماء:

وهو الذي يعدّ المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي. ويعتمد ابن عاشور على هذا الأصل ليذكر أنّ الاحتفال بالمولد « استحسنته جمهور مشيخة المغرب ووصفوه: بالمسلك الحسن »<sup>(٢)</sup>.

وهذه الإشارة العابرة توحى بما يمكن أن يكون - على لسان الشيخ - استباقًا لفكرة وجود إسلام خاصّ بالغرب الإسلامي ( إفريقية والأندلس )، يتوقّف على خصائص تميّزه عن الإسلام في المشرق، بل وعلى سماتٍ تشريعيةٍ منبثقة من السياق الثقافي المحلي.

## د - العرف:

والطّريف أنّ الشيخ دعم رأيه بوقائع تاريخية تعود إلى القرون الوسطى، يذكر من خلالها أنّ الملك مظفر الدين أبا سعيد كوكبوري، هو الذي جعل الاحتفال عادةً رسمية، أي إنه أضفى عليها طابعاً رسمياً سياسياً. ثم يذكر بايات تونس في العصر الحسيني ومن بينهم المشير أحمد باشا باي، والصادق باي وما قاموا به من إحياء لهذه العادة. يقول:

« وشاع ذلك في بلاد المغرب والأندلس، ولما رحل العلامة أبو الخطّاب عمر، المعروف بابن دحية البكنسيّ الأندلسيّ، المالكيّ، رحلته الشهيرة إلى المشرق، أوّل القرن السابع، واتصل بالملك الجليل، مظفر الدّين، أبي سعيد كوكبوري بن زين الدين، كوجك عليّ، صاحب إربل، حسن الشيخ للملك التنسن بهذا السنن، فرغبت همّته في الاتسام بميسم أفاضل الزّمن، لذلك أقام في سنة ستّ وستمائة حفلاً عظيماً، وأنشأ له ابن دحية كتاباً سمّاه: التنوير بمولد السّراج

المنير؛ ليقرأ في ذلك اليوم، وجعل يعيد قراءته كل عام، تارة في اليوم الثاني، وتارة في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول. فهو أول الملوك نظم هذا الاحتفال في سلك رسوم دولته...»<sup>(١)</sup>.

وكأن الشيخ بذلك يعتمد مبدأً عريقاً في الفقه المالكي، ألا وهو العرف، ليعضد ما اختاره من الأدلة النصية والقواعد التشريعية.

ولكن الملاحظ أيضاً أن ابن عاشور لم يذكر باي عصره مع أنه عاصر الكثيرين منهم، على خلاف الشيخ إبراهيم الرياحي الذي دعا له بالاسم<sup>(٢)</sup>. ( وهذا التداخل بين الديني والسياسي في الاحتفال بالمولد جديرٌ بأن يهتم به الدارسون ).

والملاحظ أيضاً أن الشيخ لم يذكر أدلة القائلين بعدم جواز الاحتفال، وربما كان ذلك لأنه لا يعتدّ بها. كما أنه لم يستعمل العبارة الشائعة اليوم « بدعة حسنة / سيئة »<sup>(٣)</sup> حتى يبعد كل شبهة، ويؤكد أن إقامة المولد « مجرد مسلك » أي: سلوك حسن، واختياراً اجتهادي تضافرت على إباحته الأدلة النصية والقواعد العقلية والتاريخية، على أن يكون مناسبة تحيي بتلاوة القرآن، والصلاة على النبي، وإكرام آله، ومساهمتهم، بالإضافة إلى اللهو المباح، وهذا كله ثابتٌ بنص الكتاب والسنة. يقول المؤلف:

« دعاني إليه الاتساء بأفاضل الأمة، الذين ألهمهم الله صرف الهمة، إلى العناية بتعظيم اليوم الذي يوافق من كل عام، يوم ميلاد محمد، رسوله، عليه الصلاة والسلام، إذ كانوا قد عدّوه عيداً، علمناه من قوله تعالى في التنويه بشهر رمضان: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والخلاصة إذن: أن الاحتفال بالمولد مشروع، وأنه من مندوبات الأعمال وفضائلها، ينبع من الرغبة في الاقتداء بأكابر الأمة، وإحياء سننهم، ومدّ جسور سيرهم، فلا يعدو أن يكون اتساء بهم في عملٍ فاضلٍ.

٥ - معضلة عقديّة:

كتب ابن عاشور - وهو المتكلم الصليح - كتابه هذا وفي ذهنه أيضاً سجلاً من نوع آخر، هو ذلك الذي هزّ الفكر الإسلامي في العصر الوسيط؛ لأنه بحث مسألة المصير

(١) ابن عاشور، قصة المولد.

(٢) إبراهيم الرياحي، تطهير النواحي بترجمة العلامة إبراهيم الرياحي (٢ / ٢ - ١١)، وهو من تأليف حفيده السيد عمر بن محمد بن علي الرياحي، طبعة المكتبة العتيقة، تونس. وقد ألفه سنة (١٨٤١م).

(٣) فتاوى الإمام الشاطبي (ص ٢٠٣ - ٢٠٤)، جمعها وحققها وقدم لها: محمد أبو الأجناف.

الأخروي لأبوي الرسول ﷺ. وقد نجم هذا الإشكال الحساس بسبب حديث نبوي رواه الإمام مسلم في صحيحه<sup>(١)</sup>، وأتفق كبار المحدثين على سلامة سنده من العلل، وقد ورد فيه أن أبا النبي في النار، وهو ما من شأنه أن يجعل في سلسلة آباء النبي حلقةً ضعيفةً بما أنها تحتوي على «مشارك» مصيره النار. فانبرى ابن عاشور - لا إلى تضعيفه ودحضه كما فعل السيوطي<sup>(٢)</sup> - بل إلى تأويله وإيجاد معنى مختلف عما يوحي به ظاهره. فأكد - بما له من براعة الاستدلال - أن أهل الفترة في الجنة؛ لأن الدعوة الدينية لم تبلغهم، بما أنهم ماتوا قبل ظهور الإسلام. وأن العقل - الذي لم تهديه أنوار الرسالة - غير قادرٍ على استنباط أدلة الاعتقاد بمفرده، وذلك لدقتها وخفائها. وبما أن أبوي الرسول قد عاشا وماتا - كلاهما - قبل البعثة فإنهما يعدان من أهل الفترة، فلا يحق عليهما العذاب، وترجى لهما بركة ابنهما.

في هذه المقاربة، وظّف الشفيخ طائفةً من الأدلة الكلامية (العقدية)، ومنها دليل الأشاعرة المتعلق بعجز العقل عن إدراك دلائل الوحدانية، على عكس المعتزلة الذين يقرّون قدرة العقل على ذلك.

ومن خلال هذا الجدل ذي الطبيعة الكلامية، يشير ابن عاشور إلى دقة هذه المسألة ويستدل فيها بمقالات جمهور أهل السنة، كما ذكر ثلاث آياتٍ قاطعةً تؤكد توقّف الجزء الأخرويّ على بعث الرسل وتبليغهم الديانة.

وأخيراً، يذكر مبدأ أصولياً مفاده: «أن أصول الاعتقاد لا تنتقض بأخبار الآحاد»، وبما أن الحديث الذي تفرد به مسلمٌ خبر آحادٍ، فلا يمكن الاعتماد عليه لردّ عقيدة جوهريّة من عقائد أهل السنة الأشاعرة، وهي عدل الله تعالى، الذي جعل عذابه مرتهاً بإرسال الرسل.

(١) النووي، شرح مسلم (٣ / ٧٩).

(٢) خصّص جلال الدين السيوطي لهذه المسألة مجموعة من الرسائل:

١ - مسالك الحنفا في أبوي المصطفى.

٢ - التعظيم والمنة في أن أبوي الرسول في الجنة.

٣ - الدرج المنيفة في الآباء الشريفة.

٤ - نشر العلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين.

٥ - السبل الجلية في الآباء العلية.

وقد طبعت كل هذه الرسائل في كتاب واحدٍ عنوانه: رسائل الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في تحقيق نجات أبوي المصطفى ﷺ وأهم من أهل الجنة في الآخرة، تحقيق: حسنين مخلوف، القاهرة، مطبعة المدني (ط ٢)، (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).

وأضاف الشيخ أيضًا دليلين عقليين:

أ - أولهما: إن شرف النسب، وطهارته من كل منقصة ضرورة لكمال الذات المحمدية، المنوط بها تبليغ الرسالة.

ب - ثانيهما: إن رضا النبي لا يتم وأبواه في النار، وبما أن الله ﷻ خاطبه في القرآن قائلًا: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]، فإنه سينقذهما منها بفضل بركة ابنهما؛ إذ الرسول لا يرضى وأبواه في النار.

وفي نهاية الفصل الذي خصّصه الشيخ لطهارة النسب<sup>(١)</sup>، ينصح كل مؤمن أن يتمسك بنجاة أبوي الرسول وأن يعرض عن غيره من ضعيف الآراء، بل وأن يتجنب الخوض في المسألة لأنه لا طائل من ورائها.

وخلاصة الرأي في هذا الجدل الكلامي: ضرورة الاعتماد على مبدأ التأويل الذي أقره كبار الأشاعرة، - مثل الغزالي وشيخه أبي المعالي الجويني وابن عاشور نفسه<sup>(٢)</sup> - وذلك كلما ورد تعارض أو إشكال بين ظواهر بعض النصوص النقلية والقواعد الكلية للاعتقاد والسلوك.

وعلى هذا المنهج سار ابن عاشور في تفسيره، بل في حلّ كل المعضلات المتضمنة في الآيات المتشابهة. وقد احتلّ التأويل عنده كما في النظرية الكلامية - الأشعرية - أهمية قصوى. ويعتمد عليه فيها اعتمادًا كليًا كلما تعلق الأمر بنصّ متشابه، يوحي ظاهره بالاختلاف مع أصول الدين وما استقرّ من عقيدة التنزيه. وقد اعتمد ابن عاشور على هذا المبدأ في قضية حساسة، أسالت الكثير من الحبر، وهي المصير الأخروي لأبوي الرسول...

#### ٦ - منهج ابن عاشور في قصة المولد:

بالإضافة إلى أسلوب الاختصار الشديد - دون إخلال - الذي انتهجه المؤلف في صياغة هذه الرسالة في كلّ ما عرض له من موضوعات السيرة، فإنه اعتمد مبدأ الاقتصار على الصحيح من الأخبار، وهو ما يعني طرح الواهي، والضعيف والخيالي الذي يكثر في آثار القصاص<sup>(٣)</sup>.

(١) عاد الشيخ إلى هذه المسألة بكثير من التوسع والبرهنة في مقال صدر في المجلة الزيتونية، عدد (٩) سنة

(١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (ص ٤١٦ - ٤٢٤). عنوانه: نسب الرسول ﷺ.

(٢) انظر أقوالهم عند ابن عاشور: تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة (ص ١٢). طبعة دار سحنون للنشر (٢٠٠٧ م).

(٣) الطاهر ابن عاشور، أليس الصبح بقریب؟ (ص ١٦٨).

وهذا المنهج العقلاني - التاريخي، في حقيقته امتدادٌ للمدرسة الأصولية المالكية في علم الحديث التي ينتمي إليها الشيخ ابن عاشور، والتي حاول التعريف بها في مقدمته لشرح الموطأ<sup>(١)</sup>. وقد ذكر فيها احتياط الإمام مالك وشدة حذره في نقل الحديث، وعدم تسرعه في قبوله والاعتماد عليه.

وهذا الأصل الحديثي يبني على مسلمة عقديّة ورمزيّة نوجزها كما يلي:

#### أ - صحة الإسناد:

وهو الضامن لصحة المتن، والمانع من تقولات من شاء أن يتكلّم في أمر الدين دون إجازة. وهذا التصور نابعٌ من أهمية السند في علم الحديث. والكل يعلم المقولة الشهيرة: « لولا الإسناد لقال من شاء ما يشاء »<sup>(٢)</sup>.

#### ب - الكمال الذاتي:

فكرة « الكمال الذاتي » ذات أصولٍ كلاميّة، مفادها: أنّ الكمال الذاتي موجودٌ في القيم نفسها، ولا تحتاج إلى تأثير العناصر الخارجية. ويقول عبد القاهر الجرجاني في هذا الصدد: « ولم تكن الصفة شريفةً أو خسيسةً من حيث الموصوف. وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يُعترض على الصفات الشريفة بشيءٍ، إن كان نقصاً، فهو في خارجٍ منها، وفيما لا يرجع إليها أنفسها ولا حقيقتها »<sup>(٣)</sup>.

وإذا طبقنا هذا المبدأ الفلسفي على السيرة النبوية، صار يعني أنّ الدين عمومًا، والمثال المحمديّ خصوصًا، تريان كلاهما بما يتضمّنانه من القيم الصحيحة، المعقولة والمتطابقة مع الواقع، وهو ما يغني عن الالتجاء إلى النصوص الواهية، والحجج الضعيفة، والأخبار الباهتة التي من شأنها أن تُكدر صفو التعاليم الدينية وتلقي عليها بظلالٍ من الشك. فالحسن النبوي ذاتيٌ ولا يحتاج إلى أدلة خارجية، لا ضعيفة ولا قويّة، ولذلك يقول: « آثرت فيها جمعَ لُمعٍ كافيةٍ للذين تعلّقت قلوبهم بمحبته، وأخبارٍ غير واهية الأساس من مختار عيون سيرته؛ إذ كان قد أغنى هذه الأمة عن التشبث بما ليس بمحجة الثبوت، ولقننا أن تربأ عنها بإشارة قوله: ﴿ وَإِنَّ أَوْهَرَ أَلْبُيُوتٍ ﴾ [العنكبوت: ٤١]، فكذاك ينبغي أن يكون المسلمون فيما يبيّتون من شؤونهم وأوضاعهم، وعلى ذلك الخلق علماءهم

(١) الطاهر ابن عاشور، كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ (ص ١٧ - ٤٤).

(٢) جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث (ص ٢٠١).

(٣) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة (ص ٣٤٨) طبعة شاكر، دار المدني.

وأشباعهم، فإنّ هذا الدين ثريٌّ بما أمده الله من صحيح كثير، عن أن يلقّق له شاعب كلُّ مثلم أو كسير، فلا يحقّ لِحَمَلَتِهِ أن يشوبه بما يكدر منه صَفُوَ صفاته، وأن ينسوا ما خصّت به هذه الأمة من صحة بلوغ الدين ورواياته»<sup>(١)</sup>.

ولذلك خلا الكتاب من كلِّ خبرٍ تُسْتَمّ منه رائحة المبالغة والإغراق، وخالف ما كتب في السيرة من القصص الخياليّة التي قد يقود فيها تعظيم النبيّ إلى تصويره في صورة غير واقعيّة، وغير تاريخية، وهو نفس المنهج الذي اتبعه جلّ المؤرخين المعاصرين في كتاباتهم.

### ج - الاستلهام الأخلاقي:

ما فتئت السيرة النبوية تمثل في كلِّ العصور مصدرًا للإلهام الأخلاقي - الروحيّ. وفيها يعدّ السلوك النبويّ - أكان قولًا أم فعلًا أم حالًا - التجسيد الأفضل للمثل العليا والقيم السامية. ولم يشذّ الشيخ ابن عاشور عن هذا المنحى ولا خالف فيه سابقه، بل خصّص فصلًا كاملًا من رسالته لذكر السمائل المحمديّة، يصوّر من خلالها نموذجًا في الأخلاق عاليًا، ويرسم مثلاً به يقتدى، يقوم على قيم العدل والحياء والمكارمة والطاعة. والشّميلة هي الخصلة من الخير أكانت خُلقيّة أو خلقية. ويبدو أن فكرة الجمال الخُلقيّ والخُلقيّ قد استقرت في الضمير الإسلامي، وصار الكُتّاب يتناقلون تلك الأوصاف الخُلقيّة حسب الحديث المأثور عن أم معبد<sup>(٢)</sup>. وهذا التركيز على السمائل المحمديّة يستحقّ مزيدًا من الدرس والتأمّل. كما خصّص فصلًا آخر لشأن النبي، أي لطريقة حياته اليوميّة وسيرته فيها مع ربّه، وأسرته وعامة المسلمين خارج بيوته.

وفي هذا التصوير المثالي إثباتٌ لوّظيفه أساسيّة من وظائف كتابة السيرة وإعادة إنتاجها وهي أمثلة السلوك النبويّ (Idealisation) وجعله مصدرًا من مصادر التّوق الروحيّ للمؤمن، ومرجعًا من مراجع وعيه وحساسيته. وهو منحى يستمد شرعيّته من الآية القائلة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، كما أنّه منحى يتجاوز عصره من حيث دعوته إلى نحت نموذج متعالٍ للمثل العليا<sup>(٣)</sup>.

(١) ابن عاشور، قصة المولد.

(٢) القاضي عياض، كتاب الشفا (١ / ١٤٣). وانظر أيضًا مقال ابن عاشور: السمائل المحمديّة، المجلة الزيتونية (عدد ٩) سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (ص ٤٢٦ - ٤٥٢).

(٣) جعفر ماجد، محمد النبي الإنسان، منشورات رحاب المعرفة، تونس (١٩٩٤ م).

## د - الأسلوب الأدبي:

ولا يسعنا في هذه العجالة إلا أن نشير إلى بعض الخصائص الأسلوبية التي ميّزت كتابة « القصة ». فقد صاغها يرأغ ابن عاشور منتقياً أجمل العبارات وأنصعها، متخيراً أوضح المفردات وأدقها. ويتخلل نسيج نصه سلسلة من نفائس الصور البيانية، مما يقوّي فيه الأدبية (Littérarité)، بل ويجعله نصّاً فنياً بامتياز، يتنزل ضمن ما يمكن تسميته بالنثر الفني التاريخي. على أنّ الكاتب لم يثقل نصّه هذا بالمحسنات البديعية، ولم يركن إليها، عدا بعض السجعات والاستعارات البليغة.

ولعلّ هذا المنحى في أدبنة التاريخ<sup>(١)</sup> يهدف إلى تجسيد ما دعا إليه الشيخ من إصلاح للغة العربية، وإحياءٍ لأساليبها والاعتماد عليها في إرساء ملامح نثرٍ فنيٍّ معاصرٍ، تعدُّ كتابات الشيخ ذاتها من أجلى تجلياته<sup>(٢)</sup>. ولكن الاستثناء الوحيد هو بعض الكلمات الغربية التي أوردناها رغم شرحه لبعضها وخاصة في فصل الشمائل (ومثال ذلك: مفرداتٌ مثل: شن، احتباء، أدعج...).

ونرى أنّ هذه الطريقة في الكتابة الأدبية تسجّل تطورٍ من أطوار اللغة العربية بنقلها من طرائق التعبير القروسطية إلى لغةٍ ثريةٍ واضحةٍ ودقيقة، ولعلّ المساهمة في المجالات الواسعة الانتشار ممّا يسّر للشيخ هذا العمل الدؤوب، تطويعاً لأبنية اللغة العربية وتطويراً لسجلاتها وأنحائها في التعبير، بحيث تصف أحداث التاريخ وتستعيدّها دون إغراق في المحسنات البلاغية.

ومن المفيد إعادة النظر في أعمال ابن عاشور ضمن منظورٍ لساني زمنيٍّ؛ لإبراز مدى مساهمته في تطور العربية المعاصرة ومصادرها التعبيرية.

## ٧ - النبيّ في الفكر العاشوري:

ومن الجدير بالبحث أيضاً، التعريف بمكانة النبي محمد ﷺ في الفكر العاشوري - وهي مسألة قلما أكّد عليها الدارسون لهذا الفكر على كثرتهم - وعموماً، فإنّ موقف ابن عاشور هو الموقف العقدي - الأشعري - الذي يقرّ بعصمة الرسول مبدأ عاماً، ثم بأفضليته على سائر البشر، وعلى هذا الأساس بنى سيرته. ولكنّه خصص

(١) Littérisation de l'histoire .

(٢) أليس الصبح بقريب؟ (ص ١٨٣ - ١٨٩)، دار سحنون للنشر والتوزيع (٢٠٠٦م).

صفحات مطولة في التفسير لدحض كل منقصة أو شبهة لإبعاد الشوائب<sup>(١)</sup>. وبالاعتماد على مقولة العصمة - التي صاغها الأشاعرة، ومفادها: أنّ الأنبياء معصومون من ارتكاب الخطايا: الكبائر منها والصغائر - رسم ابن عاشور - وهو من كبار الأشاعرة والمنافحين عن مبادئهم - صورةً عن الكمال الأخلاقي والإنساني للرسول الذي لم يرتكب قط أية مثلية تنقص من قدره أو تضع أمانته موضع الشكّ. فالأنبياء مكلّفون بتبليغ الوحي صافيًا من كل زيادة أو نقصان. ولذلك خصّص ابن عاشور صفحات من تفسيره لتفنيد كل التهم التي تُشتمّ منها رائحة المساس من القدر النبوي، أو تنفي عنه العصمة. وأظهر آية يعتمدها من يقرّ إمكانية وقوع الخطأ من النبي ﷺ هي الآيات الأولى من سورة: عبس، التي توكلّى الشيخ شرحها بما لا يدع مجالاً للشك في عصمة النبي، ويبيّن فيها أنّه اجتهد واعتمد قرائن الحال<sup>(٢)</sup>.

#### ٨ - الهاجس الإصلاحي:

وفي متن هذه السيرة المختصرة، يتجلّى بوضوح الهاجس الإصلاحي - التنويري لدى الشيخ، وهو من رجالات الإصلاح دون منازع<sup>(٣)</sup>. إذ يعتبر تصدّي العلماء لتنقية كتب التاريخ مما علق بها من الخرافات والتزيادات، واجبًا ليس فقط دينيًا - كما فعل نقاد الحديث وعلماء الجرح والتعديل - بل واجبًا اجتماعيًا - حضاريًا؛ لأنّ الاعتماد على الواهي من الأحاديث والأخبار المدلّسة، حريّ بأن يُسقم عقليّة الأمة، ويفاقم أمراضها، وينشئ لديها مواقف خاطئة وسلوكًا مغلوطنًا. وهكذا، فإنّ أسلوب التحقيق والتمحيص يندرج في إطار حملة يقودها الشيخ عبر أعمدة المجالات والكتب لبيان كذب أخبار وضعتها العامة وتداولتها<sup>(٤)</sup>. على أنّ هذا العمل الإصلاحي، بدأه منذ سنة (١٩٠٨ م)،

(١) انظر مثلاً: الصفحات المخصصة لقصة زينب بنت جحش وعبد الله بن أم مكتوم.

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير (ج ٣٠).

(٣) انظر: مقال محمد الفاضل ابن عاشور، المفتي المالكي، بعنوان: «الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيط» (ج ٢)، (مجلد ١٠)، المجلة الزيتونية (١٩٥٥ م)، حيث ذكر أهمّ أعلام الفكر والدين والأدب والسياسة، ومنهم «الوزير الكاتب الشهير الشيخ أحمد بن أبي الضياف، فكان المتولي لتربيته، وكذلك شيخ الإسلام محمد ابن الخوجة والعلامة الأكبر الشيخ محمد النيفر والمحقق الفذ محمد الطاهر ابن عاشور، وكان الشيخ جعيط من أفراد العصابة التي رفعت شأن الأدب العربي بتونس، وقويت صلته بعماد النهضة الأدبية الشاعر الشيخ محمود قبادو وبصديقه إمام اللغة شيخ الإسلام سالم بو حاجب وفارس الشعر والتاريخ والمحاضرة الشيخ الرئيس محمد الباجي السعودي...».

(٤) ابن عاشور، تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة (ص ٩٤) - طبعة دار سحنون للنشر.



تاريخ كتابة كتاب: أليس الصبح بقريب؟ مُخصّصًا فيه فصلًا لعلم الحديث الذي يضم خمسة فنونٍ هي « متن الحديث، ومصطلحه، وصفات النبي ﷺ، ودلائل نبوته، وسيرته وغزواته »<sup>(١)</sup>، ويبيّن فيه أسباب التمثّل والوضع معتبرًا أنّ تدليس الأخبار من أعظم أدواء الأمة. وينصبّ نقده لاعتماد الضعيف الواهي، ضمن مجهودٍ لإصلاح عقلية العامة وتصوراتها للسيرة، يزيل من خلاله كلّ ما عارض العقل. وليس من الغريب بعد ذلك ألا يورد الشيخ أية « معجزة » مما امتلأت بها كتب السيرة عدا الثابت من الأمارات الواردة بنصّ القرآن.

#### ٩ - المنزغ المقاصدي:

ويبدو بعد ذلك كله أنّ بذراتٍ أولى لنظرية المقاصد - التي برع فيها الشيخ وطوّرها لاحقًا في كتابه الفريد: مقاصد الشريعة الإسلامية<sup>(٢)</sup> - ظهرت في تناوله للسيرة النبوية وتأويله لأحداثها وانتقائه لوقائعها. وهذا يعني أنّه يقيس الأحداث والوقائع على ضوء ما تتضمّنه من غايات وبما يساعد على حفظ الكليات الخمس المعروفة ( الدين، النفس، المال، النسب، العقل )، ولذلك لم يختر من السيرة إلاّ العناصر التي تُصلح السلوك، وتُقوم الاعتقاد، وتعود بالنفع على الفرد والمجموعة. ولذلك ركّز على الشّمائل المحمدية وعلى شأن النبي داخل بيته وخارجه... وأتى حديثه عن الغزوات مختصرًا للغاية كأنما أراد منه مجرد ذكر حدث.

ويعود اهتمامه بالمقاصد المتعلقة بالسيرة إلى الفصل الذي عقده - وهو فصلٌ شديد الأصالة والعمق - في كتابه المقاصد، بيّن فيه اختلاف درجات حُجّية الحديث النبوي، بحسب المقام / السياق. وعدّد اثني عشر مقامًا، تدلّ عليها قرائنها المختلفة، ونجد تطبيقات هذا الفصل في القسم الخاص بظهور الإسلام بالمدينة حيث ساد مقام التشريع، وأثناء تصرّف النبي ﷺ تصرّف الأئمة والقادة، وهذا المنحى - إن جُود فيه النّظر - أدى إلى تنزيل الكثير من الأحاديث في سياقاتها التاريخية، وربما أفضى إلى تنسيب بعضها.

#### ١٠ - نظرة نقدية:

إنّ السؤال - الذي يطرح عند كتابة أية سيرة جديدة - هو ما عسى أن يضيف الكاتب إلى

(١) ابن عاشور، أليس الصبح بقريب؟ (ص ١٦٦) - طبعة دار سحنون للنشر.

(٢) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق الميساوي، دار النفائس (٢٠١١م)، وتحقيق الشيخ محمد الحبيب

ابن الخرجة (٢٠٠٤م)، طبعة وزارة الأوقاف القطرية وقد اعتمدنا عليها.

سلسلة الأحداث المعروفة التي تناقلتها عشرات الكتب والمقالات جيلاً بعد جيلٍ؟.

في قصة المولد لابن عاشور من الحِجَّة والطَّرَافَة مظاهر نوجزها كما يلي:

أ - تعليل الشيخ لعدم وجود إخوة للنبي هو - في نظره - « رمزٌ ربّانيٌّ مشيرٌ إلى معنى فذاذته » أي إلى تفرده. وهذا الضرب من التحليل والتعليل هو بحد ذاته منهج في البحث أصيلاً؛ لأنه لا يدخل في إطار التحري التاريخي وإنما في رؤية تأويلية<sup>(١)</sup> يشرح من خلالها الشيخ مظاهر من السيرة رابطاً بإياها بالأبعاد الربّانية التي لا تدرك إلا بالإيمان، وإن كان التاريخ يدعمها بعض دعم.

ب - مشاركة النبي ﷺ في بناء الكعبة واعتباره رمزاً لامتناد الديانة الإبراهيمية وتواصلًا للستين.

ج - التركيز إلى حدّ ما على سني المجاورة والتحنُّث في غار حراء لتأمل دلائل الوحداية والنظر في أدلة الصنع الربّاني للكون. وهذا الطور من السيرة قلما اعتنى به المؤرخون.

د - شرح أسماء الرسول ﷺ واستكناه دلالتها الرمزية واعتبارها عناوين عمّا في الذات المحمدية من الفضائل والشرف.

هـ - شأن رسول الله ﷺ: الحديث عن الحياة اليومية للنبي ﷺ وكيفيات تقضية أوقاته الخاصة والعامة، واعتبار ذلك من تفانيه التام في خدمة المسلمين والقيام بمصالحهم.

و - التشريع للمولد: واعتباره « مسلماً حسناً » متجنباً بذلك الدخول في تسميته بدعة. والطريف أنّ هذا المسلك هاجر من بلاد الغرب الإسلامية ومنها شاع لدى ملوك الدولة السلجوقية.

إلا أنّ الغائب الأكبر - في هذه القصة - هو تاريخ تونس والعالم العربي - الإسلامي في فترة ما بين الحربين، زمن كتابة النصّ على الأرجح. وكانت آنذاك جُلّ مناطقه تحت نير الاستعمار رازحة. ولن يُعلّل هذا التغييب إلا إذا أولنا هذه القصة واعتبرناها خطاباً للالتفاف حول شخصية النبي ﷺ بوصفه رمزاً جماعياً للهوية، واحتماءً بمكونات الموروث الإسلامي - وأشدّ مكوناته تأثيراً رمزياً هو شخصية النبي - في وجه عمليات الطمس الثقافي التي تفاقمت في ثلاثينيات القرن الماضي.

(١) بالفرنسية المصطلح المقابل: Vision herméneutique

وقد يكون الكاتب توسّع في إشكاليّات الماضي وأشبعها تحقّقًا ولا حاجة عمليّة تدعو لها مثل الخوض في المصير الأخرويّ لأبوي النبي ﷺ، ومشروعيّة الاحتفال بالمولد، والمفروض أنّها مسائل حُلّت أو تجوّزت. وفي المقابل، أهمل مظاهر أخرى من السيرة، ولم يذكرها إلّا سريعًا مثل: الإسراء والمعراج وفتح مكة وغيرها من جليل الأحداث التي حوّلت مجرى التاريخ.

#### ١١ - منهج التحقيق:

إنّ قصر هذه الرّسالة لا ينبغي أن يحجب عنّا صعوباتها البالغة، وثراء مادّتها، وتنوع مصادرها، بل وتعدّد بعض مضامينها. ولذلك، حاولنا جاهدين تحقّقها، وجعلها قريبة من متناول القارئ؛ باتباع سلسلة من الخطوات المنهجية نذكرها هنا حتى يرى القارئ الكريم طبيعة الجهاز النظري الذي اعتمدنا عليه:

١ - تقسيم النص إلى زهاء مائتي وحدة دلالية ( فقرات ) حتّى يسهل الفصل بين الأفكار والمعلومات الثريّة الواردة في النصّ، وحتى يسهل الانتقال من محور إلى محور آخر في سلاسة. ولهذا التقسيم مزية أخرى فهو يساعد القارئ على التأمل في كلّ فكرة على حدة، بما أنّ أسلوب الشيخ كان هنا شديد التركيز والاختصار.

٢ - شرح المفردات الصّعبة التي لا يتأتّى للقارئ المعاصر فهمها بسهولة، بما أنّ الشيخ يعتمد النصوص القديمة، وفي أنظمتها المعجمية بعض الغرابة والنّدر والغموض. وقد حاولنا - قدر المستطاع - ذكر المعنى المراد من الصور البيانية التي يزين بها الشيخ كلامه والتي صارت استعارات بعيدة بسبب طابعها المجرد وذلك مثل: الوشيج، المثلم... وتجدر الإشارة إلى أنّ الكاتب جرى على عادته في تحشية مقالاته، فقد كتب بنفسه مجموعة من الإحالات والهوامش حافظنا عليها جميعًا وأضفنا أمامها عبارة ( المصنّف ).

٣ - ذكر التواريخ الميلادية التي توافق التواريخ الهجرية وذلك حتى يتسنى للقارئ - الذي أُلّف التقويم الميلادي - الوقوف على زمن الحدث ووضعه في سياقه التاريخي.

٤ - تخريج الآيات القرآنية.

٥ - تخريج الأحاديث النبويّة.

٦ - إضافة ثلاثة عناوين لتيسير تقسيم الكتاب وفهم مقاطعه.

٧ - العودة إلى كتاب التحرير والتنوير<sup>(١)</sup>، إذ احتوت هذه الموسوعة التفسيرية الضخمة على تفاصيل ثرية تتصل بحياة النبي، رَبَطَهَا مؤلفها بنزول الآيات التدريجي، وبتتابع الوحي. فتفسيره أكبر نصّ متكامل، يقرن بين السيرة والقرآن، ويحقق معاني المفردات والآيات على ضوء ما صحّح من أسباب النزول<sup>(٢)</sup>؛ ولذلك، اعتمدنا على كل المظان التي أورد فيها تحاريره، وأوردناها حتى يجد القارئ تلك التحقيقات متاحة، على أنّ الشيخ لم يُراعِ في ذلك التابع الزمني للأحداث، وإنما اتبع نسق وجود الآيات في المصحف.

٨ - التعريف الموجز بكلّ الأعلام الذين وردت أسماؤهم في هذا الكتاب، وهم ينقسمون إلى فئتين: فئة الأعلام الذين عاصروا النبي محمدًا ﷺ، سواء كانوا مؤمنين أو مشركين. وفئة العلماء والشخصيات الأدبية والفقهية التي استدلّ الشيخ بهم في عرضه لأفكاره. والهدف من هذه التعريفات تقديم الشخصيات وذكر الصّلات المنعقدة بينها حتى يتبيّن النسق العاشوري في الاستدلال.

ولقد اخترنا - منهجًا - في عرضنا للمعلومات المتعلقة بهؤلاء الأعلام والشخصيات التاريخية ( مثل: الصحابة، وأجداد الرسول ﷺ، وأبنائه ومعاصريه ) عدم الخوض في مشاكل صحتها التاريخية من عدمها، واعتمدنا بالأساس في تقديمها على كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، وهو مؤرّخ مشهورٌ بالنزاهة والصرامة<sup>(٣)</sup>. ويُعلّل اختيارنا هذا برغبتنا في عدم تجاوز إطار بحثنا، وعدم استعمال المنهج الربيعي دون ترشيده.

٩ - إنجاز فهرس ختامية للآيات القرآنية والأحاديث النبوية والوقائع وأسماء الأعلام، ضمّنا فيها الأشخاص والبلدان والقبائل والأماكن ليسهل الرجوع إليها.

١٠ - أفراد المفاهيم المركزية (المصطلحات) بفهرس مُرتّب حسب الاشتقاق مع اقتراح تحديد موجز لكل مفهوم. ويندرج هذا العمل في إطار منهج علم الدلالة اللغوي<sup>(٤)</sup>:

(١) كلّ إحالاتنا على طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع (١٩٩٧ م).

(٢) انظر المقدمة الخامسة لتفسيره (١ / ٤٦ - ٥٠). وحول علاقة السيرة بالقرآن، تحسن العودة إلى كتاب الأستاذ هشام جعيط:

La Vie de Muhammad, La Prédication prophétique à La Mecque, ( pp. 30 - 39 ) Ed. Fayard, 2008.

(٣) انظر تقديم الأستاذ هشام جعيط ونقده لهذا المصدر الأساسي في السيرة النبوية:

La Vie de Muhammad, La Prédication prophétique à La Mecque, ( pp. 356 - 364 ) Ed. Fayard, 2008.

(٤) La sémantique lexicale.

وهو منهجٌ يساعد على مقارنة فكرٍ ما من خلال مفاهيمه الكبرى ومصطلحاته المركزية. وهي طريقة أبانت عن جدواها في الدراسات الحديثة للفكر العربي الإسلامي.

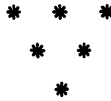
١١ - تقديم الكاتب والكتاب لإعطاء مجموعة من المفاهيم العامة التي تساعد على وضع « قصة المولد » في سياقها التاريخي والعقدي والفقهّي.

ويقتضي واجب النزاهة العلميّة أن نُعلم القارئ الكريم بعدم تمكننا من الحصول على المخطوط الأصلي لهذه القصة، وذلك رغم محاولاتنا العديدة وأبحاثنا المتواصلة، فاقصرنا على النسخة المطبوعة ( ١٩٧٢ م )، بالدار التونسية للنشر واعتمداها كأصلٍ وحيدٍ.

وهي - والحق يقال - طبعةٌ سليمةٌ في عمومها عدا هناتٍ إملائية نادرة، هنا وهناك، أشرنا إليها في مظانها.

كما عُسّر علينا ضبط التاريخ الدقيق لكتابة هذه المحاضرة وإلقائها. ولذلك نرجو من كافة القراء إمدادنا بكل معلومة تُيسّر علينا عملية التحقيق الدقيق لهذا النصّ المحوري.

قصة المولد لوحاتٌ متخيّرةٌ، بأسلوبٍ جزليٍّ وألفاظٍ منتقاةٍ كُتبت، توثق أهمّ أحداث السيرة النبوية، التي لا يسع أحدًا جهلها. وكأنّ ما ورد فيها من مختار المعلومات يندرج ضمن المعلوم من الدين بالضرورة. صوّر فيها الشيخ بريشته البارعة ما يلزم المؤمنين معرفته عن نبيهم، حتى يتقوى الإيمان بفداذته، وتشد فيه المحبة. واتبع في تصويره هذا سبيل الإيجاز والدقة، فجاءت كلّ عبارة فيه حاملةً لمعانٍ جمّة، مجملّة تحتاج إلى فضلٍ من التوسع والتأليف. على أنّ الشيخ عاد إلى هاتيك اللمع فأوسعها تحقيقًا وتدقيقًا. وتعدّ هذه القصة - على إيجازها - من كنوز التاريخ وعميون الإنشاء.



## نُبْدَةٌ عَنْ حَيَاةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ ابْنِ عَاشُورٍ<sup>(١)</sup>

إنّ الكتب والدراسات التي ألفت حول حياة ابن عاشور، ومسيرته العلميّة والإصلاحية، بلغت - لا سيما في العقدين الأخيرين - كثرةً كثيرة، على أنّ جلّها يأخذ من بعض: يعيده ولا يحلّله إلّا لمأمًا. ولذلك قررنا التركيز الموجز على بعض الأبعاد المتّصلة بمكانة الرسول في الفكر العاشوري:

ولد محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور في مدينة تونس سنة (١٨٧٩م)، وهو ينحدر من أسرة علميّة عريقة، تعود أصولها إلى الأندلس، أندلس الفقه المالكيّ والعقيدة الأشعرية. حفظ القرآن صغيرًا، وبرز منذ طفولته في العديد من العلوم الدينية واللغوية، كالبلاغة والفقه، والكلام، واللغة والأدب.

ومن المعلوم أنّ للشيخ محمد الطاهر بن عاشور الجدّ (أو الأوّل) (١٨١٥ - ١٨٦٨م) شرحًا لقصيصة البردة البصيرية عنوانها: شفاء الجريح بشرح بردة المديح، القاهرة (١٨٧٨م)، تونس (١٩٢٢ - ١٩٢٣م). وهذا يدل على أنّ الاعتناء بالتأريخ للرسول ﷺ وآثاره إنما هو إرثٌ عائليّ عريقٌ وعادةٌ منغرسَةٌ في البيئته العائلية. وذلك بالإضافة إلى تربية

---

(١) امتاز العقدان الأخيران بتراكم الدراسات حول مسيرة ابن عاشور العلمية والسياسية. وهذه أهم المصادر المعروفة في اللغة العربية، ولكن جلّها يكرر بعضها البعض. وتحتاج المكتبة العربية إلى صياغة حياة الشيخ بشكلٍ تحليليّ علميٍّ يسלט الضوء على مساهماته الفكرية:

١ - حوليات الجامعة التونسية (العدد ٥) (١٩٦٨م)، و(العدد ٨) (١٩٧١م).

٢ - الزركلي، الأعلام (٦ / ١٧٣) (١٩٨٠م).

٣ - صادق الزمري، أعلام تونسيون، تقديم وتعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي (١٩٨٦م) عليّ أحمد العطار، الاستعارة التمثيلية في التحرير والتنوير، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، رسالة دكتوراه (١٩٩٠م).

٤ - مجلة الهداية، عدد (٣ / ٤) (١٩٦٨م).

٥ - مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد (٤)، السنة (٤)، (١٩٧٥، ١٩٧٦م).

٦ - محمد الحبيب ابن الخوجة، محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، (٣) أجزاء، طبعة وزارة الأوقاف (٢٠٠٤م) وله أيضًا: مجلة جوهر الإسلام، عدد (٣ / ٤) (١٩٦٧م).

٧ - محمد العزيز بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دائرة المعارف التونسية (١ / ٤٠ - ٤٤) (١٩٩٠م).

٨ - صفحات من تاريخ تونس، تقديم: حمادي الساحلي - الجيلاني ابن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي (١٩٨٦م).

٩ - محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين (٣ / ٣٠٤ - ٣٠٥) دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى (١٩٨٢م).

جدّه للأُم الشيخ محمد العزيز بوعتور وإجازته إيّاه في رواية الحديث سنة (١٩٠٤م)<sup>(١)</sup>.  
 تولّى الشيخ ابن عاشور - بعد فترة التحصيل - مناصب علميّة وإدارية بارزة  
 كالتدريس، والقضاء، والإفتاء، كما تمّ تعيينه شيخاً لجامع الزيتونة، وسمي حاكماً  
 بالمجلس المختلط سنة (١٩٠٩م)، ثم قاضياً مالكيّاً في سنة (١٩١١م). وارتقى إلى  
 رتبة الإفتاء، وفي سنة (١٩٣٢م)، اختير لمنصب شيخ الإسلام المالكي، ولما حذفت  
 النظارة العلميّة، أصبح أول شيخ لجامعة الزيتونة، ولكنه أبعدها لأسباب سياسيّة،  
 ليعود إلى منصبه سنة (١٩٤٥م)، وظلّ به إلى ما بعد استقلال تونس سنة (١٩٦٥م).  
 لا شكّ أنّ الإشراف على جامع الزيتونة، تدريسيّاً وإدارةً وتنظيمًا، وقد تولّاه منذ  
 (١٩٠٣م)، حتى نهاية الخمسينيات من القرن العشرين، يسهّر له تخصيص حيزٍ من أوقاته  
 لخدمة السيرة النبوية ليستعمل نتائج ذلك العمل في إحياء ليلة المولد الذي هو من مهام  
 جامع الزيتونة وشعائره المتوارثة من عقود.

والمعلوم من سيرة الشيخ أنّه شغل خطة القضاء المالكي سنة (١٩١٣م) حتى  
 (١٩٢٣م)، ثم صار باش مفتي المالكية سنة (١٩٢٧م)، ثم منصب شيخ الإسلام  
 المالكي سنة (١٩٣٢م). وهذه الوظائف الفقهية - القضائية مقترنة بالعمل الإفتائي وهو  
 ما اقتضى منه تخصيص ما يشبه الفتوى أو الجواب بجواز الاحتفال بالمولد، لا سيما بعد  
 انتشار القول ببدعيّة الاحتفال بالمولد في الأوساط المتشددة، وربما كان ذلك من تأثير  
 الحركة الوهابية التي بدأت أصدائها تنتشر بدعمٍ من المملكة العربية السعودية<sup>(٢)</sup>.

وقد عرف عن الشيخ اشتغاله الدؤوب بالعمل الصحفيّ - خاصة في الثلاثينيات  
 من القرن الماضي - وقد ساهم الشيخ فيه ولا سيما بعد تأسيس «المجلة الزيتونية»،  
 والمنار، والهداية الإسلامية، وهدى الإسلام، ونور الإسلام... ويبدو أنّ هذه المجالات  
 كانت تنشر مقالات خاصة بالسيرة، أحياناً في أعداد خاصة، مثل: عدد المجلة الزيتونية  
 الذي خصص للمولد - وذلك للاستجابة لآفاق انتظار قراء يبحثون عن مضامين تتعلق  
 بالسيرة، ومن تلك المقالات استمدّ الشيخ مادة هذا الكتاب.

(١) محمد العزيز بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دائرة المعارف التونسية (١ / ٤١) (١٩٩٠م).

(٢) تجدر الإشارة إلى أنّ الردود على الفكر الوهابي بدأت منذ وصول رسالة محمد بن عبد الوهاب سنة (١٨١٤م)  
 إلى حمودة باشا باي الذي طلب من علماء تونس آنذاك الردّ عليها، فأنجز الشيخ إسماعيل التميمي ذلك الردّ بدقّة،  
 إلحاق أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب،  
 تونس (٢٠٠١م) (٢ / ٣ / ٦٠ - ٧٥).

كما أنّ الاشتغال بتفسير القرآن ( في كتابه المعلمي: تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الشهرير ب: التحرير والتنوير ) طيلة خمسين سنة تحقيقاً وتدقيقاً، دعاه إلى تحقيق القول في الكثير من أحداث السيرة النبوية والعودة إلى أهم الأخبار والأسماء والتواريخ الواردة فيها. واللافت للنظر، أنّه ركّز كثيراً على علاقة السيرة بالقرآن، وفسّر أحدهما بالآخر، ولعلّ « قصة المولد »، بمثابة إطارٍ تاريخيٍّ عامٍّ، فضّله وعاد إليه في كامل تفسيره، وهو ما دعانا إلى العودة إليه لمعرفة تفاصيل هذه « القصة ».

وصاحبَ اشتغال ابن عاشور بالسيرة النبوية تأليفٌ لكتابين في شرح الحديث النبويّ، وهو من أقرب المواد التاريخية صلةً بالسيرة. وقد أثر - كعادته في التأليف - الاقتصاد على التحرير والتحقيق في كتابين منفردين:

الأول: النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، تونس - ليبيا ( ١٩٧٩ م )، دار سحنون ( ٢٠٠٧ م ).

والثاني: كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطأ، تونس - الجزائر ( ١٩٧٥ م )، دار سحنون ( ٢٠٠٧ م ). وقد اعتمد بشكلٍ أساسيٍّ على كتب الأحاديث الصحيحة في تحرير مواد قصة المولد.

ويعد الاحتفاء بالنموذج المحمّدي نشاطاً عائلياً من حيث تعود الشيخ على إقراء الحديث لأبنائه - ولا سيما الشيخ الفاضل ابن عاشور - الذي ذكر إجازاته ومروياته عن والده. وهذا يدلّ دلالة واضحة على المكانة الرمزية - الأخلاقية، التي تحتلها السيرة النبوية في تربية النشء وصياغة المخيال.

واعتبار النبي محمّد ﷺ رمزاً للكمال الأخلاقي، يؤهله أن يكون عنواناً للهوية المغاربية الإسلامية، لا سيما في السياق الاستعماري الذي شهد عمليات التغريب والتجنيس، فكان الاعتناء بهذا الجانب من تاريخ الإسلام والمسلمين هو الجانب الثقافي ضدّ حملات تغريب المجتمع التونسي، وهو شكّل من أشكال العودة إلى رموز الذاتية.

أ - أعماله المطبوعة<sup>(١)</sup>:

١ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار سحنون للنشر والتوزيع ( ٢٠٠٦ م )،

(١) اعتمدنا على المقال الشامل للدكتور محمد العزيز بن عاشور، الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، دائرة المعارف التونسية (١ / ٤١) (١٩٩٠ م).



- دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠١٠م).
- ٢ - أليس الصبح بقریب؟ دار سحنون للنشر والتوزيع (١٩٦٧، ١٩٨٨، ٢٠٠٦م).
- دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠١٠م).
- ٣ - التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع (١٩٩٧م) (وهذه هي الطبعة التي أحلنا عليها في تحقيقنا لقصة المولد).
- ٤ - تحقيق: الواضح في مشكلات شعر المتنبي لأبي القاسم الأصفهاني، تونس (١٩٦٨م). دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠٠٩م).
- ٥ - تحقيق لكتاب سرقات المتنبي ومشكل معانيه لابن بسام النحوي، تونس (١٩٧٠م). دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠٠٩م).
- ٦ - جمع وتحقيق لديوان النابغة الذبياني، تونس - الجزائر (١٩٧٦م). دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠٠٩م).
- ٧ - جمع وتحقيق لديوان بشار بن برد، دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠٠٩م).
- ٨ - حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات كتاب التنقيح: الفصول في الأصول، لشهاب الدين القرافي، تونس (١٩٢٣م).
- ٩ - شرح وتحقيق قلائد العقيان، للفتح بن خاقان، على شرح ابن زاكور. الدار التونسية للنشر (١٩٨٩م).
- ١٠ - شرح المقدمة الأدبية للمرزوقي في مقدمته لديوان الحماسة لأبي تمام، تونس (١٩٥٨م)، تونس - ليبيا (١٩٧٨م).
- ١١ - فتاوى الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بوزغيب، الدار المتوسطة للنشر (٢٠١١م). والجدير بالذكر أنّ الباحث، جامع الفتاوى، لم يتطرق إلى الفتوى التي افتتح بها الشيخ ابن عاشور قصة المولد حول مشروعية الاحتفال به.
- ١٢ - قصة المولد، الدار التونسية للنشر (١٩٧٢م)، وهي التي اعتمدها بشكلٍ أساسيٍّ بسبب عدم تمكننا من الاطلاع على المخطوط الأصلي.
- ١٣ - كشف المغطى من المعاني والألفاظ الواقعة في «الموطأ»، تونس - الجزائر

(١٩٧٥ م)، دار سحنون (٢٠٠٧ م). دار سحنون (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة) (٢٠١١ م).

١٤ - مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق الميساوي، دار النفائس (٢٠٠١ م)، وتحقيق الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة (٢٠٠٤ م)، طبعة وزارة الأوقاف القطرية وقد اعتمدنا كليهما.

١٥ - النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، تونس - ليبيا (١٩٧٩ م). دار سحنون (٢٠٠٧ م) (بالاشتراك مع دار السلام - القاهرة).

١٦ - الوقف وآثاره في الإسلام، جريدة النهضة، تونس، أكتوبر (١٩٣٧ م).

#### ب - مقالاته المنشورة المتصلة بالسيرة النبوية:

نودّ تخصيصها بهذا القسم لبيان مكانة السيرة النبوية في الفكر العاشوري، وأنه خصص لها جلّ مقالاته التي بعث بها إلى المجلات التونسية والمصرية، وهذا له دلالتان: الأولى: إرادة إبلاغ أفكاره حول السيرة ونشرها لدى جمهور عريض، أعرض من ذلك الذي إليه تتوجه الكتب.

الثانية: تخصيص جمهور القراء العرب المسلمين - من خلال المجلات المصرية التي كانت أكثر شيوعاً وانتشاراً من قريناتها التونسية.

١ - إعراض الرسول ﷺ عن الاهتمام بتناول الطعام، الهداية الإسلامية، مصر، المجلد (٧).

٢ - الإسراء، مجلة الهداية، يوليو (١٩٧٥ م) (ص ١١٠ - ١١٢).

٣ - الرسول ﷺ والإرشاد، مجلة الهداية، في ثلاثة أعداد: أكتوبر (١٩٧٣ م) (ص ٢٩ - ٣٤)، أبريل (١٩٧٥ م) (ص ٢٧ - ٣٠)، مارس (١٩٧٧ م) (ص ١٢ - ١٥).

٤ - الشمائل المحمدية، المجلة الزيتونية (عدد ٩) سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (ص ٤٢٦ - ٤٥٢).

٥ - الكتاب الذي هم به رسول الله ﷺ قبل وفاته، الهداية الإسلامية بمصر<sup>(١)</sup>، المجلد (١٢).

(١) لم يتمكن من الاطلاع على المقالات رقم (٦، ٧، ٩). ذكرها: محمد الحبيب ابن الخوجة، محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية (١ / ٣٢٣ - ٣٢٥)، طبعة وزارة الأوقاف (٢٠٠٤ م).

- ٦ - مجلس رسول الله ﷺ، الهداية الإسلامية، مصر، المجلد (٧).
  - ٧ - المعجزات الخفية للحضرة المحمدية (دون ذكر المصدر).
  - ٨ - المقصد العظيم من الهجرة، المجلة الزيتونية (عدد ٣)، سنة (١٣٥٨ هـ / مارس ١٩٣١ م) (٣ / ٩٤ - ٩٧).
  - ٩ - معجزة الأمة، الهداية الإسلامية، مصر، المجلد (١٠).
  - ١٠ - نسب الرسول ﷺ، المجلة الزيتونية (عدد ٩) سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (ص ٤١٦ - ٤٢٤).
  - ١١ - وفود العرب في الحضرة النبوية، الهداية في (٥) أعداد: (مارس ١٩٧٨ م) (ص ٢٥ - ٣٠)، (مايو ١٩٧٨ م) (ص ٥١ - ٥٤)، (سبتمبر ١٩٧٨ م) (ص ١٧ - ٢١)، (نوفمبر ١٩٨٢ م) (ص ١٧ - ٢١)، (يناير ١٩٨٣ م) (ص ٤١ - ٤٥).
- ج - كتبه التي لم تطبع أو هي بصدد الطبع:
- ١ - أصول التقدم في الإسلام.
  - ٢ - أصول الإنشاء والخطابة.
  - ٣ - آمالي على مختصر خليل.
  - ٤ - آمالي على دلائل الإعجاز.
  - ٥ - تحقيق وتصحيح لكتاب الاقتضاب في شرح أدب الكتاب، لابن السيد البطلوسي.
  - ٦ - تحقيق لشرح القرشي على ديوان المتنبي.
  - ٧ - تاريخ العرب.
  - ٨ - تعليق وتحقيق على شرح حديث أم زرع.
  - ٩ - تعليق على المطول وحاشية السيلكوتي.
  - ١٠ - تحقيق و تعليق على كتاب « مقدمة في النحو » المنسوب إلى محرز بن خلف الأحمر.
  - ١١ - تراجم لبعض الأعلام.
  - ١٢ - تصحيح و تعليق على كتاب الانتصار لجالينوس للحكيم ابن زهر.

- ١٣ - جمع وشرح « ديوان سحيم » .  
 ١٤ - شرح قصيدة الأعشى .  
 ١٥ - شرح معلقة امرئ القيس .  
 ١٦ - غرائب الاستعمال .  
 ١٧ - قضايا شرعية وأحكام فقهية وآراء اجتهادية ومسائل علمية .  
 ١٨ - مجموع فتاوى ورسائل فقهية .  
 ١٩ - مراجعات تتعلق بكتايب: معجز أحمد واللامع للعزيزي .  
 ٢٠ - موجز البلاغة .

### ونختم هذه العجالة بشهادتين لعلمين عاصرا الشيخ:

الأولى: كتبها أشهر أقرانه، الشيخ محمد الخضر حسين، شيخ الجامع الأزهر، الذي وصف صديقه قائلاً:

« وللاستاذ فصاحة منطق، وبراعة بيان، ويضيف إلى غزارة العلم وقوة النظر، صفاء الذوق، وسعة الاطلاع في آداب اللغة... كنت أرى فيه لساناً لهجته الصدق، وهمّة طمّاحة إلى المعالي، وجدّاً في العمل لا يمسّه كلال، ومحافظه على واجبات الدين وآدابه... وبالإجمال ليس إعجابي بوضاءة أخلاقه وسماحة آدابه بأقل من إعجابي بعبقريته في العلم»<sup>(١)</sup>.

والثانية: للشيخ محمد البشير الإبراهيمي قائلاً:

« علم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره، فهو إمام متبحّر في العلوم الإسلامية، مستقلّ في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الدّرع بتحمّلها، نافذ البصيرة في معقولها، وافر الاطلاع على المنقول منها، أقرأ، وأفاد، وتخرّجت عليه طبقاتٌ ممتازةٌ في التحقيق العلميّ»<sup>(٢)</sup>.

د - وفاته:

توفي في تونس - بالمرسى - يوم الأحد ( ١٢ أغسطس سنة ١٩٧٣ م )، عن عمرٍ يناهز الثمانية والتسعين عاماً.

(١) محمد الخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة ( ص ١٢٥ ، ١٢٦ )، محمد محفوظ، تراجم المؤلفين التونسيين ( ص ٣٠٦ ) .

(٢) نقلاً عن الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، شيخ الإسلام، محمد الطاهر ابن عاشور ( ١ / ١٦٩ ، ١٧٠ ) .

وخلاصة هذه المسيرة الثرية أنّ الشيخ كان مؤرخاً محققاً، متشبعاً بجلّ مصادر الفكر الإسلامي، عارفاً بدقائق مظانّه، أمضى كلّ حياته في تحقيق مسائله، وبسط المعقوليّة والتاريخيّة على أنحائه، مقصياً - بدقيق البرهنة ورشيق الاستدلال - ما داخل هذا الفكر من ألوان المبالغة والتكلف.

ولا جرم أن بقي الرجل - وهو شيخ الإسلام - في نطاق دائرة الإيمان، مدافعاً عن قدسيّة الرموز الدينيّة، منافعاً عن مظاهر الكمال فيه، رغم ما زين كتاباته من روح التحرّر، وجودة التحرير.

أ. د. مجّم الدين خَلَف الله

جامعة لوران، فرنسا، باريس،  
ديسمبر ٢٠١٣ م

السيرة النبوية

قصة المولد

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## [ ديباجة ]

١ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ لِلنَّاسِ فِي ظُلْمَةِ الضَّلَالَةِ بَدْرَ الْهُدَى، وَبَلَّ بِغَيْثِ الرَّشَادِ الْمُحَمَّدِيِّ مَا لَحِقَ طِينَةَ قُلُوبِهِمْ مِنْ صَدَا، وَرَفَعَ قَدْرَ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ وَأَعْلَى مَقَامَهُ، وَبَعَثَهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ فِي الدُّنْيَا وَعَرَصَاتِ<sup>(١)</sup> الْقِيَامَةِ، وَأَمَرَ أُمَّتَهُ بِتَعْظِيمِهِ، فَنبههم لذلك بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ<sup>(٢)</sup>، وَالنَّهْيِ عَنِ رَفْعِ الصَّوْتِ عِنْدَهُ، وَالتَّقْدِيمِ بَيْنَ يَدَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

٢ - اللَّهُمَّ فَصَّلْ عَلَيْهِ صَلَاةً تَكُونُ بَيْنَ أَيْدِينَا نُورًا، وَتَزْدَادُ بِهَا نَضْرَةً وَسُرُورًا<sup>(٤)</sup>، وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ خَصَّصْتَهُمْ بِمَزَايَا الشَّرَفِ، وَأَطْلَعْتَهُمْ فِي سَمَاءِ الْفَضَائِلِ بُدُورًا، مَا يَشِينُهَا كَلْفٌ<sup>(٥)</sup>، وَارْضَ عَنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ أُثْبِتَ رِضَاكَ عَنْهُمْ فِي كِتَابِكَ إِعْلَانًا<sup>(٦)</sup>، الَّذِينَ هَاجَرُوا وَنَصَرُوا وَأَثَرُوا ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الحشر: ٨]، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر: ١٠]، فَأَنْعِمْ بِهِمْ إِخْوَانًا.

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) العَرَصَاتُ: السَّاحَاتُ الواسعة.

(٢) إشارة إلى الآية الشهيرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(٣) إشارة إلى الآيتين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَقْرَبُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١، ٢].

(٤) تضمين للآية: ﴿وَلَقَدْهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١].

(٥) الكلف: النقص في القمر.

(٦) الإشارة إلى الآية: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُوكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].





## مقدمة

٣ - أما بعد، فهذه سحابة أظلت بذكر الفضائل المحمّديّة، فبثّ رشاشها. وزجاجة ملئت من عطر الأخلاق النبويّة، فيها لُفوس السّامعين انتعاشها، لو وزنت بأغلى الدرر واليواقيت لما علّت سوّمًا على السّامع فلقال: هات أو هيّت<sup>(١)</sup>، وكيف لا؟ وإنّ مالأها لمن زلال شرف الرّسول، وإنثاق لوامع برّوها يُشام<sup>(٢)</sup> منه خير غيث هطول.

٤ - أثرت فيها جمع لمع كافية للذين تعلّقت قلوبهم بمحبّته، وأخبار غير واهية الأساس من مختار عيون سيرته؛ إذ كان قد أغنى هذه الأُمَّة عن التّشبث بما ليس بمحجّة الثبوت، ولقنّها أن ترتباً عنها بإشارة قوله: ﴿وإنّ أوهن البُيوت﴾ [العنكبوت: ٤١].

٥ - فكَذلك ينبغي أن يكون المسلمون فيما يُبيّتون من شؤونهم وأوضاعهم، وعلى ذلك الخلق علماءهم وأشياهم، فإنّ هذا الدّين تربيّ بما أمده الله من صحيح كثير، عن أن يلقّق له شاعِب<sup>(٣)</sup> كلّ مُتّلم أو كسير، فلا يحقّ لِحملته أن يشوبوه بما يُكدر منه صفو صفاته، وأن ينسوا ما خصّت به هذه الأُمَّة من صحّة بلوغ الدّين ورواياته.

٦ - فعلى ذلك النير<sup>(٤)</sup> قد سديت مُحكم هذا النسيج، وكذلك تفرّعت أفنان هذه الشّجرة الطيّبة على ما انفتق عنه ذلك الوشيج<sup>(٥)</sup>.

٧ - دعاني إليه<sup>(٦)</sup> الاتّساء بأفاضل الأُمَّة، الذين ألهمهم الله صرف الهمة، إلى العناية بتعظيم اليوم الذي يوافق من كلّ عام، يوم ميلاد محمّد، رسوله، عليه الصّلاة والسّلام؛

(١) هيّت أداة تعجب. تقول العرب: هيت للحلم وهيت لك، وهيت لك: أي أقبل. قال الزجاج: وأكثرها هيّت لك بفتح الهاء والتاء. ابن منظور، لسان العرب (هـ. ي. ت).

(٢) يقال: شام السحاب أو البرق: نظر إليه ليرى أين يمطر.

(٣) الشاعِب: المتفرق، الفاسد، المنكسر. والكلمة هنا كناية عن الأحاديث والأخبار الضعيفة التي لا يمكن أن تعتمد في سيرة النبي ﷺ وإثبات فضائله.

(٤) النير: القصب والخيط إذا اجتمعت، والنير: العلم، وفي الصحاح: علم الثوب ولحمته أيضًا. ابن سيده: نير الثوب علّمه والجمع أنيار. ابن منظور، لسان العرب (ن. ي. ر). وهو هنا كناية عن النهج والخط المتبع في كتابة هذا الكتاب.

(٥) الوشيج: عرق الشجرة وليف يُقتل ثم يُشد به ما يحمل، ويقال: وشجت العروق والأغصان أي: اشتبكت. ابن منظور، لسان العرب (و. ش. ج). وهو هنا كناية عن أغصان السيرة النبوية وما يتفرع عنها من دروس وعبر. (٦) أي: ما شجعتني على تأليف هذا الكتاب.

إذ كانوا قد عدّوه عيدًا، ورَمَوْا بِرَشِيْقٍ نَبَلٍ عُقُولِهِمْ بِذَلِكَ مَرَمَى بَعِيدًا، عَلِمْنَاهُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي التَّنْوِيهِ بِشَهْرِ رَمَضَانَ: ﴿ شَهْرٌ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

٨ - فَأَيُّ يَوْمٍ أَسْعَدُ مِنْ يَوْمٍ أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ لِلْعَالَمِ مَوْلودًا كَانَ الْمُتَقَدِّمُ مِنَ الصَّلَاةِ، أَخْرَجَ بِهِ النَّاسَ مِنْ ظُلُمَاتِ الشُّرْكِ وَمَنَاقِصِ الْجَهَالَةِ. وَإِذَا كَانَتِ الْأَعْيَادُ الثَّابِتَةُ فِي الدِّينِ قَدْ جَاءَتْ عَلَى مُنَاسَبَةِ الْفَرَاغِ مِنْ عِبَادَاتٍ مَشْرُوعَةٍ، فَذُكِرَى الْوَاسِطَةَ الْعُظْمَى فِي تَبْلِيغِ ذَلِكَ يَحْتَقُ أَنْ تَكُونَ مُشِيدَةً مَرْفُوعَةً.

٩ - وَأَوَّلُ مَنْ عَلِمْتُهُ صَرَفَ هَمَّتَهُ إِلَى الْاِحْتِفَالِ بِالْيَوْمِ الْمُوَافِقِ يَوْمَ مَوْلِدِ الرَّسُولِ ﷺ، فِيمَا حَكَاهُ ابْنُ مَرْزُوقٍ<sup>(١)</sup>، هُوَ الْقَاضِي أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْعَزْفِيُّ<sup>(٢)</sup> السَّبْتِيُّ الْمَالِكِيُّ<sup>(٣)</sup> فِي أَوَاسِطِ الْقَرْنِ السَّادِسِ. وَتَبِعَهُ عَلَيْهِ ابْنُهُ الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدٌ، مِنْ عُلَمَاءِ الْقَرْنِ السَّادِسِ، وَأَوَائِلِ السَّابِعِ. وَاسْتَحْسَنَهُ جَمْهُورُ مُشَيْخَةِ الْمَغْرِبِ، وَوَصَفُوهُ: بِالْمَسْلُوكِ الْحَسَنِ<sup>(٤)</sup>.

١٠ - قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبُرْزُلِيُّ<sup>(٥)</sup>: « مِيلَادُ النَّبِيِّ ﷺ، مَوْسَمٌ يُعْتَنَى بِهِ فِي الْحَوَاضِرِ تَعْظِيمًا لَهُ ».

١١ - وَكَانَ شَأْنُ أَهْلِ الْخَيْرِ إِحْيَاءَ لَيْلَةِ الْمَوْلِدِ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ، وَمَعُونَةَ آلِهِ، وَمُسَاهَمَتِهِمْ<sup>(٦)</sup>، وَالْإِكْتِنَازَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَأَعْمَالِ الْبِرِّ، وَإِغَاثَةَ الْمَلْهُوفِ، مَعَ مَا تَسْتَجْلِبُهُ

(١) ابن مرزوق، عالم دين ورجل دولة. ولد في تلمسان سنة (١٣١٠هـ)، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٧٩هـ). تتلمذ على شيخه شعيب، أبي مدين في سنة (١٣٥٣هـ)، كان يعمل مدرسًا في مدرسة يوسف الأول بغرناطة. من بين طلبته ابن الخطيب وابن زمرق.

(٢) العزفي بفتحين، نسبة إلى جدّه أبي عزة اللخمي وهو تلميذ القاضي أبي بكر ابن العربي، كذا في ذيل اللباب. (المصنّف).

(٣) أبو العبّاس أحمد ابن القاضي أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن محمد اللخمي، المعروف بابن أبي عزة. ولد سنة (٥٥٧هـ)، وهو من أعلام عصره بسببته. كان فقيهاً جليلاً اشتهر بعلمه وعمّله. لزم التدريس بمدينة سبتة مدة طويلة، تتلمذ عليه كثير من الطلبة.

(٤) ورّد في «أزهار الرّياض»: أنّ أحمد العزفي شرّع في إنشاء كتاب سماء: الدرّ المنظّم بمولد النبي الأعظم، وأتمّه ابنه. (المصنّف).

(٥) أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي المعروف بالبرزلي (ت ٨٤١هـ)، ألف كتاب «جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام» المعروف اختصارًا بـ «فتاوى البرزلي»، دراسة وتحقيق وفهرسة محمد الحبيب هيلة (٧ أجزاء (٤٠٠٠) صفحة، دار الغرب الإسلامي، بيروت (٢٠٠٢م).

(٦) إعطاؤهم سهمًا أي: نصيبًا من الخير والصدقة على سبيل الإحسان والمكارة.

المَسْرَةُ مِنْ مُبَاحِ اللّٰهُوَ الْمُرْخَصِ فِي مِثْلِهِ بِنَصِّ السَّنَةِ<sup>(١)</sup>.

١٢ - وشاع ذلك في بلادِ المَغْرِبِ والأَنْدَلُسِ. ولَمَّا رَحَلَ العَلَمَةُ أَبُو الحَطَّابِ عُمَرُ، المَعْرُوفُ بِابْنِ دِحْيَةَ البَلَنْسِيِّ، الأَنْدَلُسِيِّ، المَالِكِيِّ<sup>(٢)</sup>، رَحَلَتْهُ الشَّهِيرَةُ إِلَى المَشْرِيقِ، أَوَّلَ القَرْنِ السَّابِعِ، وَأَتَصَلَ بِالمَلِكِ الجَلِيلِ، مُظَفَّرِ الدِّينِ، أَبِي سَعِيدِ كَوَكْبُورِيِّ<sup>(٣)</sup>، بِنِ زَيْنِ الدِّينِ، كَوَجِكَ عَلِيِّ، صَاحِبِ إِرْبِلَ<sup>(٤)</sup>، حَسَنَ الشَّيْخِ لِلْمَلِكِ التَّسَنُّنَ بِهَذَا السَّنَنِ، فَرَغِبَتْ هِمَّتُهُ فِي الاتِّسَامِ بِمِيسَمِ أَفْضَلِ الزَّمَنِ، لِذَلِكَ أَقَامَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَسَمَائَةِ<sup>(٥)</sup> حَفْلًا عَظِيمًا، وَأَنْشَأَ لَهُ ابْنُ دِحْيَةَ كِتَابًا سَمَاهُ: التَّنْوِيرُ بِمَوْلِدِ السَّرَاحِ المُنِيرِ<sup>(٦)</sup>؛ لِيُقْرَأَ فِي ذَلِكَ اليَوْمِ، وَجَعَلَ

(١) ربّما يشير المؤلفُ إلى الحديث التالي: «عَنْ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَكَانَ يَوْمَ عِيدِ، يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالذَّرَقِ وَالْحِرَابِ، فَإِنَّمَا سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَإِنَّمَا قَالَ ﷺ: «تَشْتَهَيْنَ تَنْظِيرِينَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ. فَأَقَامَنِي وَرَآهُ، خَدَيْ عَلَى خَدَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ»، حَتَّى مَلَلْتُ، قَالَ: «حَسْبِكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ: «فَذهَبِي»، صَحِيحُ البُخَارِيِّ (٢٠/٢) كتاب العيدين، باب الحِرَابِ وَالدَّرَقِ يَوْمَ العِيدِ، وَ (٤٧/٤) كتاب الجهاد، باب الدَّرَقِ.

(٢) ابن دِحْيَةَ الكَلْبِيِّ (٥٤٤ - ٦٣٣ هـ) هُوَ أَبُو الحَطَّابِ، عَمْرُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ... بِنِ دِحْيَةَ بْنِ فُرُوهِ الكَلْبِيِّ، المَعْرُوفِ بِذِي النَّسَبَيْنِ الأَنْدَلُسِيِّ البَلَنْسِيِّ الحَافِظِ. وَهُوَ أَدِيبٌ، مُؤَرِّخٌ، حَافِظٌ لِلحَدِيثِ، مِنْ أَهْلِ سَبْتَةَ بِالأَنْدَلُسِ، وَوَلِيَ قِضَاءَ دَانِيَةِ، وَرَحَلَ إِلَى مَرَّكَشَ وَالشَّامِ وَالعِرَاقِ وَخِرَاسَانَ، وَاسْتَقَرَّ بِمِصْرَ. مِنْ تَأْلِيفِهِ: الإِبْتِهَاجُ فِي أَحَادِيثِ المِعْرَاجِ، أَداء مَا وَجِبَ مِنْ بَيَانِ وَضْعِ الوَضَاعِينَ فِي رَجَبِ، الِارْتِقَاءُ إِلَى أَفْضَلِ الرُّقِيِّ، الإِرْشَادُ فِي الحِضِّ عَلَى طَلَبِ الرِّوَايَةِ وَالإِسْنَادِ، تَارِيخُ الأُمَّمِ فِي أَنْسَابِ العَرَبِ وَالعِجْمِ، التَّحْقِيقُ فِي مَنَاقِبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ، تَنْبِيهِ البِصَائِرِ فِي أَسْمَاءِ أُمِّ الكِبَائِرِ، المَطْرَبُ مِنْ أَشْعَارِ أَهْلِ المَغْرِبِ، نَهَايَةُ السُّوْلِ فِي خِصَائِصِ الرُّسُولِ، التَّنْوِيرُ فِي مَوْلِدِ السَّرَاحِ المُنِيرِ. الزَّرْكَلِيُّ، الأَعْلَامُ (٥/٤٤).

(٣) مُظَفَّرُ الدِّينِ أَبُو سَعِيدِ كَوَكْبُورِيِّ بِنِ زَيْنِ الدِّينِ عَلِيِّ بْنِ بَكْتَكِينِ بْنِ مُحَمَّدٍ (١١٥٣ - ١٢٣٢ م) حَاكِمُ إِرْبِلَ فِي عَهْدِ صِلَاحِ الدِّينِ الأَيُّوبِيِّ. دَخَلَ تَحْتَ إِمْرَةِ هَذَا الأَخِيرِ دُونَ حَرْبٍ. شَارَكَ مُظَفَّرُ الدِّينِ فِي مَعْظَمِ الحُرُوبِ الَّتِي خَاضَهَا صِلَاحُ الدِّينِ ضِدَّ الصِّلِيبِيِّينَ بَدَأَ مِنْ فَتْحِ حِصْنِ الكَرْكِ سَنَةَ (١١٨٤ م)، كَمَا تَوَلَّى قِيَادَةَ جِيُوشِ المَوْصِلِ وَالجَزِيرَةِ فِي مَعْرَكَةِ حَطَّيْنِ. وَقَدْ أَوْصَى بِبِلَادِهِ إِلَى الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ المَسْتَنْصِرِ إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَرَثَةٌ.

(٤) إِرْبِيلُ أَوْ إِرْبِلَ، مَرْكَزُ مَحَافِظَةِ أَرْبِيلَ وَعَاصِمَةُ إِقْلِيمِ كَرْدِسْتَانَ العِرَاقِ. وَهِيَ رَابِعُ مَدِينَةٍ مِنْ حَيْثُ المَسَاحَةِ فِي العِرَاقِ، تَبْعَدُ عَنِ بَغْدَادِ حَوَالِي (٣٦٠) كِيلُومِتْرًا. وَمَعْظَمُ سَكَانِ المَدِينَةِ حَالِيًا مِنْ الأَكْرَادِ بِالإِضَافَةِ إِلَى أَقْلِيَّاتٍ أُخْرَى.

(٥) المَوَافِقُ لِسَنَةِ (١٢٠٩ م).

(٦) قَالَ المُوَرِّخُ ابنُ كَثِيرٍ: «كَانَ ابْنُ دِحْيَةَ مِنْ أَعْيَانِ العُلَمَاءِ وَمَشَاهِيرِ الفُضَلَاءِ، مُتَقَنَّناً لِعِلْمِ الحَدِيثِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ، عَارِفًا بِالنَّحْوِ وَاللُّغَةِ وَأَيَّامِ العَرَبِ وَأَشْعَارِهَا. اشْتِغَلَ بِبِلَادِ المَغْرِبِ ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ، ثُمَّ إِلَى العِرَاقِ وَاجْتَازَ بِإِرْبِلَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسَمَائَةِ، فَوَجَدَ مَلِكَهَا المُعَظَّمُ مُظَفَّرُ الدِّينِ بْنِ زَيْنِ الدِّينِ يَعْنِي بِالمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، فَعَمَلَ لَهُ كِتَابَ (التَّنْوِيرِ فِي مَوْلِدِ السَّرَاحِ المُنِيرِ) وَقَرَأَهُ عَلَيْهِ بِنَفْسِهِ، فَأَجَازَهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ. قَالَ: وَقَدْ سَمِعْتُهُ عَلَى المَلِكِ المَعْظَمِ فِي سَنَةِ مَجَالَسَ فِي سَنَةِ سِتِّ وَعَشْرِينَ وَسَمَائَةِ، قُلْتُ: وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى هَذَا الكِتَابِ وَكَتَبْتُ مِنْهُ أَشْيَاءَ حَسَنَةً مَفِيدَةً. ابنُ كَثِيرٍ، البِدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (١٣ / ١٤٤، ١٤٥)، الطَّبَعَةُ (٢) سَنَةَ (١٩٧٧ م) مَكْتَبَةُ المَعَارِفِ - بَيْرُوتَ. انظُرْ تَفَاصِيلَ هَذِهِ القِصَّةِ، الفَاضِلُ ابنُ عَاشُورَ، الَّتِي نَقَلَهَا عَنِ ابْنِ خَلِّكَانَ: وَفَيَّاتِ الأَعْيَانِ وَأَنْبَاءِ أبنَاءِ الزَّمَانِ: كَيْفَ نَشَأَ احْتِفَالُ المَوْلِدِ فِي بِلَادِ =

يُعيدُ قراءتهُ كُلَّ عامٍ، تارَةً في اليَوْمِ الثاني، وتارَةً في اليَوْمِ الثاني عَشَرَ من ربيعِ الأوَّل. فهو أوَّلُ المُلوِكِ، نَظَمَ هَذَا الاحتفالَ في سِلْكِ رُسُومِ دَوْلَتِهِ.

١٣ - وأوَّلُ مَنْ سَلَكَ هَذَا المَسَلَكِ من مُلوِكِ المَغْرِبِ، السُّلْطَانُ أبو عَنانِ المَرِينِيّ<sup>(١)</sup>. ونَحَا ذَلِكَ النَحْوِ السُّلْطَانُ الجَلِيلُ أبو فارسِ عبدِ العَزِيزِ بنِ أَحْمَدَ الحَفْصِيّ<sup>(٢)</sup>، سُلْطَانُ تونِسَ، وَعَيَّنَ لذلِكَ لَيْلَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ من ربيعِ الأوَّل. فَكَمَ أَغْدَقَ في تِلْكَ اللَّيَالِي من خَيْرَاتِ، وَأَجْرَى مِنْ عَوَائِدِ وَصِلَاتِ<sup>(٣)</sup>.

١٤ - ثُمَّ لَحِقَتْ بِهِذِهِ الإِيالَةَ سُدَائِدُ وَمَحَنٌ، وَأَنْطَوَى مِنْ بَهْجَةِ الدَّوَلَةِ الحَفْصِيَّةِ ذَلِكَ البِسَاطُ الحَسَنُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْ تِلْكَ الرُّسُومِ، إِلَّا مَا يَنْبَغُ عَنْ أَرْيَحِيَّةِ أَهْلِ الطَّرِيقِ، أَوْ أَصْحَابِ العُلُومِ. حَتَّى قَيَّضَ اللَّهُ لِتَجْدِيدِ مَا رَثَ مِنْهَا، وَتَلْقِيمِ مَا ذَوَى مِنْ شَجَرَتِهَا وَتَفَرِّعِ مِنْهَا، الأَمِيرَ السَّامِيَّ الهِمَّةِ، الرَّامِيَّ إِلَى مَعَالِي الأُمُورِ عَنْ قَوْسِ أَرَأْسِ سَهْمِهِ<sup>(٤)</sup>، الفَائِزَ بِتَعْظِيمِ قَدْرِ المُصْطَفَى، المُشِيرَ الأوَّلَ أَحْمَدَ بَاشَا، ابْنَ المُصْطَفَى<sup>(٥)</sup>، تَوَرَّ اللَّهُ مَقَرَّ

=الإسلام؟ المَجَلَّةُ الزَيْتُونِيَّةُ (عدد ٩) سنة (١٣٥٦ هـ) (١ / ٤٦٣).

(١) أبو عَنانٍ، فَارِسِ بنِ عَلِيٍّ، وَلَدِ بَافَاسِ سنة (١٣٢٩ م). وَهُوَ حَاكِمُ مَرِينِيٍّ. وَقَدْ حَلَفَ وَالِدُهُ أَبُو الحَسَنِ عَلِيٌّ ابْنَ عَثْمَانَ كَسُلْطَانَ لِلْمَغْرِبِ سنة (١٣٤٨ م). قَتَلَهُ وَزِيرُهُ حَتْفًا سنة (١٣٥٨ م). اتَّخَذَ لَهُ لِقَبِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ وَابْنِ مَدْرَسَةِ مَكْنَسِ سنة (١٣٥٠ م). كَانَ أَبُو عَنانٍ مِنَ المَوْلَعِينَ بِنِيبَاءِ الزَوَايَا، حَيْثُ اشْتَهَرَ عَصْرُهُ بِكثْرَتِهَا وَمَا تَرَأَى آثارَهَا بَاقِيَةً إِلَى الآنَ فِي المَغْرِبِ. ابْنُ الخَطِيبِ، رَفَمَ الحُلُلَ فِي نَظْمِ الدُّوَلِ (ص ٨٤) المَطْبَعَةُ العُمُومِيَّةُ، تونِسَ (١٣١٦ م).  
(٢) أَبُو فَارِسِ عَبْدِ العَزِيزِ المَلْقَبُ بِالمَتَوَكَّلِ عَلَى اللَّهِ، وَوُلِدَ بِالقُسْطَنْطِينَةِ (الجَزَائِرِ) سَنَةَ (١٣٦٢ م) وَهُوَ سُلْطَانُ حَفْصِيٍّ حَكَمَ فِيهَا بَيْنَ عَامَيْ (١٣٩٤ م) وَ (١٤٣٤ م). وَقَدْ اعْتَبَرَهُ المُوَرِّخُ رُوبَارِ بَرْنَشْفِيكُ مِنَ آخِرِ كِبَارِ السُّلْطَانِينَ الحَفْصِيِّينَ؛ إِذْ كَانَ مُحْتَرَمًا فِي الدَّخْلِ وَمُهَابًا فِي الخَارِجِ. وَعَرَفَتْ البِلَادُ فِي عَهْدِهِ عَصْرًا مِنَ الأَزْدَهَارِ. وَيَبْدُو أَنَّ ذَلِكَ كَانَ نَتِيجَةَ سِيَاسَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ الَّتِي تَمَيَّزَتْ بِتَوْحِيدِ البِلَادِ، فَقَدْ قَامَ مِنْذُ بَدَايَةِ عَهْدِهِ بِتَعْيِينِ صُبَّاطٍ مِنَ المَوَالِي عَلَى رَأْسِ المَدِينِ الكَبْرَى، ثُمَّ قَضَى عَلَى جُيُوبِ الثَّوْرَةِ عَلَى السُّلْطَانَةِ المَرْكَزِيَّةِ بِبَعْضِ مَدِينِ الجَنُوبِ التُّونِسِيِّ، وَقَدْ تَمَّ لَهُ ذَلِكَ فِيمَا بَيْنَ عَامَيْ (١٣٩٧ - ١٤٠٢ م). وَقَدْ أَوَّلَى أَبُو فَارِسٍ عَزُوزَ اِهْتِمَامًا خَاصًّا بِكُلِّ مَا يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ، مِنْ خِلَالِ اِهْتِمَامِهِ بِعِلْمَاءِ الدِّينِ وَبِالأَشْرَافِ، كَمَا رَكَزَ الاحتفالَ بِالمَوْلِدِ النُّبَوِيِّ، وَأَقَامَ عِدَدًا مِنَ المُنشآتِ الدِّينِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ. رُوبَارِ بَرْنَشْفِيكُ، تَارِيخُ إِفْرِيْقِيَّةِ فِي العَهْدِ الحَفْصِيِّ، مِنَ القَرْنِ (١٣) إِلَى نِهَايَةِ القَرْنِ (١٥)، تَعْرِيبُ هَمَادِي السَّاحِلِي، دَارُ الغَرْبِ الإِسْلَامِيِّ، بِيروَتِ (١٩٨٨ م) (١ / ٢٤١ - ٢٦٩).

(٣) انظُرْ تَفَاصِيلَ الاحتفالِ بِالمَوْلِدِ النُّبَوِيِّ فِي تونِسَ خِلَالَ عَصْرِ البَابَاتِ فِي المَقَالِ المُتَمِّعِ الَّذِي كَتَبَهُ المُوَرِّخُ التُّونِسِيُّ مُحَمَّدُ ابْنِ الخَوْجَةِ وَعَنَوْنَهُ: مُرُورُ مِائَةِ عَامٍ عَلَى تَأْسِيسِ حَفْظَةِ مَوْلَدِيَّةٍ رَسْمِيَّةٍ بِتونِسَ. صَدَّرَ هَذَا البَحْثُ النُّفَيْسُ بِنَفْسِ العَدَدِ الخَاصِّ بِالمَوْلِدِ فِي المَجَلَّةِ الزَيْتُونِيَّةِ (عدد ٩) سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (١ / ٤٦٧ - ٤٧٣).

(٤) أَرَأْسُ السَّهْمِ: أَلزُّقُ عَلَيْهِ الرِّيشُ. ابْنُ مَنظُورٍ، لِسَانُ العَرَبِ (ر. ي. ش.).

(٥) أَحْمَدُ بَايِ بِنِ مِصْطَفَى أَوْ أَحْمَدُ بَاشَا بَايِ أَبُو العَبَّاسِ أَحْمَدُ بَاشَا هُوَ ابْنُ مِصْطَفَى بَايِ، وَقَدْ تَوَلَّى الحُكْمَ فِيمَا بَيْنَ (١٠ أكتوبر ١٨٣٧ م - ٣٠ مايو ١٨٥٥ م) وَهُوَ عَاشَرَ البَابَاتِ الحَسِينِيَّةِ بِتونِسَ. شَهْرُ بَزِيَارَتِهِ إِلَى بَارِيسِ مَعَ =

رُوحِه بِنُورِ مَا لَهُ أَنْطِفَا<sup>(١)</sup>.

١٥ - فَاَمَرَ بِإِقَامَةِ حَفَلَاتٍ لِلَيْلَةِ الْمَوْلِدِ وَيَوْمِهِ، بِحَاضِرَةِ تُونَسِ، وَمَدِينَةِ الْقَيْرَوَانِ، وَأَجْرَى لَذَلِكَ النَّفَقَاتِ، مَا فِيهِ وَفَاءً بِالْإِحْسَانِ، وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِ الْمَدَافِعِ الْحَرَبِيَّةِ مِنَ الْقِلَاعِ، بَيْنَةَ التَّسْلِيمِ عَلَى أَفْضَلِ الرُّسُلِ، عَلَى صِفَةِ أَعْظَمِ تَحِيَّةٍ لِلْمَلُوكِ فِي اصْطِلَاحِ الدُّوَلِ.

١٦ - وَكَتَبَ لَهُ الْعَلَّامَةُ، شَيْخُ الْإِسْلَامِ، أَبُو إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمُ الرَّيَّاحِيُّ<sup>(٢)</sup>، فِي ذِكْرِ الْمَوْلِدِ مُخْتَصَرًا مِنْ مَوْلِدِ الْمُقَدَّسِ الشَّيْخِ مُصْطَفَى الْبَكْرِيِّ الْمِصْرِيِّ<sup>(٣)</sup>.

١٧ - وَجَاءَ مِنْ بَعْدِهِ الْأَمِيرُ الْجَلِيلُ، الْخَائِضُ لِعِمْرَاتِ الْعُلَا بَعَزْمِ صَارِمِ صَقِيلِ، وَالَّذِي كَانَ لِأَعْمَالِ ابْنِ عَمِّهِ خَيْرَ نَاسِقٍ، الْمُشِيرُ الثَّالِثُ، مُحَمَّدُ الصَّادِقُ<sup>(٤)</sup>.

١٨ - فَاَمَرَ بِتَعْمِيمِ الْإِحْتِفَالِ بِالْمَوْلِدِ فِي جَمِيعِ مُدُنِ الْإِيَالَةِ<sup>(٥)</sup>، وَأَجْرَى لَهَا مِنْ مَالِ

= أحمد ابن أبي الضياف سنة (١٨٤٦م) وبتأثره بملوك فرنسا. ويروي هذا المؤرخ التونسي أخبار تعلقه بالنبي ﷺ. انظر: ابن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان (٤ / ٥٣-٥٤). طبعة وزارة الثقافة (١٩٩٩م).

(١) حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ هُنَا مِرَاعَاةً لِلْقَضْرِ.

(٢) الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ أَحْمَدَ الرَّيَّاحِيِّ التُّونِسِيِّ. وَلَدَ سَنَةَ (١٧٦٦م) فِي تَسْتُورٍ وَنَشَأَ وَتَوَفَّى فِي مَدِينَةِ تُونَسِ، وَوَلَّى رِئَاسَةَ الْفَتَاوَى فِيهَا. تَخَرَّجَ عَلَى أَيْدِي الْعُلَمَاءِ مِثْلَ: صَالِحِ الْكُوشِ وَمُحَمَّدِ الْفَاسِيِّ وَعَمْرِ الْمَحْجُوبِ وَحَسَنِ الشَّرِيفِ وَإِسَاعِيلِ التَّمِيمِيِّ. وَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَرَقَّى فِي سَلْمِ الْمَعَارِفِ إِلَى أَنْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِمَامَةِ الْكُبْرَى بِجَامِعِ الزَيْتُونَةِ وَرِئَاسَةِ الْفَتَاوَى. تَوَلَّى التَّدْرِيسَ فِي الزَيْتُونَةِ وَجَامِعِ صَاحِبِ الطَّابِعِ. اعْتَنَى الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ الرَّيَّاحِيُّ بِتَدْرِيسِ تَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ وَشَرْحِ الْقُسْطَلَانِيِّ عَلَى صَحِيحِ الْبِخَارِيِّ، وَتَخْتَصَرِ خَلِيلِ فِي الْفِقْهِ الْمَالِكِيِّ، فَأَقْبَلَ عَلَى دُرُوسِهِ الْعِدَدَ الْكَبِيرَ مِنْ طُلَبَةِ الْعِلْمِ. تَرَكَ عِدَّةَ فَنَائِي مُحَرَّرَةً، وَخُطَبًا جَمِيعَةً، وَهِيَ حَوَاشِي كِتَابِهَا فِي النُّحُوِّ وَالْعَرُوضِ. كَمَا كَانَ مِنْ بَيْنِ مَنْ رَدَّ عَلَى رِسَالَةِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الَّتِي وَجَّهَهَا إِلَى بَايِ تُونَسِ. لَهُ دِيْوَانٌ شَعَرَ تَوَلَّى تَحْقِيقَهُ وَإِخْرَاجَهُ كُلَّ مِنَ الْأَسْتَاذِ مُحَمَّدِ الْيَعْلَاوِيِّ وَالْأَسْتَاذِ حَمَادِيِّ السَّاحِلِيِّ. وَجَمَعَتْ رِسَائِلُهُ وَخُطْبَتُهُ فِي كِتَابِ سَمِّيَ: «تَعْطِيرُ النَّوَاحِي بِتَرْجُمَةِ الشَّيْخِ سَيِّدِي إِبْرَاهِيمِ الرَّيَّاحِيِّ». أَلَّفَ أَيْضًا قِصَّةً لِأَحْيَاءِ ذِكْرِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ. مُحَمَّدُ بْنُ عَثْمَانَ السَّنُوسِيِّ، مُسَامِرَاتِ الظَّرِيفِ (١ / ٤٠) تَحْقِيقُ الشَّاذَلِيِّ النَّيْفَرِيِّ.

(٣) صَاحِبُ كِتَابِ «الْمَوْرِدُ الرَّوِّيُّ فِي الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ» وَهُوَ قُطْبُ الدِّينِ مُصْطَفَى الْبَكْرِيِّ الْخَلُوتِيِّ، الدَّمَشْقِيُّ، الشَّهِيرُ بِالْقُطْبِ الْبَكْرِيِّ الْمُتَوَفَّى (١١٦٢هـ).

(٤) مُحَمَّدُ الصَّادِقُ بَايِ (١٨١٣م - ١٨٨٢م)، بَايِ تُونَسِ الثَّانِي عَشَرَ، تَوَلَّى مَنَصِبَهُ سَنَةَ (١٨٥٩م) إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ. بَرَزَ خِلَالَ حُكْمِهِ عَهْدَ الْأَمَانِ الَّذِي يَنْصُ عَلَى تَحْقِيقِ الْعَدْلِ بَيْنَ الرَّعِيَّةِ، وَيُؤَكِّدُ حُقُوقَ الْأَجَانِبِ فِي الْمَمْلَكَةِ وَهُوَ مَا سَيَسْمَحُ لَهُمُ بِالْتَدَخُّلِ فِي الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ. كَمَا أَصْدَرَ خِلَالَ عَهْدِهِ أَوَّلَ دَسْتُورِ تُونَسِيٍّ بَدَأَ الْعَمَلُ بِهِ يَوْمَ (٢٦) أْبْرِيلِ (١٨٦١م). وَيَنْصُ هَذَا الدَسْتُورُ عَلَى تَنْظِيمِ الْحَيَاةِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْفَصْلِ بَيْنَ السُّلْطَانِ الثَّلَاثِ وَالْحَدِّ مِنْ سُلْطَةِ الْبَايِ. وَلَكِنْ وَقَعَ الْإِغَاوَةُ سَنَةَ (١٨٦٤م) إِثْرَ ثَوْرَةِ عَلِيِّ بْنِ غِذَاهِمِ.

(٥) أَي: الْوَالَايَةُ؛ لِأَنَّ تُونَسَ كَانَتْ آنَ ذَاكَ وَالَايَةَ عِشَائِنِيَّةً تَابِعَةً لِلصَّادِقِ الْأَعْظَمِ فِي إِسْطَنْبُولِ.

الدَّوْلَةَ عَطَايَا فِيهَا كِفَايَةٌ وَفَضَالَةٌ، فَهِيَ إِلَى الْيَوْمِ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ مِنْ مَبْنَعِ عَيْنِ الْحُكُومَةِ، مُخَلَّدَةٌ بِهَا مَأْتَرٌ فِي الْمَحَاسِنِ لَهُ مَعْلُومَةٌ، وَتَرَكَهَا سُنَّةً بَاقِيَةً فَيَمَنْ بَعْدَهُ، فَتَلَا حَقُوا فِي الْوَفَاءِ بِحَقِّهَا، وَشَدُّوا عَقْدَهُ<sup>(١)</sup>.

١٩ - وَكَمْ مِنْ لُطْفٍ خَفِيِّ حَفَّ بِهِذِهِ الْبِلَادِ، لَعَلَّهُ مِنْ بَرَكَاتِ هَذَا الْاِعْتِنَاءِ. قَالَ ابْنُ الْجَوَزِيِّ<sup>(٢)</sup>:

« مِمَّا جَرَّبَ مِنْ بَرَكَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَنَّ الْاِحْتِفَالَ يَوْمَ مَوْلِدِهِ أَمَانٌ فِي ذَلِكَ الْعَامِ، وَبُشْرَى لِمَنْ فَعَلَهُ بِنَيْلِ الْمَرَامِ »<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) مُعْظَمُ مَوَادِّ هَذَا الْفَصْلِ مَأْخُودَةٌ مِنْ بَحْثِ تَارِيخِي مُطَوَّلٍ، قَامَ بِهِ نَجَلُ الشَّيْخِ ابْنِ عَاشُورٍ، الشَّيْخِ الْفَاضِلِ ابْنِ عَاشُورٍ، وَعَنْوَنَهُ: كَيْفَ نَشَأَ اِحْتِفَالُ الْمَوْلِدِ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ؟ وَقَدْ صَدَّرَ هَذَا الْبَحْثَ بِنَفْسِ الْعَدَدِ الْخَاصِّ بِالْمَوْلِدِ فِي الْمَجْلَةِ الزَيْتُونِيَّةِ، عَدَدُ (٩)، سَنَةِ (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (١ / ٤٦٢ - ٤٦٦).

(٢) ابْنُ الْجَوَزِيِّ: أَبُو الْفَرَجِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ الْقُرْشِيِّ التِّيمِيِّ الْبَكْرِيِّ (١١١٦ - ١٢٠١ م) وَهُوَ فَقِيهٌ حَنْبَلِيٌّ، مُحَدِّثٌ وَمُؤَرِّخٌ وَمَتَكَلِّمٌ؛ وَلِدُّهُ وَتَوَفَّى فِي بَغْدَادَ. حَظِي بِشَهْرَةٍ وَاسِعَةٍ، فِي الْخِطَابَةِ وَالْوَعْظِ وَالتَّصْنِيفِ. اَنْظُرْ: شَدْرَاتُ الذَّهَبِ فِي اَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ، لِأَبِي الْفَتْحِ عَبْدِ الْحَيِّ بْنِ الْعِمَادِ الْحَنْبَلِيِّ، دَارُ اِحْيَاءِ التَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، بَيْرُوتَ.

(٣) لَمْ نَعْنُزْ عَلَى هَذَا النَّصِّ فِي تَأْلِيفِ ابْنِ الْجَوَزِيِّ. وَلَعَلَّ هَذَا النَّصَّ مَوْجُودٌ فِي قِصَّةِ الْمَوْلِدِ الَّتِي اَشَارَ اِلَيْهَا الْبَاحِثُ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْحَيِّ الْكُتَاتَانِي بِقَوْلِهِ: « وَجَدْتُ عَلَى ظَهْرِ مَوْلِدٍ مَطْبُوعٍ بِالْمَكْتَبَةِ الْاِنْسِيَّةِ بِبَيْرُوتِ عَامِ (١٣٣٠ هـ) عُنْوَانُهُ مَوْلِدُ الْجَوَزِيِّ الشَّهِيرِ بِالْعُرُوسِيِّ وَهِيَ الطَّبْعَةُ الثَّلَاثَةُ اَوَّلُهُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اُبْرَزَ مِنْ عِنْدِهِ عُرُوسَ الْخِطْرَةِ صَبْحًا مَنِيرًا... » الْمَجْلَةُ الزَيْتُونِيَّةِ، عَدَدُ (٩)، سَنَةِ (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (١ / ٤٨٠).

## نسب رسول الله ﷺ (١)

٢٠ - هو مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ (٢) بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٣) بْنِ هَاشِمٍ (٤) بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ (٥) ابْنِ قُصَيٍّ (٦) بْنِ حَكِيمٍ (٧) ( وَيُلَقَّبُ: كِلَابًا )، ابْنِ مُرَّةَ (٨) بْنِ كَعْبٍ (٩)، .....

(١) وَرَدَّ هَذَا الْفَصْلُ بِشَكْلِ مُفْصَّلٍ فِي مَقَالِ لَابِنِ عَاشُورٍ، صَدَرَ فِي الْمَجَلَّةِ الزَيْتُونِيَّةِ (عَدَد ٩) (سَنَةِ ١٣٥٦هـ/ ١٩٢٩م) (ص ٤١٦ - ٤٢٤). عُنْوَانُهُ: نَسَبُ الرَّسُولِ ﷺ.

(٢) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (٥٤٤ - ٥٧١ م)، هُوَ وَالِدُ النَّبِيِّ، كَانَ يُكْنَى: أَبُو قُتَيْبٍ، وَأَبُو أَحْمَدٍ. ذَكَرَ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ: «كَانَ عَبْدُ اللَّهِ، أَبُو رَسُولِ اللَّهِ، أَصْغَرَ وُلْدِ أَبِيهِ، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ وَالزَّيْبِرُ وَعَبْدُ مَنَافٍ - وَهُوَ أَبُو طَالِبٍ - بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لَأُمٍّ وَاحِدَةٍ، هَذَا فِي رِوَايَةِ ابْنِ إِسْحَاقٍ». وَرَوَى هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَبُو رَسُولِ اللَّهِ، وَأَبُو طَالِبٍ وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ وَالزَّيْبِرُ وَعَبْدُ الْكَعْبَةِ وَعَاتِكَةُ وَبِرَّةٌ وَأَمِيمَةُ وَلَدَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِخْوَةً». ابْنِ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (١ / ٩٤ - ٩٧)، دَارُ صَادِرٍ، بَيْرُوتِ.

(٣) «وَأَمَّا جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَاسْمُهُ عَامِرٌ فِي قَوْلِ ابْنِ قَتَيْبَةَ، وَشَيْبَةُ فِي قَوْلِ ابْنِ إِسْحَاقٍ وَغَيْرِهِ وَهُوَ الصَّحِيحُ. وَقِيلَ: سُمِّيَ شَيْبَةً لِأَنَّهُ وَلِدٌ فِي رَأْسِهِ شَيْبَةٌ. وَأَمَّا غَيْرُهُ مِنَ الْعَرَبِ مِمَّنْ اسْمُهُ شَيْبَةٌ فَإِنَّمَا قُصِدَ فِي تَسْمِيَتِهِمْ هَذَا الْاسْمَ التَّفَاوُلَ لِمَنْ يَبْلُغُ سِنَّ الْخَنِكَةِ كَمَا سَمَّوْا بِهِ (هَرَمٌ وَكَبِيرٌ). عَاشَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ مِائَةً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَكَانَ لِدَّةَ عَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ الشَّاعِرِ، غَيْرَ أَنْ عَيْدًا مَاتَ قَبْلَهُ بِعِشْرِينَ سَنَةً». السُّهَيْلِيُّ، الرَّوَضُ الْأَنْفُ (١ / ٧).

(٤) هَاشِمٌ هُوَ عَمْرُو الْعُلَا «وَهُوَ اسْمٌ مَنْقُولٌ مِنْ أَحَدِ أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ مِنَ الْعُمُرِ الَّذِي هُوَ الْعُمُرُ أَوْ الْعَمْرُ الَّذِي هُوَ مِنْ عُمُورِ الْأَسْنَانِ، وَقَالَه الْقَتَيْبِيُّ، أَوْ الْعَمْرُ الَّذِي هُوَ طَرَفُ الْكُمِّ، يُقَالُ: سَجَدَ عَلَى عَمْرِيهِ أَيْ عَلَى كُمِّيهِ، أَوْ الْعَمْرُ الَّذِي هُوَ الْقَرَطُ (...). وَزَادَ أَبُو حَنِيفَةَ وَجْهًا خَامِسًا، فَقَالَ فِي الْعُمُرِ الَّذِي هُوَ اسْمٌ لِنَخْلِ السُّكَّرِ وَيُقَالُ فِيهِ عَمْرٌ أَيْضًا، قَالَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَحَدُ الْوُجُوهِ الَّتِي بِهَا سُمِّيَ الرَّجُلُ عَمْرًا»، وَهَاشِمٌ بْنُ عَبْدِ مَنَافٍ هُوَ الْجَدُّ الثَّانِي لِلنَّبِيِّ. ارْتَفَعَ شَأْنُهُ بَعْدَ أَبِيهِ، وَإِلَيْهِ يُنْسَبُ الْهَاشِمِيُّونَ. وَهُوَ أَوَّلٌ مِنْ سَنِّ رَحَلَتِي الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ لِقَرِيشٍ. وَأَوَّلٌ مِنْ أَطْعَمَ الثَّرِيدَ بِمَكَّةَ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقٍ: «اسْمُهُ كَانَ عَمْرُو وَإِنْ تَسْمِيَتُهُ هَاشِمًا كَانَتْ لِهَشْمَةِ الْخَبِزِ لِعَمَلِ الثَّرِيدِ بِمَكَّةَ لِقَوْمِهِ سَنَةَ الْمِجَاعَةِ. كَانَ هَاشِمٌ مُوسِرًا غَنِيًّا، وَيَعْمَلُ بِالتَّجَارَةِ، وَكَانَ يَتَوَلَّى أُمُورَ السَّقَايَةِ وَالرَّفَادَةِ. تُوْفِيَ بِغَزَاةٍ عِنْدَ بَنِي عَمِّ قَبِيلَةِ قَرِيشٍ، وَقَبْرُهُ مَعْرُوفٌ هُنَاكَ بِمَسْجِدِ السَّيِّدِ هَاشِمٍ». السُّهَيْلِيُّ، الرَّوَضُ الْأَنْفُ (١ / ٧).

(٥) عَبْدُ مَنَافٍ، اسْمُهُ: الْمُغِيرَةُ بْنُ قُصَيٍّ بْنِ كِلَابٍ بْنِ مَرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤْيِ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ابْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِيْلَاسِ بْنِ مَضَرَ بْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدَانَ بْنِ عَدْنَانَ، سِيرَةُ ابْنِ هِشَامٍ.

(٦) قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ بْنِ مَرَّةَ (٤٠٠ - ٤٨٠ م) هُوَ الْجَدُّ الثَّانِي لِشَيْبَةَ بْنِ هَاشِمٍ، الْمَشْهُورُ بِاسْمِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَهُوَ الْجَدُّ الرَّابِعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. حَصَلَ عَلَى نَفُوزٍ وَاسِعٍ فِي مَكَّةَ. وَيُعْتَبَرُ أَشْهُرَ سَيِّدٍ فِي قَرِيشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. حَيْثُ إِنَّهُ انْتَصَرَ لِقَرِيشٍ عَلَى بَاقِي قَبَائِلِ كِنَانَةَ وَخَزَاعَةَ حِينَئِذٍ أَخْرَجَهُمْ مِنْ مَكَّةَ، وَجَعَلَ سُكْنَى مَكَّةَ خَاصَّةً بِقَرِيشٍ.

(٧) كِلَابُ بْنُ مَرَّةَ، أَبُو زَهْرَةَ، هُوَ الْجَدُّ الْخَامِسُ لِلنَّبِيِّ ﷺ. كَانَ يَسْكُنُ قَرِيْبًا مِنْ مَكَّةَ مَعَ بَنِي كِنَانَةَ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَسْتَوْلِيَ ابْنَهُ قُصَيٌّ عَلَى مَكَّةَ.

(٨) مَرَّةُ بْنُ كَعْبِ بْنِ لُؤْيِ بْنِ غَالِبِ بْنِ فَهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خَزِيمَةَ بْنِ مَدْرَكَةَ بْنِ إِيْلَاسِ بْنِ مَضَرَ ابْنِ نَزَارِ بْنِ مَعْدَانَ بْنِ عَدْنَانَ.

(٩) كَعْبُ بْنُ لُؤْيِ، الْجَدُّ السَّابِعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، كَانَ سَيِّدَ قَبِيلَةِ كِنَانَةَ. وَقِيلَ: إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِهَذَا الْاسْمِ. =

ابن لُؤَيٍّ<sup>(١)</sup> بن غالب<sup>(٢)</sup> بن فهر، (وهو قريش)<sup>(٣)</sup>، ابن مالك<sup>(٤)</sup> بن النضر<sup>(٥)</sup>، بن كِنَانَةَ<sup>(٦)</sup>، ابن خزيمة<sup>(٧)</sup> بن مُدْرَكَةَ<sup>(٨)</sup> بن إلياس<sup>(٩)</sup> بن مُضَرَّ<sup>(١٠)</sup> بن نزار، (واسمه خلدان) ابن مَعَدِّ<sup>(١١)</sup>، ابن عَدْنَانَ<sup>(١٢)</sup>.

ولم يُثَبِّتْ - بِالْتَحْقِيقِ - مَا فَوْقَ عَدْنَانَ.

٢١ - رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(١٣)</sup> أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، رَفَعَ نَسَبَهُ إِلَى عَدْنَانَ، ثُمَّ قَالَ: « كَذَبَ النَّسَابُونَ »، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا<sup>(١٤)</sup>.

= وكان يُكْنَى أبا هَاصِصٍ.

(١) لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(٢) غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. (٣) فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. ذكر بعض المؤرخين أنه قريش ولكن أغلبيتهم أنكروا ذلك، وذكروا أن قريشًا الذي تنتسب له قبيلة هو جده النضر بن كنانة. ولهذا عدّه بعض المؤرخين بقريش الأوسط باعتبار أنّ النضر بن كنانة هو قريش الأكبر، وقصي بن كلاب هو قريش الأصغر. قال الطبري في تاريخه: « وكان فهر في زمانه رئيس الناس بمكة ».

(٤) مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(٥) النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وهو نفسه قريش عند كثير من النسابين.

(٦) كنانة بن خزيمة بن مدركة، الجد الثالث عشر للنبي ﷺ. وإليه تُنسب قبيلة كنانة.

(٧) خزيمة بن مدركة، الجد الرابع عشر للنبي ﷺ، ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

(٨) مدركة بن إلياس، الجد الخامس عشر للنبي ﷺ، يُكنى بأبي هذيل أو أبي خزيمة.

(٩) إلياس بن مضر، الجد السادس عشر للنبي ﷺ، زوج خندف، جدّة القبائل الخندفية.

(١٠) مضر، الجد السابع عشر للنبي ﷺ، وكان يكنى بابنه إلياس، وكان يقال له: مضر الحمراء، أحد الشعينين الرئيسين اللذين تنقسم إليهما القبائل العربية العدنانية، إلى جانب ربيعة ويُطلق عليهم اسم المضرين.

(١١) نزار بن معد، الجد الثامن عشر للنبي ﷺ. قال الطبري: قيل: إن نزارًا كان يُكنى أبا إياد، وقيل: بل كان يكنى أبا ربيعة.

(١٢) إليه يرجع العرب، لذلك يُقال لهم: العرب العدنانية.

(١٣) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم النبي محمد ﷺ، صحابي جليل، شُهرَ بألقاب عديدة منها: حَبْرُ الأمة، وفقيهاها، وإمام التفسير وترجمان القرآن... وُلِدَ ببني هاشم قبل الهجرة بثلاث سنين. وكان النبي ﷺ يُدنيه منه وهو طفل ويربّت على كتفه قائلاً: « اللهم فقّه في الدين وعلمه التأويل » [ أخرجه الإمام أحمد في مسنده

( ٢٣٩٧ ) بترقيم الشيخ شاكر وزين رحمه الله، والطبراني في الكبير (١٠٦١٤)].

(١٤) هناك اتفاق أن النسب النبوي يتوقف عند عدنان. وفيما بعد عدنان إلى إسماعيل، فيه خلاف كثير، ومنع بعضهم الرفع في النسب على عدنان تمسكًا بأنه ليس فيها وراء عدنان إلى آدم طريق صحيح كما صرح به النووي.

قال القضاعي في عيون المعارف في أخبار الخلائف: وقد روي أن النبي ﷺ قال: « لا تجاوزوا معد بن عدنان، كذب

النسابون » ثم قرأ: ﴿ وَرَوْنَا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ [ الفرقان: ٣٨ ] « ولو شاء أن يعلمه علمه ». وذكر التوزري الخطابي في شرح =



٢٢ - وفي رواية أن رسول الله ﷺ، زاد فذكر: عدنان بن أدد<sup>(١)</sup>.

وأنفق أهل الأنساب على أن عدنان من عقب إسماعيل<sup>(٢)</sup> بن إبراهيم الخليل<sup>(٣)</sup>. وثبت ذلك بنص القرآن؛ إذ جعل العرب أبناء إبراهيم في قوله تعالى: ﴿مِثْلَ آبَائِكُمْ إِِبْرَاهِيمَ هُوَ

= الشقراطيسية: أنه ﷺ كَرَّرَ: « كذب النسابون ». مرتين أو ثلاثاً قال: والصحيح أنه قول ابن مسعود. ويروى عن عمر ابن الخطاب ؓ أنه قال: « إنما نسب إلى عدنان، وما فوق ذلك لا ندري ما هو »، وعن عروة بن الزبير ؓ، أنه قال: « ما وجدنا أحداً يعرف ما فوق عدنان وإسماعيل إلا تحريصاً ». ويحكى عن مالك بن أنس ؓ أنه سئل عن الرجل يرفع نسبه إلى آدم ؑ، ففكره ذلك. فقيل له: فإلى إسماعيل: فأنكر ذلك. وقال: ومن يخبر به! والذي عليه البخاري وغيره من العلماء موافقة ابن إسحاق على رفع النسب. أما ما يتفرع عن الأنساب عن عمود النسب النبوي فلا خفاء. انظر: نهاية الأرب للقلقشندي .

(١) قال ابن عساکر: « (...) عن ابن إسحاق، قال: رسول الله ﷺ، محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أدي بن أدد، وليس في رواية يونس عن ابن إسحاق ابن أدد، قال: ابن عدنان بن أدد. زاد يونس عن ابن إسحاق بعد أدد ابن المقوم بن ناخور بن ثارح بن يعرب...، تاريخ مدينة دمشق (٣ / ٥٥).

(٢) تزجّم الشيخ ابن عاشور في تفسيره لإسماعيل فكتب: « وإسماعيل اسم الابن البكر لإبراهيم - عليهما السلام - وهو ولده من جاريته هاجر القبطية، ولد في أرض الكنعانيين، بين قادش وبارد سنة (١٩١٠ ق.م) عشر وتسعمائة وألف قبل ميلاد المسيح. ومعنى إسماعيل بالعبرية سمع الله أي: إجابة الله؛ لأن الله استجاب دعاء أمه هاجر؛ إذ خرجت حاملاً بإسماعيل مفارقة الموضوع الذي فيه سارة مولاتها حين حدث لسارة من الغيرة من هاجر لما حملت هاجر. ولم يكن لسارة أبناء يومئذ، وقيل: هو معرب عن يشمعييل بالعبرانية، ومعناه: الذي يسمع له الله. ولما كبر إسماعيل رأى إبراهيم رؤيا وحي أن يذبحه فعزم على ذبحه ففداه الله، وإسماعيل يومئذ الابن الوحيد لإبراهيم قبل ولادة إسحاق، وكان إسماعيل مقبياً بمكة حول الكعبة، وتوفي بمكة سنة (١٧٧٣ ق.م) ثلاث وسبعين وسبعائة وألف قبل ميلاد المسيح تقريباً، ودفن بالحجر الذي حول الكعبة ». التحرير والتنوير (١ / ٧١٩).

(٣) كما تزجّم الشيخ ابن عاشور، لإبراهيم قائلاً: « إبراهيم اسم الرسول العظيم، الملقب بالخليل وهو إبراهيم ابن تارح (وتسمي العرب تارح آزر) ابن ناحور بن سروج بن رغو، بن فالج، بن عابر، بن شالح، بن أرفكشاد، بن سام بن نوح، هكذا تقول التوراة. ومعنى إبراهيم في لغة الكلدانيين: أب رحيم أو أب راحم. قاله السهيلي وابن عطية. وفي التوراة: أن اسم إبراهيم إبرام، وأن الله لما أوحى إليه وكلمه أمره أن يُسَمَّى إبراهيم؛ لأنه يجعله أباً لجمهور من الأمم، فمعنى إبراهيم - على هذا - أبو أمم كثيرة. ولد في أور الكلدانيين سنة (١٩٩٦ ق.م) ست وتسعين وتسعمائة وألف قبل ميلاد المسيح، ثم انتقل به والده إلى أرض كنعان (وهي أرض الفينيقيين) فأقاموا بحاران (هي حوران)، ثم خرج منها لقمط أصاب حاران فدخل مصر، وزوجه سارة، وهناك رام ملك مصر افتكاك سارة، فرأى آية صرفته عن مرماه، فأكرمها وأهداها جارية مصرية اسمها هاجر وهي أم ولده إسماعيل، وسماه الله بعد ذلك إبراهيم، وأسكن ابنه إسماعيل وأمه هاجر بوادي مكة، ثم لسا شب إسماعيل بنى إبراهيم البيت الحرام هناك. وتوفي إبراهيم سنة (١٧٧٣ ق.م) ثلاث وسبعين وسبعائة وألف قبل ميلاد المسيح ». التحرير والتنوير (١ / ٧٠١، ٧٠٢).

سَمَنَكُمْ الْمَسْلُوبِينَ مِنْ قَبْلُ ﴿ [الحج: ٧٨] <sup>(١)</sup>.

٢٣ - وفي أعلام النبوة <sup>(٢)</sup>: « أن نزاراً كان - في زمن يستاسب، ملك الفُرس <sup>(٣)</sup> - رهينة عن عرب مكة <sup>(٤)</sup>، على عادة الأمم يومئذ في إعطائهم أشراف قومهم رهائن عند الملوك الغالبين، وأن الملك يستاسب لقبه نزاراً، وتفسيره باللغة القديمة الفهلوية <sup>(٥)</sup>: يا مهزول؛ لأنه كان نحيفاً.

٢٤ - وكان معداً أيضاً قد بقي مدة رهينة عند بختنصر <sup>(٦)</sup> ملك بابل <sup>(٧)</sup>، بعد أن حارب

(١) يقول الشيخ في تفسيره: « والملة: الدين والشريعة ». وقوله: ﴿ وَتِلْكَ آيَاتُكُمُ الْبُرْهَانِ ﴾ [الحج: ٧٨] زيادة في التنويه بهذا الدين وتحضيض على الأخذ به بأنه اختص بأنه دين جاء به رسولان إبراهيم ومحمد - صلى الله عليهما وسلم - وهذا لم يستتب لدين آخر، وهو معنى قول النبي ﷺ: « أنا دعوة أبي إبراهيم » أي: بقوله: ﴿ رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٩]، وإذ قد كان هذا هو المقصود فمحمل الكلام أن هذا الدين دين إبراهيم، أي أن الإسلام احتوى على دين إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - ومعلوم أن للإسلام أحكاماً كثيرة ولكنه اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من الشرائع الأخرى من دين إبراهيم، جعل كأنه عين ملة إبراهيم، فعلى هذا الاعتبار يكون انتصاب ﴿ وَتِلْكَ آيَاتُكُمُ الْبُرْهَانِ ﴾ على الحال من « الدين » باعتبار أن الإسلام حوى ملة إبراهيم. ثم إن كان الخطاب موجهاً إلى الذين صحبوا النبي ﷺ فإضافة أبوة إبراهيم إليهم باعتبار غالب الأمة؛ لأن غالب الأمة يومئذ من العرب المصربية، وأما الأنصار فإن نسبهم لا ينتمي إلى إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - لأنهم من العرب القحطانيين؛ على أن أكثرهم كانت لإبراهيم عليهم ولادة من قبل الأمهات. وإن كان الخطاب لعموم المسلمين كانت إضافة أبوة إبراهيم لهم على معنى التشبيه في الحرمة واستحقاق التعظيم كقوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ يَدْعُوا إِلَىٰ أُمَّةٍ نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولأنه أبو النبي محمد ﷺ، ومحمد له مقام الأبوة للمسلمين، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ يَدْعُوا إِلَىٰ أُمَّةٍ نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولأنه أبو النبي محمد ﷺ، ومحمد له مقام الأبوة للمسلمين، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ يَدْعُوا إِلَىٰ أُمَّةٍ نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولأنه أبو النبي محمد ﷺ، ومحمد له مقام الأبوة للمسلمين، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ يَدْعُوا إِلَىٰ أُمَّةٍ نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٦]، ولأنه أبو النبي محمد ﷺ، ومحمد له مقام الأبوة للمسلمين، وقد قرئ قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ يَدْعُوا إِلَىٰ أُمَّةٍ نَحْنُ نَعْبُدُ اللَّهَ ﴾ [الأحزاب: ٦].

(٢) لأبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت ٢٧٥ هـ).

(٣) ذكره ابن خلدون: « وقال الطبري: ويقال له الرائد وكان على عهد يستاسب وحافده أردشير يمن ابن ابنه إسفنديار من ملوك الفرس وأنه شخص من اليمن غازياً... ».

(٤) مكة بها مولد النبي ﷺ وفيها المسجد الحرام والكعبة، قبلة المسلمين. تقع غرب السعودية، وتبعد عن المدينة حوالي (٤٠٠) كيلومتر في الاتجاه الجنوبي الغربي، وعن الطائف حوالي (١٢٠) كيلومتراً في اتجاه الشرق.

(٥) اللغة الفهلوية أو البهلوية هي الفارسية الوسطى، تطورت عبر عهود مديدة. فاللغة الفهلوية الأشكانية استخدمت في عهد سلالة الأشكانيين من القرن الثالث قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثاني بعد الميلاد. ثم سادت اللغة الفهلوية الساسانية في عهد الحكم الساساني من أوائل القرن الثالث الميلادي حتى سنة (٦٥١) ميلادي.

(٦) بختنصر الكلداني (٦٠٥ - ٥٦٣ ق.م) أشهر ملوك الدولة البابلية، قاد الجيوش البابلية في معارك حاسمة على منطقة بلاد الشام ودمر عدة ممالك في حملتين، وسبى الكثيرين من سكان بلاد الشام، وبنى الحدائق المعلقة التي تعد من عجائب الدنيا.

(٧) عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي حيث كان البابليون يحكمون أقاليم ما بين النهرين، وحكمت سلالة البابليين الأولى تحت حكم حمورابي (١٧٩٢ - ١٧٥٠ ق.م)، في معظم مقاطعات ما بين النهرين، وأصبحت بابل =

بِلَادِ الْعَرَبِ، وَمَا رَجَعَ مَعَدًّا إِلَى قَوْمِهِ إِلَّا بَعْدَ هَلَاكِ بُحْتَنَصَرَ<sup>(١)</sup>.

٢٥ - وَأُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ<sup>(٢)</sup> بِنْتُ عَبْدِ مَنَاةِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ<sup>(٣)</sup>، فَزَهْرَةُ أُخُو قُصَيٍّ، جَدِّ النَّبِيِّ ﷺ.

٢٦ - وَلَيْسَ لِأَبَوَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلَدٌ سِوَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَمَزَ رَبَّائِي مُشِيرٌ إِلَى مَعْنَى فَذَاذَتِهِ<sup>(٤)</sup>.

٢٧ - وَتُوفِّيَ أَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ فِي مُدَّةِ الْحَمْلِ بِهِ، عَلَى الْمَشْهُورِ الصَّحِيحِ. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي يَثْرِبَ<sup>(٥)</sup> عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ<sup>(٦)</sup>. مَرَضَ فِي رِحْلَتِهِ إِلَى يَثْرِبَ. وَكَانَتْ أُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهِيَ سَلْمَى بِنْتُ عَمْرِو النَّجَّارِيَّةِ<sup>(٧)</sup>.

٢٨ - وَتُوفِّيَتْ أَمْنَةُ ابْنَتَهُ وَهَبٍ وَعُمُرُهُ سِتُّ سِنِينَ. تُوفِّيَتْ بِمَوْضِعٍ يُقَالُ لَهُ: الْأَبْوَاءُ<sup>(٨)</sup>، بَيْنَ مَكَّةَ وَيَثْرِبَ. وَكَانَتْ قَدِمَتْ يَثْرِبَ مَعَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأُمُّ أَيْمَنَ<sup>(٩)</sup> حَاضِنَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لِزِيَارَةِ أَخْوَالِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ. وَقَبْرُهَا بِالْأَبْوَاءِ.

٢٩ - وَثَبَّتْ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ زَارَ قَبْرَ أُمِّهِ بِالْأَبْوَاءِ فِي طَرِيقِهِ، فِي إِحْدَى غَزَاوَاتِهِ، وَبَكَى عِنْدَهُ<sup>(١٠)</sup>.

=العاصمة التي تقع على نهر الفرات التي اشتهرت بحضارتها. وبلغ عدد ملوك سلالة بابل (١١) ملكًا حكموا ثلاثة قرون (١٨٩٤ ق.م - ١٥٩٤ ق.م). في هذه الفترة بلغت حضارة المملكة البابلية أوج ازدهارها وانتشرت فيها اللغة البابلية بالمنطقة كلها، حيث ارتقت العلوم والمعارف والفنون وتوسعت التجارة لدرجة كبيرة.

(١) قيل: كان عمر نزار حين الخروج به إلى بابل اثنتي عشرة سنة. (المصنف).

(٢) أمنة بنت وهب الزهرية القرشية هي أم النبي، ماتت وعمره (٦) سنوات، سنة (٥٧٥ م).

(٣) تقدم ذكرهم.

(٤) فذاذته: أي تفرده في الحُسن والنبوة والحكمة. والفذاذة هي الفِراذة.

(٥) يثرب: الاسم الأصلي للمدينة قبل هجرة الرسول إليها. سميت يثرب بهذا الاسم نسبة إلى يثرب بن قايبة ابن مهلائيل. شاع اسم يثرب قديمًا ووجد في نقوش غير عربية فظهر في جغرافية بطليموس اليوناني باسم يثربا، وفي كتاب اسطفان البيزنطي باسم يثرب. استوطنتها قبيلة عيبيل بقيادة يثرب التي سميت باسمه ووجدوا فيها أرضًا خصبة وشجرًا واما. ولكنها اكتسبت مكانتها المقدسة بعد هجرة الرسول إليها، وصارت تسمى المدينة المنورة.

(٦) بنو النجار أخوال عبد الله، والد النبي، وهم من قبيلة الخزرج الأنصارية.

(٧) زوجة هاشم سلمى بنت عمرو بن زيد بن ليبيد النجارية الخزرجية، ولدت له: عبد المطلب والشفاء.

(٨) الأبواء مركز تابع لمحافظة رابغ شمال مكة ويمر بها وادي الأبواء، وكانت في الجاهلية وصدر الإسلام من ديار بني ضمرة من قبيلة كنانة.

(٩) أم أيمن رضي الله عنها حاضنة الرسول ﷺ.

(١٠) عن ابن عباس: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَ أُمِّهِ أَمْنَةَ بِنْتِ وَهَبٍ، فَلَمَّا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ خَرَجَتْ بِهِ إِلَى أَخْوَالِهِ بَنِي

## طهارة النسب الشريف<sup>(١)</sup>

٣٠ - لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا أَفْضَلَ رُسُلِهِ، وَقَدَّرَ أَنْ يَبْعَثَهُ بِشَرِيعَةٍ هِيَ أَقْوَمُ سُبُلِهِ، قَدَّرَ لَهُ أَكْمَلَ الْفَضَائِلِ فِي ذَاتِهِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ، وَجَعَلَ فِي أَوَّلِ ذَلِكَ طَهَارَةً نَسَبِيَّةً، حَتَّى لَا تُوَضَّعَ جَوْهَرُهُ الْفَرِيدَةَ فِي غَيْرِ صَدَفٍ أَمْثَالِهَا، وَلَا تُزَنُّ<sup>(٢)</sup> بِنَقِيصَةٍ تَلْتَصِقُ بِبَدْنِهَا أَوْ مَالِهَا.

٣١ - فَأَظْهَرَ مِنْ أَكْرَمِ الْأَصْلَابِ وَالْأَرْحَامِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي عَمُودِ نَسَبِهِ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ مَجْلَبَةِ الشُّكُوكِ وَالْأَوْهَامِ، لِأَنَّ بَعْضَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ يُعَدُّ مِنَ الْحَرَامِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَرْعٌ تَمَّازِي بِهِ الْأَفْعَالِ فِي الْأَحْكَامِ؛ بَلْ لِأَنَّ الْعُقُودَ الْمُسَمَّاةَ بِالنِّكَاحِ هِيَ أَزْفَعُ مَقَامًا، وَأَبْعَدُ عَنِ أَنْ تُسَامَ دَامًا، وَالنَّسَبُ بِهَا أَوْثَقُ اتِّصَالًا، فَقَصَرَ اللَّهُ تَسَلُّلُ<sup>(٣)</sup> رَسُولِهِ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ؛ لِثَلَا يَكُونَ فِي نَسَبِهِ غَضَاضَةٌ، وَلَا مُوجِبُ انْتِقَاصٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا بَعْدَهَا.

٣٢ - رَوَى عِيَاضُ<sup>(٤)</sup> فِي الشِّفَاءِ<sup>(٥)</sup> عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ النَّسَابَةِ<sup>(٦)</sup>، أَنَّهُ

عَدِيَّ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ تَزَوَّجَهُمْ بِهِ، وَمَعَهُ أُمُّ أَيْمَنَ تَحْضَنُهُ وَهُمْ عَلَى بَعِيرَيْنِ، فَنَزَلَتْ بِهِ فِي دَارِ النَّابِغَةِ، فَأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْرًا، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ أُمُورًا كَانَتْ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ، لَمَّا نَظَرَ إِلَى أُطْمِ بِنْتِ عَدِيَّ بْنِ النَّجَّارِ عَرَفَهُ، وَقَالَ: « كُنْتُ أَلَاعِبُ أُبَيْسَةَ جَارِيَةَ مِنَ الْأَنْصَارِ عَلَى هَذَا الْأُطْمِ، وَكُنْتُ مَعَ غُلَمَانٍ مِنْ أَخْوَالِي نُطَبِّرُ طَائِرًا كَانَ يَقَعُ عَلَيْهِ، وَنَظَرْتُ إِلَى الدَّارِ، فَقَالَ: « هَهُنَا نَزَلْتُ بِئِ أُمِّي، وَفِي هَذِهِ الدَّارِ قَبِرَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَخْسَنْتُ الْعَوْمَ فِي بَيْتِ بِنْتِ عَدِيَّ بْنِ النَّجَّارِ، وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَحْتَلِفُونَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: فَسَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: هُوَ نَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَهَذِهِ دَارُ هَجْرَتِهِ، فَوَعَيْتُ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلَامِهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ بِهِ أُمَّهُ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانُوا بِالْأَبْوَاءِ تُوَفِّيتُ أَيْمَنَةَ بِنْتُ وَهْبٍ، فَفَرَّهَا هُنَاكَ، فَرَجَعْتُ بِهِ أُمُّ أَيْمَنَ عَلَى الْبَعِيرَيْنِ اللَّذَيْنِ قَدِمُوا عَلَيْهِمَا مَكَّةَ وَكَانَتْ تَحْضَنُهُ مَعَ أُمَّهِ، ثُمَّ بَعْدَ أَنْ مَاتَتْ. فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عُمْرَةِ الْحُدَيْبِيَّةِ بِالْأَبْوَاءِ، قَالَ: « إِنَّ اللَّهَ قَدْ أذِنَ لِمُحَمَّدٍ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ أُمَّهِ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَصْلَحَهُ وَبَكَى عِنْدَهُ، وَبَكَى الْمُسْلِمُونَ لِيُكَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: فَقَالَ: « أَذْرَكُنِي رَحْمَتَهَا فَبَكَيْتُ ». ابن سعد، الطبقات الكبرى (١ / ٩٤).

(١) وَرَدَّ هَذَا الْفَصْلُ بِشَكْلِ أَطْوَلَ فِي الْجُزْءِ الثَّانِي مِنْ مَقَالِ لَابِنِ عَاشُورِ، الصَّادِرِ فِي الْمَجْلَدِ الزَّيْتُونِيَّةِ، عَدَدُ (٩)، سَنَةِ (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م) (ص ٤١٩ - ٤٢٤). وَعُنْوَانُهُ: نَسَبُ الرَّسُولِ ﷺ. وَفِي هَذَا الْقِسْمِ الثَّانِي أورد سلسلة من الأدلة التي تثبت وجود الشرف الأخرى لآباء النبي.

(٢) زَنَّهُ بِالْخَيْرِ زَنَا وَأَزَنَهُ: ظَنَّهُ بِهِ أَوْ اتَّهَمَهُ، أَزَنَنْتُهُ بِشَيْءٍ: اتَّهَمْتُهُ بِهِ. ابن منظور، لسان العرب (ز. ن. ن.).

(٣) مِنَ السَّلَالَةِ؛ أَي: انْحِدَارِ النَّسَبِ الشَّرِيفِ.

(٤) أَبُو الْفَضْلِ عِيَاضُ بْنُ مَوْسَى بْنِ عِيَاضِ السَّبْتِيِّ الْبَحْصِيِّ (١٠٨٣ - ١١٤٩ م). قَاضٍ مَالِكِي، مُحَدِّثٌ وَفَقِيهٌ.

(٥) كِتَابُ الشِّفَاءِ مِنْ أَشْهُرِ كُتُبِ الْقَاضِي عِيَاضٍ وَهُوَ مُؤَلَّفٌ لَهُ مَكَانَةً عَلِيًّا فِي التَّدْرِيسِ الزَّيْتُونِي وَتَكْوِينِ عِلْمَاءِ تُونِسِ.

(٦) أَبُو الْمُنْذِرِ هِشَامُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ السَّائِبِ بْنِ بَشْرِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْحَارِثِ الْكَلْبِيِّ، يَكْنَى ابْنَ الْكَلْبِيِّ =

قال: « كَتَبْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَمْسَمَائَةَ أُمَّ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحًا وَلَا شَيْئًا مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ »<sup>(١)</sup>.

٣٣ - يعني: النِّكَاحَ، وهو العَقْدُ على المرأة، عَن رِضَا من أوليائها، ورِضَا منها عَلَنًا، بِنَيْتِ الاختِصاصِ والدَّوامِ.

٣٤ - فَأَبَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمَّهَاتُهُ كِرَامًا. خُلَاصَةٌ مِنْ قَوْمِهِمْ وَأَزْمَانِهِمْ. وَذَلِكَ قِوَامُ صَفَاءِ النَّسَبِ وَرِزَاكِيهِ، فَقَدْ جَمَعَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ فِي أَصُولِهِ السُّؤْدَدَ وَالصِّيَانَةَ، وَأَوْفَرَ لَهُ فِي نَفْسِهِ الْكِرَامَةَ الْمُسْتَبَانَةَ.

٣٥ - وَأَمَّا أَمْرُ الدِّينِ فَلَيْسَ بِثَالِمٍ لِشَرِّ الْعُنْصُرِ؛ إِذِ النَّاسُ مَعَادِنٌ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، « خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ »<sup>(٢)</sup>.

٣٦ - عَلَى أَنَّ آبَاءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأُمَّهَاتِهِ، وَلَا سِيَّمَا الْأَدْتُونَ مِنْهُمْ، مَا سَنُوا لِقَوْمِهِمْ شِرْكًَا، وَلَا نَصَبُوا لَهُمْ أَوْثَانًا، وَلَكْتَهُمْ وَجَدُوا النَّاسَ فِي حَالَةِ شِرْكِ فَسَايَرُوهُمْ. وَلَمْ تُبْعَثْ فِيهِمْ رُسُلٌ يَدْعُونَهُمْ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴾ [المائدة: ١٩]. وَقَالَ: ﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْأَكْنَبُ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَعَنَافِلِدْ ﴾<sup>(٣)</sup> أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٥٦، ١٥٧].

٣٧ - فَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْفِتْرَةِ. وَأَهْلُ الْفِتْرَةِ نَاجُونَ مِنَ الْعَذَابِ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]<sup>(٤)</sup>.

(١١٠ - ٢٠٤هـ)، مُؤَرَّخٌ وَنَسَابَةٌ. يَعْرِفُ أَخْبَارَ الْعَرَبِ وَأَيَامَهَا وَوَقَائِعَهَا. يُعْتَبَرُ الْمُؤَلِّفُونَ فِي الْأَنْسَابِ الَّذِينَ جَاؤُوا بَعْدَهُ عَالَةً عَلَيْهِ. أَخَذَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُؤَرِّخُونَ عَنْهُ مِنْ أَمْثَالِ ابْنِ سَعْدٍ وَابْنِ الْبَلَاذِرِيِّ وَالطَّبْرِيِّ بِاعْتِبَارِهِ ثِقَةً. مِنْ كُتُبِهِ: اشْتِقَاقُ الْبُلْدَانِ وَالْأَنْسَابِ وَالْأَصْنَافِ.

(١) الْقَاضِي عِيَاضُ، الشَّافِعِيُّ بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى (١ / ٢٠) (تَحْقِيقٌ: أَحْمَدُ فَرِيدُ الْمَزِيدِيِّ، الْمَكْتَبَةُ التَّوْفِيقِيَّةُ).  
(٢) رَقْمُ الْحَدِيثِ (٤٧) (حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ) حَدَّثَنَا يَحْيَى، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خُزَيْمَةَ الْبَصْرِيُّ بِمِصْرَ، قَالَ: نَا أَبُو زَيْدٍ، قَالَ: نَا ابْنُ عَوْنٍ، عَنْ ابْنِ سَيْرِينَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا ». الْقَوَائِدُ الْمُنْتَقَاةُ لِأَبِي طَاهِرِ الْمُخْلِصِ.

(٣) وَرَدَّ فِي تَفْسِيرِ التَّحْرِيرِ وَالتَّنْوِينِ مَا يَلِي: « وَذَلَّتْ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ لَا يُؤَاخِذُ النَّاسَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يُرْشِدَهُمْ رَحْمَةً مِنْهُمْ ». وَهِيَ دَلِيلٌ بَيِّنٌ عَلَى انْتِفَاءِ مُؤَاخَذَةِ أَحَدٍ مَا لَمْ تَبْلُغْهُ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى قَوْمٍ، فِيهِ حُجَّةٌ لِلْأَشْعَرِيِّ نَاهِضَةٌ عَلَى الْمَاتَرِيدِيِّ وَالْمُعْتَزَلَةِ الَّذِينَ اتَّفَقُوا عَلَى إِصْصَالِ الْعَقْلِ إِلَى مَعْرِفَةِ وَجُودِ اللَّهِ، وَهُوَ مَا صَرَّحَ بِهِ صَدْرُ الشَّرِيعَةِ فِي التَّوَضِيحِ فِي الْمَقْدَمَاتِ الْأَرْبَعِ. فَوُجُودُ اللَّهِ وَتَوْحِيدُهُ عِنْدَهُمْ وَاجِبَانِ بِالْعَقْلِ فَلَا عِذْرَ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ وَعَطَلَ، =

٣٨ - وجمهورُ أهل السنة يُفسِّرونَ الرَّسولَ في هذه الآية بالنبي المُرسَل، ولا يحْمِلونه على أنه العقل؛ إذ لا بُدَّ للعقول من هادٍ، وليسَ بالسَّهل إدراكُ أدلَّة الاعتقاد.

٣٩ - فإن استبانَ لِأحدٍ من أهلِ الفِترَةِ دليلَ الوحدانيَّةِ بالعقل، فقد يؤخِّدُ جميعُ قومه. وعلى ذلك يُحمَلُ ما وردَ في الآثار: « أن عمرو بن لُحيٍّ يجُرُّ قُصبَهُ في النار »<sup>(١)</sup>.

٤٠ - فعندنا<sup>(٢)</sup>: النَّسبُ الشَّريفُ ما انتظَمَ في سِمطِيهِ إِلَّا جَوْهَرٌ، لم تَنخِرُهُ قَادِحَةٌ، فَكَانَتْ فَرَائِدُهُ فِي سَائِرِ الْأَجْيَالِ نَبْرَةً واضِحَةً. وما هوَ إِلَّا نَسَبُ زَكِيِّ العُنْصَرِ، وما بيَّنَهُ وبينَ استبانَتِهِ إِلَّا أن يَسْمَعَ واعٍ ويَرى مُبْصِرٌ.

٤١ - وأما الحديثُ المروِيُّ في صحيحِ مُسلمٍ<sup>(٣)</sup>، فقد تأوَّلَهُ العُلَمَاءُ<sup>(٤)</sup>. ويحقُّ تأويلُهُ على كُلِّ مُسلمٍ، على أن أحْبَارَ الآحادِ، لا تَنقُضُ بها أصولُ الاعتقادِ، فإذا كانَ آباءُ رَسولِ اللَّهِ لَمْ تَحِقَّ عَلَيْهِمُ كَلِمَةُ العَذَابِ، فإنَّ بَرَكَتَهُ مَرْجُوَّةٌ لَهُم في رَفِعِ مَنَازِلِهِم يَوْمَ الحِسَابِ، لِقولِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [ الضحى: ٥ ]، فعلى المؤمنِ المُوَفِّقِ أن يكونَ مِمَّنْ أَعْرَضَ عَمَّا يُخَالِفُ هذا وأغصَى.

\* \* \*

= ولا عذر له بعد بعثة رسول. وتأويل المعتزلة أن يراد بالرسول العقل تطوُّح عن استعمال اللغة وإغماض عن كونه مفعولاً لفعل « نبعث »، إذ لا يقال: بَعَثَ عقلاً بمعنى جعل. وقد تقدم ذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجْمٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء: ١٦٥]. تفسير التحرير والتنوير (١٥ / ٥٢).

(١) حديث أبي هريرة: « رأيت عمرو بن عامر يجرُّ قصبه في النار، وكان أول من سبَّ السائبة وبحر البحيرة »، أخرجه أحمد، المسند (٢ / ٢٧٥، ٣٦٦) والبخاري (٦ / ٤٠٠، ٨ / ٢١٣).

(٢) إشارة إلى مذهب الأشاعرة من أهل السنة.

(٣) ربَّما يشير إلى الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم في صحيحه قال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: « في النار »، فلما قفى دعاه، فقال: « إن أبي وأباك في النار ». أو إلى الحديث الآخر (٩٧٦) حدثنا يحيى بن أيوب ومحمد بن عباد (واللفظ ليحيى) قالوا: حدثنا مروان بن معاوية عن يزيد (يعني: ابن كيسان) عن أبي حازم عن أبي هريرة ؓ، قال: قال رسول الله ﷺ: « استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي ». مُسلم.

(٤) انظر رسالتي الإمام السيوطي: « مسالك الخنفا في نجاة والذبي المصطفى » و « التعظيم والجمعة بأن والذبي المصطفى في الجنة ». ويحسن النظر في ردود الشيخ على سائر الأدلة الواردة بشأن مصير آباء النبي، في القسم الثاني من مقاله: نَسَبُ الرَّسولِ ﷺ، الصادر في المَجَلَّةِ الزيتونية عدد (٩) سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٢٩م) (ص ٤١٩ - ٤٢٤).

## مَوْلِدُ الرَّسُولِ ﷺ

٤٢ - لا خِلافَ في أن سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا <sup>(١)</sup> ﷺ، وُلِدَ يَوْمَ الأَثْنَيْنِ، كَمَا في صَحِيحِ مُسْلِمٍ <sup>(٢)</sup>.  
والمَشْهُورُ أَنَّهُ وُلِدَ في اليَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْهُ، وَأَنَّهُ وُلِدَ عِنْدَ الفَجْرِ، وَذَلِكَ مِنْ عَامِ الفِيلِ،  
وهو العام الذي دَخَلَ فِيهِ جَيْشُ الحَبَشَةِ <sup>(٣)</sup> مَكَّةَ <sup>(٤)</sup>.

٤٣ - فَكَانَ يَوْمُ المَوْلِدِ لِخَمْسِينَ أو خَمْسَةِ وَخَمْسِينَ يَوْمًا مَضَتْ مِنْ يَوْمِ دُخُولِ الفِيلِ  
مَكَّةَ، وَيُوافقُ يَوْمُ المَوْلِدِ اليَوْمَ العَشرِينَ مِنْ إِبْرَيْلَ، سَنَةَ إِحدَى وَسبعِينَ وَخمسائَةَ مِنْ  
مِيلادِ المَسِيحِ <sup>(٥)</sup>.

٤٤ - قِيلَ: كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ طُلُوعِ مَنزِلَةِ العَفْرِ <sup>(٦)</sup> مِنْ مَنَازِلِ القَمَرِ <sup>(٧)</sup>. وَكَانَ عِنْدَ دُخُولِ

(١) في المطبوعة: مُحَمَّد بالرفع وهو خطأ إملائي؛ لأن الكلمة بَدَلٌ من: سَيِّدَنَا، اسم إنَّ، وَحُكْمُهُ النَّصْبُ.

(٢) رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سئِلَ عَنِ صَوْمِ الأَثْنَيْنِ فَقَالَ: « فِيهِ وُلِدْتُ وَفِيهِ  
أُنزِلَ عَلَيَّ ». الصحيح (١١٦٢).

(٣) عُرفت إثيوبيا في الكتب القديمة باسم: الحبشة ( Abyssinie ) نسبة إلى قبيلة حَبَشَت التي هاجرت من اليَمَن  
إلى مُرتفعات القرن الأفريقي بعد انهيار سُدِّ مَآرِب. واسم « الحبشة » مشتقٌ من لَفْظ: « حَبَشَت » - الذي ورد  
في التوراة - ويعني: « الأجناس المختلطة »، إشارة إلى التصاهر ما بين الساميين الوافدين من جنوب الجزيرة العربية  
والحاميين من سكان البلاد الأصليين.

(٤) سبق ذكرها.

(٥) يُعْرَفُ الشَّيْخُ ابن عاشور بالمَسِيحِ قائلًا: « عيسى اسم معرب من يشوع أو يسوع، وهو اسم عيسى ابن مريم قلبوه  
في تعريبه قلبًا مكانيًا ليجري على وزن خفيف كراهية اجتماع ثقل العجمة وثقل ترتيب حروف الكلمة، فإن حرفي  
علة في الكلمة وشينًا، واختم بحرف حلق؛ لا يجري هذا التنظيم على طبيعة ترتيب الحروف مع التنفس عند النطق  
بها، فقدموا العين لأنها حلقية فهي مبدأ النطق، ثم حركوا حروفه بحركات متناسبة وجعلوا شينه المعجمة الثقيلة  
سينًا مهملة فلله فصاحة العربية. ومعنى يشوع بالعبرانية السيد أو المبارك... وعيسى عليه السلام هو ابن مريم كونه الله  
في بطنها بدون مس رجل، وأمه مريم ابنة عمران من سبط يهوذا. ولد عيسى في مدة سلطنة أغسطس ملك رومية،  
وفي مدة حكم هيرودس على القدس من جهة سلطان الرومان وذلك في سنة ( ٦٢٠ ) عشرين وستائة قبل الهجرة  
المحمدية، وكانت ولادته بقرية تعرف ببيت لحم اليهودية، ولما بلغ ثلاثين سنة بُعث رسولاً إلى بني إسرائيل وبقي في  
الدنيا إلى أن بلغ سنه ثلاثاً وثلاثين سنة ». التحرير والتنوير ( ١ / ٥٩٤ )، سورة البقرة، الآية ( ٨٧ ).

(٦) العَفْرُ هو أوَّلُ المَنَازِلِ البَيَانِيَةِ وتألَّف من ( ٣ ) نجوم خفية من برج العذراء ( السنبلة )، وتقع ما بين الزباني  
( العقرب ) وذنَبِ الأَسَدِ، وسميت العفْرُ إما لنقصان ضوء هذه النجوم أو لأن نضارة الأرض تستتر عند طلوعها،  
وطلوعها في ( ١٨ ) تشرين أول وسقوطها في ( ١٦ ) نيسان. واعتماد ابن عاشور على هذه المَقُولَاتِ الفلكية يَعْلَلُ  
بكونه جُزءًا من الثَّقَافَةِ التقلِيدِيَّةِ - الفقهية، الضرورية لمعرفة مواقيت الصَّلَاةِ والسَّحَرِ.

(٧) في التصور التقليدي، للقَمَرِ ثمانية وعشرون منزلًا يَنزِلُها في كُلِّ شَهْرٍ، أربعة عَشَرَ مِنْهَا شامية، وألها الشرطين،  
والبلطين، والشريا، والدبران، والمهقة، والمنعة، والذراع، والنثرة، والطرف، والجهة، والدبرة، والصرفة، والعواء، =

الشَّمْسِ فِي بُرْجِ الحَمَلِ، وَهُوَ أَوَّلُ البُرُوجِ الرَّبِيعِيَّةِ.

٤٥ - وَقَبْلَتُهُ الشَّفَاءُ<sup>(١)</sup>، بِكَسْرِ الشَّيْنِ وَفَتْحِ الفَاءِ مُحَقَّقَةً، وَهِيَ بِنْتُ عَوْفِ بْنِ عَبْدِ الحَارِثِ ابْنِ زَهْرَةَ. قِيلَ: هِيَ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ.

٤٦ - وَكَانَ مَوْضِعُ وِلادَتِهِ، الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ بَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ، بِدَارِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَهِيَ عِنْدَ الصَّفَا فِي شُعْبِ بَنِي عَامِرٍ، الَّذِي سُمِّيَ بَعْدَ ذَلِكَ: سَوْقَ اللَّيْلِ.

٤٧ - وَقَدْ كَانَتْ تِلْكَ الدَّارُ مَسْكَنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُدَّةَ إِقامَتِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ.

٤٨ - وَلَمَّا هَاجَرَ احْتَارَهَا عُقَيْلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ<sup>(٢)</sup>، ثُمَّ بَاعَهَا وَلَدَهُ مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَوْسَفَ الثَّقَفِيِّ<sup>(٣)</sup>، فَأَذْحَلَهَا فِي دَارِهِ الَّتِي تُعْرَفُ بِالْبَيْضَاءِ.

٤٩ - وَلَمَّا حَجَّتِ الحَيْرَانَ<sup>(٤)</sup>، زَوَّجَ المَهْدِيَّ<sup>(٥)</sup>، اشْتَرَتْهَا، وَفَصَلَّتِ الدَّارَ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَعَلَتْهَا مَسْجِدًا، وَأَشْرَعَتْ بَابَهُ إِلَى الزُّفَاقِ المَعْرُوفِ: بِزُقَاقِ المَوْلِدِ.

= والسماك، وهو آخر الشامية، والغفر، والزبانا، والإكليل، والقلب، والشولة، والنعائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعد بلع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، ومقدم الدلو، ومؤخر الدلو، والحوت.

(١) قال ابن كثير: « وذكر القاضي عياض عن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف أنها كانت قابلته » في كتابه « البداية والنهاية ». لِتَرْجَمَةَ الشَّفَاءِ، قَابِلَةَ النَّبِيِّ، انظر البحث الدقيق الذي قام به الشيخ محمد البشير النيفر، المَجَلَّةُ الزَيْتُونِيَّةُ، عدد (٩) سنة (١٣٥٦هـ) (ص ٤٥٠، ٤٥١).

(٢) عُقَيْلُ بْنُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ المَطْلَبِ بْنِ هَاشِمِ. أُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أُسْدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنْفٍ. وَكَانَ أَسَنَ بَنِي أَبِي طَالِبٍ، بَعْدَ طَالِبِ الَّذِي مَاتَ دُونَ أَنْ يَخْلَفَ. كَانَ عَلَامةً بِالنَّسَبِ وَأَيَّامِ العَرَبِ. أَسْلَمَ وَعَمْرُهُ اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً، فَقَدْ وُلِدَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِأَرْبَعِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَأَسْلَمَ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الهِجْرَةِ بَعْدَ الحَدِيثِيَّةِ. مَاتَ عُقَيْلُ بْنُ أَبِي طَالِبِ فِي خِلافةِ معاوية سنة (٤٩هـ). ابن سعد، الطبقات الكبرى (٤ / ٣١)، الطبري، تاريخ الرسل والملوك (٢ / ١٥٦، ٣١٣).

(٣) مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسَفَ الثَّقَفِيِّ أَخُو الحِجَاجِ، وَكَانَ أميرًا عَلَى اليمَنِ، وَكَانَ يَلْعَنُ عَلِيًّا ﷺ عَلَى المَنَابِرِ. ابن كثير، البداية والنهاية (٩ / ١١٧).

(٤) الحَيْرَانَ بِنْتُ عَطَاءِ، زَوْجَةُ الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيِّ المَهْدِيِّ، وَوَالِدَةُ هَارُونَ الرَّشِيدِ وَالهَادِي. اخْتَطَفَهَا عَرَابٌ مِنَ اليمَنِ وَبَقِيَتْ فِي قَصْرِ الخَلِيفَةِ إِلَّا أَنَّهُ أعجَبَ بِهَا، فَتَزَوَّجَهَا وَأَثَرَتْ فِي جَمَلَةٍ مِنْ قَرَارَاتِهِ مِنْهَا تَمَيُّنُ ابْنِهَا الهَادِي، إِلَّا أَنَّ الخِلافاةَ ظَهَرَتْ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ وَحَاوَلَا كِلَاهُمَا تَسْمِيمَ الأَخْرَ، وَعِنْدَمَا انْتَصَرَ هَارُونَ عَلَى أَخِيهِ حَظِيَّتِ بِمَكَانَةِ كَبِيرَةٍ عِنْدَ هَارُونَ. فِي رَمَضَانَ سَنَةِ (١٦٦هـ)، ذَهَبَتْ الحَيْرَانَ إِلَى مَكَّةَ وَاشْتَرَتْ الدَّارَ المَعْرُوفَةَ بِاسْمِهَا وَأَضَافَتْهَا إِلَى المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَأَقَامَتْ فِي مَكَّةَ إِلَى مَوْسَمِ الحَجِّ وَحَجَّتْ. الخَطِيبُ القَزْوِينِي، تاريخ بغداد (٥ / ٢٩٢).

(٥) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، المَنْصُورُ بْنُ مُحَمَّدِ المَهْدِيِّ بِاللهِ، ثَالِثُ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِّينَ بِالعِرَاقِ. وَوُلِدَ سَنَةَ (٧٤٥م). وَوَلِيَ الخِلافةَ بَعْدَ وَفاةِ أَبِيهِ المَنْصُورِ سَنَةَ (٧٧٥م). وَكَانَ أبُوهُ قَدْ أَمَرَهُ عَلَى طَبْرِسْتَانَ وَمَا وَالِاهَا. وَكَانَ المَهْدِيُّ مُحَبَّبًا إِلَى الرعية، انْتَعَشَتْ بِغَدَادِ فِي وَقْتِهِ وَازْدَادَتْ شَهْرَتُهَا وَاسْتَقْبَلَتْ المَزِيدَ مِنَ المَهاجِرِينَ إِلَيْهَا مِنْ شَتَى الأديانِ. اَزْدَادَ نَفوذُ البَرَامِكَةِ فِي عَصْرِهِ. تَوَفِيَ المَهْدِيُّ عَامَ (٧٨٥م). الأعلام، الزركلي (٤ / ١١٧)، (١٩٨٠م).



٥٠ - وَبَنَى السُّلْطَانُ، مُحَمَّدَ خَانَ الْعُثْمَانِيَّ الثَّالِثَ<sup>(١)</sup> لِذَلِكَ الْمَسْجِدِ قِبَةَ وَمِئْذَنَةً فِي سَنَةِ (١٠٠٩هـ).

٥١ - وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَّ هَذِهِ الدَّارَ كَانَتْ تُسَمَّى: دَارَ التَّبَاعَةِ<sup>(٢)</sup>، وَلَمْ أَقِفْ عَلَى وَجْهِ هَذِهِ التَّسْمِيَةِ.



(١) السلطان محمد الثالث بن مراد الثالث بن سليم الثاني. هو الخليفة العثماني الثالث عشر من سلاطين الدولة العثمانية (١٥٦٦ - ١٦٠٣ م)، وأمسك زمام الحكم من (١٥٩٥ م) حتى وفاته.  
(٢) القاموس في تباع (المصنف).

## نشأته ﷺ

٥٢ - كَفَلَهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَسَمَّاهُ مُحَمَّدًا. فَقِيلَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ: لِمَ سَمَّيْتَهُ بِاسْمِ لَيْسٍ لِأَحَدٍ مِنْ آبَائِكَ؟ قَالَ: لِأَنِّي أُرْجُو أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الْأَرْضِ كُلُّهُمْ<sup>(١)</sup>.

٥٣ - وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ خُتِنَ يَوْمَ سَابِعِ وَلَاذِيَّتِهِ، وَأَوْلَمَ لِذَلِكَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَنَحَرَ جَزورًا<sup>(٢)</sup>، وَدَعَا رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ فَطَعِمُوا.

٥٤ - وَقَدْ رُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وُلِدَ مَخْتُونًا. وَرَجَّحَ الْمُحَقِّقُونَ خِلَافَهُ، وَأَنَّهُ وُلِدَ كَامِلًا.

٥٥ - وَأَرْضَعَتْهُ أُمُّهُ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ مَعَهَا ثُوَيْبَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ<sup>(٣)</sup>، جَارِيَةٌ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ<sup>(٤)</sup>.

٥٦ - وَكَانَ مِنْ عَادَةِ أَهْلِ مَكَّةَ أَنْ يَسْتَرْضِعُوا أَبْنَاءَهُمْ فِي الْبَادِيَةِ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ كَانَتْ وَخِيمَةً<sup>(٥)</sup>، فَيُحَبِّبُونَ أَنْ يَفِئَعَ أَبْنَاءُهُمْ فِي الْبَادِيَةِ. وَلِأَنَّ ذَلِكَ أَجْلَدُ لِأَجْسَامِهِمْ، وَأَفْصَحُ لِأَلْسِنَتِهِمْ، فَالْتَمَسَتْ لِمُحَمَّدٍ ﷺ الْمَرَاضِعَ.

٥٧ - وَوَرَدَتْ نِسْوَةٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ<sup>(٦)</sup>، مِنْ هَوَازِنٍ<sup>(٧)</sup>، قُرْبَ مَكَّةَ، حِدَوَ حُنَيْنٍ<sup>(٨)</sup>، حِينَ يَلْتَمِسُنَ الرُّضْعَاءَ، فَأَخَذَتْهُ حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي دُوَيْبٍ. وَكَانَ مَعَهَا زَوْجُهَا الْحَارِثُ ابْنُ عَبْدِ الْعُزَّى<sup>(٩)</sup>، وَابْنُ لَهَا مُرْضِعٌ، اسْمُهُ: عَبْدُ اللَّهِ<sup>(١٠)</sup>.

(١) السَّهْلِيُّ، الرُّوضُ الْأَنْثَى (١ / ٣١٠ - ٣١٢).

(٢) الْجَزُورُ: مَا يَصْلُحُ لِأَنْ يُذْبَحَ مِنَ الْإِبِلِ وَغَيْرِهِ. ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ (ج. ز. ر.).

(٣) ثُوَيْبَةُ الْأَسْلَمِيَّةُ، أَوْلُ مَرْضِعَةٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَجَارِيَةٌ عَمِّهِ أَبِي لَهَبٍ، أَعْتَقَهَا حِينَ بَشَّرَتْهُ بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَسْلَمَتْ بَعْدَ الْبِعْثَةِ. وَكَانَ إِرْضَاعُهَا لِلرَّسُولِ أَيَّامًا قَلِيلًا قَبْلَ أَنْ تَقْدُمَ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ. وَقِيلَ: إِنَّ ثُوَيْبَةَ أَرْضَعَتْهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَقَط. السِّيْرَةُ الْحَلِيبِيَّةُ فِي سِيْرَةِ الْأَمِينِ الْمَأْمُونِ (١ / ١٣٨)، الزَّرْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ (٢ / ١٠٢).

(٤) عَبْدُ الْعُزَّى بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، عَمُّ الرَّسُولِ، مَاتَ سَنَةَ (٦٢٤ م). وَهُوَ الْأَخُ غَيْرُ الشَّقِيقِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. عُرِفَ بِكُنْيَةِ أَبِي عُنْتَبَةَ، نَسَبًا لِابْنَةِ الْأَكْبَرِ عُنْتَبَةَ، وَشُهْرًا بِكُنْيَتِهِ أَبِي لَهَبٍ، قِيلَ: لِيُوسِمَتْهُ وَإِشْرَاقَ وَجْهِهِ.

(٥) وَخِيمَةٌ: أَرْضٌ وَخَامٌ وَوَحِيمٌ وَوَحْمَةٌ وَوَحْمَةٌ وَوَحِيمَةٌ وَوَحِيمَةٌ وَوَحِيمَةٌ: لَا يَنْجِعُ كُلُّوْهَا، وَكَذَلِكَ الْوَيْبُ. وَشَيْءٌ وَخِمٌ أَيْ وَبِيءٌ. وَبُلْدَةٌ وَخِمَةٌ وَوَحِيمَةٌ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ سَكْنُهَا. ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ (و. خ. م.).

(٦) بَنُو سَعْدٍ مِنْ قِبَائِلِ الطَّائِفِ وَفِيهِمْ اسْتَرْضَعُ النَّبِيِّ. اشتهر بالفصاحة. وأرضعت نساؤهم الكثير من فتيان قريش.

(٧) قَبِيلَةُ هَوَازِنٍ مِنْ قِبَائِلِ قَيْسِ عَيْلَانَ الْمُضَرِّيَّةِ.

(٨) يَقَعُ وَادِي حُنَيْنٍ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ.

(٩) الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ مِلَانَ بْنِ نَاصِرَةَ بْنِ فَصِيَّةَ بْنِ نَصْرَ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ بْنِ هَوَازِنٍ، أَبُو رَسُولِ اللَّهِ مِنْ الرِّضَاعَةِ. السَّهْلِيُّ، الرُّوضُ الْأَنْثَى (١ / ٣١٥).

(١٠) السَّهْلِيُّ، الرُّوضُ الْأَنْثَى (١ / ٣١٥).

٥٨ - وما وَضَعَتْ رَضِيعَهَا الْمُبَارَكَ حَتَّى رَأَتْ بَوَارِقَ الْيُمْنِ فِي ذَاتِهَا وَمَا حَوْلَهَا. فَلَمَّا شَعَرَ بِذَلِكَ رَوَّجَهَا قَالِ لَهَا: « تَعَلَّمِي [ وَاللَّهِ ]<sup>(١)</sup> يَا حَلِيمَةَ، لَقَدْ أَخَذَتْ نَسَمَةَ مُبَارَكَةً ».

٥٩ - قَالَ الشُّهَيْلِيُّ: « ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ لَا يَقْبَلُ مِنْ حَلِيمَةَ إِلَّا أَحَدَ ثُدْيَيْهَا، فَإِذَا عَرَضَتْ عَلَيْهِ الثُّدْيُ الْآخَرَ يَأْبَاهُ، كَأَنَّهُ قَدْ أَلْهَمَ أَنَّ مَعَهُ شَرِيكَاً فِي لَبْنِهَا ».

٦٠ - فَكَانَ مَفْطُورًا عَلَى الْعَدْلِ، مَجْبُولًا عَلَى جَمِيلِ الْمُشَارَكَةِ وَالْفَضْلِ<sup>(٢)</sup>.

٦١ - وَأَرْجَعَتْهُ مُرْضِعَتُهُ إِلَى أُمَّهُ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ وَشَهْرٍ.

٦٢ - وَلَمَّا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ تَوَفَّيَتْ أُمُّهُ، وَلَمَّا بَلَغَ ثَمَانِي سِنِينَ وَكَسَّرَا تُوفِّيَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَكَفَلَهُ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ<sup>(٣)</sup>.

٦٣ - وَقَدْ يَفَعُ<sup>(٤)</sup> - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَلَى أَجْمَلِ الصِّفَاتِ، كَانَ لَا يُشْبِهُ خُلُقُهُ خُلُقَ الصَّبِيَّانِ: فَمَنْ ذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِ مَعَ الصَّبِيَّانِ تَصْبِيحُهُمْ - وَهُوَ طَعَامُ الصَّبَاحِ - اخْتَلَسَ بِقِيَّةِ الصَّبِيَّانِ مِنْهُ، وَيَكْفُ هُوَ.

٦٤ - وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ - حَاضِنَتِهِ - أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُهُ يَشْكُو جَوْعًا أَوْ عَطَشًا، لَا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا. وَكَانَ يَكْتُمُ أَنْ يَنَامَ لَيْلَتَهُ دُونَ أَنْ يَتَعَشَّى، وَكَذَلِكَ سَأْنُهُ حِينَ يَشِبُّ. وَحَسْبُنَا حِكَايَةُ لِحَالِهِ هَذِهِ كَلِمَتَانِ:

٦٥ - إِحْدَاهُمَا: مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَضْلِ فِي الشَّفَاءِ<sup>(٥)</sup>، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذَلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ. مِنْ ذَلِكَ، قَلْتُ لَيْلَةَ لِعُغْلَامِ كَانَ يَزْعَمُ مَعِي: لَوْ أَبْصَرْتُ لِي عَنَمِي حَتَّى أُرْحَلَ إِلَى مَكَّةَ فَأَسْمَرَ بِهَا، كَمَا يَسْمَرُ الشَّبَابُ. فَخَرَجْتُ لِذَلِكَ حَتَّى جِئْتُ أَوَّلَ دَارٍ فِي مَكَّةَ، سَمِعْتُ عَزْفًا بِالْدُفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ لِعُرْسِ بَعْضِهِمْ، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ، فَضَرَبَ عَلَيَّ أُذُنِي فَنِمْتُ، فَمَا أَبْقَظَنِي إِلَّا مَسُّ الشَّمْسِ، فَرَجَعْتُ وَلَمْ أَقْضِ سَيْئًا. ثُمَّ عَرَانِي مَرَّةً أُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ لَمْ أَهَمَّ بَعْدَ ذَلِكَ بِسَوْءٍ »<sup>(٦)</sup>.

(١) تعلّمي: أي اغلّمي. والزيادة من سيرة ابن هشام (١ / ١٣٩).

(٢) الشُّهَيْلِيُّ، الرُّوضُ الْأَنْفُ (١ / ٣١٦).

(٣) أَبُو طَالِبٍ، عَبْدُ مَنْفَعِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ الْكِنَانِيُّ، يُكْنَى بِأَبِي طَالِبٍ، وَهُوَ عَمُّ النَّبِيِّ (٤٠٤٠-٦١٩م).

(٤) يَفَعُ: يَفَعُ: كَثُرَ وَنَشَأَ وَتَرَعَرَ عَ، وَمِنْهُ شَابُّ يَأْفَعُ.

(٥) سَبَقَ التَّعْرِيفَ بِهِ.

(٦) الْقَاضِي عِيَاضُ، الشَّفَا بِتَعْرِيفِ حَقُوقِ الْمُصْطَفَى (١ / ١٢٦) الْمَكْتَبَةُ التَّوْفِيقِيَّةُ، وَالْحَدِيثُ رَوَاهُ الطَّبْرِيُّ (٢ / ٢٧٩)

وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ، وَتَبَعَهُ الدَّهَبِيُّ، وَضَعَفَهُ ابْنُ كَثِيرٍ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (٢ / ٢٧٨).

٦٦ - الثانية: قَوْلُ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ (١) لِقُرَيْشٍ:

« قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غُلَامًا حَدَثًا، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدُقَكُمْ حَدِيثًا وَأَعْظَمُكُمْ أَمَانَةً، فَلَمَّا رَأَيْتُمْ الشَّيْبَ فِي صُدْعَيْهِ قُلْتُمْ: سَاحِرٌ، وَقُلْتُمْ: مَجْنُونٌ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِأَوْلَيْكُمْ » (٢).

٦٧ - وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً، ثَارَتْ حَرْبُ الْفِجَارِ (٣)، بَيْنَ قُرَيْشٍ - وَمَنْ مَعَهُمْ مِنْ كِنَانَةٍ - وَبَيْنَ قَيْسِ عَيْلَانَ. وَكَانَتْ فِي شَهْرِ حَرَامٍ، فَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ: الْفِجَارَ؛ لِأَنَّ الْقِتَالَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ مِنَ الْفُجُورِ.

٦٨ - فَكَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مَعَ أَعْمَامِهِ بَنِي هَاشِمٍ يُنْبَلُ عَلَيْهِمْ؛ أَي: يَلْتَقِطُ لَهُمُ النَّبَالَ الَّتِي يَرْمِيهِمْ بِهَا أَعْدَاؤُهُمْ لِيَرْمُوهُمْ بِهَا. وَبُتَّ أَنََّّهُ كَانَ رَاكِبًا فَرَسًا وَأَنَّهُ رَمَى بِسَهْمٍ.

٦٩ - وَلَمْ يَزَلْ مُحَمَّدٌ ﷺ يَزِدَادًا عَلَى السَّنِّ خَيْرًا. وَتَقَدَّمَ بِهِ سَوَابِقُ الْهِمَمِ إِلَى الْفَضَائِلِ سَيْرًا، فَعُرِفَ فِي فُتُوئِهِ بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَكَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَالْوَفَاءِ وَالْأَمَانَةِ، وَالْإِعْرَاضِ عَنِ السَّفَاسِيفِ، وَالْإِقْبَالِ عَلَى الْجِدِّ.

٧٠ - فَلَمَّا بَلَغَ خَمْسًا وَعِشْرِينَ سَنَةً مِنْ عُمُرِهِ، بَلَغَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ (٤) مَا اشْتَهَرَ بِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ، وَكَانَتْ امْرَأَةً ذَاتَ مَالٍ. وَكَانَتْ تُقَارِضُ رَجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ، يَتَّجِرُونَ لَهَا عَلَى

(١) النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي، أحد سادة قريش. اشتهر في التاريخ الإسلامي بمعاداته للنبي ﷺ، سافر إلى شمال شرق الجزيرة يطلب قصص الفرس وأساطيرهم ليضاهي ما عند النبي ﷺ، فكان إذا جلس رسول الله ﷺ، وتلا فيه القرآن خلفه في مجلسه إذا قام فحدثهم عن رستم السديد وعن إسفنديار، وملوك فارس، ثم يقول: واللّه ما محمد بأحسن حديثاً مني، وما حديثه إلا أساطير الأولين اكتسبها كما اكتسبها. وما نزل فيه: ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ، إِنَّا نَأْتِيكَ بِأَسْطِيرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥].

(٢) البيهقي، دلائل النبوة، حديث رقم (٥٣٤).

(٣) حرب الفجار (٥٨٠ - ٥٩٠ م) هي إحدى حروب العرب في الجاهلية، حصلت بين قبيلة كنانة (ومنها قريش) وبين قبائل قيس عيلان (ومنها هوازن وعظفان). وهي الحرب الوحيدة التي شارك فيها النبي قبل البعثة. وسُميت بالفجار لما استحل فيها هذان الحَيَّان من المحارم يتنهم في الأشهر الحرم وقطعوا فيه من الصلوات والأرحام بينهم. ابن كثير، البداية والنهاية (٢ / ٣٥٣).

(٤) خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية ﷺ زوج النبي الأولى، ولدت سنة (٥٥٦ م) بمكة، ولكن هذا يتعارض مع سنّها حين وفاتها؛ إذ أثبت البيهقي أنّ خديجة توفيت وعمرها خمسون سنة، وهو أصح. يُروى أنّها تزوّجت مرّتين قبل زواجها بالنبي، من سيّد من سادات قريش هما: عتيق بن عائذ المخزومي وقد أنجبت منه ابنة، وأبي هالة بن زرارة التميمي وأنجبت منه جارية وغلاماً. وقد كانت خديجة تاجرة ذات مال، وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال مُضَارَبَةً، قَبْلَئِهَا أَنَّ مُحَمَّدًا يُدْعَى بِالصَادِقِ الْأَمِينِ وَأَنَّهُ كَرِيمِ الْأَخْلَاقِ، فَبَعِثَتْ إِلَيْهِ وَطَلَبَتْ مِنْهُ أَنْ يَخْرُجَ فِي تِجَارَةِهَا إِلَى الشَّامِ مَعَ غِلَامٍ يُدْعَى «مَيْسِرَةَ». ابن سعد، الطبقات الكبرى (٨ / ١١). الزركلي، الأعلام (٢ / ٣٠٢).

شيء من الرِّبْحِ تَجْعَلُهُ لَهُمْ. فَرَامَتْ أَنْ تُقَارِضَهُ، وَأُرْسَلَتْ إِلَيْهِ بِذَلِكَ لِيُخْرِجَ إِلَى الشَّامِ<sup>(١)</sup> فِي تِجَارَةِ لَهَا. وَكَانَتِ الشَّامُ مَتَجَرَ قُرَيْشٍ فِي رِحْلَةِ الصَّيْفِ.

٧١ - فَخَرَجَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى الشَّامِ فِي تِجَارَتِهَا وَمَعَهُ مَيْسِرَةٌ<sup>(٢)</sup>، غُلَامٌ خَدِيجَةٌ.

٧٢ - وَبَعْدَ قُفُولِهِ مِنْ رِحْلَتِهِ هَذِهِ، تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَعُمُرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ أَيْمًا، تُؤْفَى زَوْجَهَا أَبُو هَالَةَ التَّمِيمِيِّ<sup>(٣)</sup>، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ<sup>(٤)</sup>، مِنْ قُرَيْشٍ.

٧٣ - وَعَلَبَ عَلَيْهِ لَقَبُ: «الأمين» بَيْنَ قُرَيْشٍ، وَرُبَّمَا لَقَّبُوهُ: بِالْمَأْمُونِ.

٧٤ - وَلَمَّا بَلَغَ خَمْسًا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، تَهَدَّمَتِ الكَعْبَةُ فَشَرَعَ قُرَيْشٌ فِي بِنَائِهَا. وَكَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ يَوْمَئِذٍ مَعَهُمْ، فَكَانَ يَنْقُلُ الحِجَارَةَ فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ: اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى عَاتِقِكَ، كَمَا يَفْعَلُ النَّاسُ؛ لِيخِفَّ عَلَيْكَ حَمْلُ الحِجَارَةِ، فَلَمَّا رَفَعَ إِزَارَهُ، خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ العَبَّاسُ: لَا حَرَجَ عَلَيْكَ! شُدَّ عَلَيْكَ إِزَارُكَ<sup>(٥)</sup>.

٧٥ - وَلَمَّا ارْتَفَعَ بِنَاءُ رُكْنِ الكَعْبَةِ، مَوْضِعَ الحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَأَرَادُوا وَضْعَ الحَجَرِ فِي مَوْضِعِهِ، اخْتَلَفَتْ بَطُونُ قُرَيْشٍ فِيمَنْ يَتَوَلَّى وَضْعَهُ، وَتَنَافَسُوا فِي الفُوزِ بِهَذِهِ المَنْقَبَةِ، وَبَلَغَ بِهِمُ التَّنَازُعُ إِلَى أَنْ هَمُّوا بِالقِتَالِ. فَقَالَ لَهُمْ أَبُو أُمَيَّةَ بْنُ المَغِيرَةَ المَخْزُومِيُّ<sup>(٦)</sup> - وَكَانَ

(١) اسم تاريخي لجزء من المشرق العربي يمتد على الساحل الشرقي للمتوسط إلى حدود العراق. تُشكِّلُ هذه المنطقة بالفهم الحديث كلاً من: سوريا، لبنان، الأردن، وفلسطين بالإضافة إلى مناطق حدودية مجاورة.

(٢) مَيْسِرَةٌ، غُلَامٌ خَدِيجَةٌ. ذُكِرَ فِي السِّيَرَةِ، وَكَانَ رَفِيقَ النَّبِيِّ فِي تِجَارَةِ خَدِيجَةَ قَبْلَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا. وَحَكَى بَعْضُ أَهْلِ نَبَوْتِهِ. (٣) نَبَّاشُ بْنُ زُرَّارَةَ بْنِ وَقْدَانَ بْنِ حَبِيبِ بْنِ سَلَامَةَ بْنِ عُيُوبِ بْنِ جِرْوَةَ بْنِ أُسَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمِ التَّمِيمِيِّ الأَسِيدِيِّ، أَبُو هَالَةَ. قَالَ مِصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ: النَّبَّاشُ بْنُ زُرَّارَةَ التَّمِيمِيُّ أَبُو هَالَةَ، مِنْ بَنِي أُسَيْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ تَمِيمِ، حَلِيفُ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ. قَالَ أَبُو نَعِيمٍ: النَّبَّاشُ بْنُ زُرَّارَةَ، لَهُ ذِكْرٌ فِي المَغَازِي، وَلَهُ صَحْبَةٌ فِيهَا ذِكْرُ بَعْضِ التَّأَخَّرِينَ. أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَةَ، وَأَبُو نَعِيمٍ، وَأَخْرَجَهُ أَبُو مُوسَى فِيهَا اسْتَدْرَكَهُ عَلَى ابْنِ مَنْدَةَ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ ابْنُ مَنْدَةَ، فَلَا وَجْهَ لاسْتَدْرَاكِهِ عَلَيْهِ. قُلْتُ: لَا صَحْبَةَ لِلنَّبَّاشِ، فَإِنَّهُ أَقْدَمُ مِنْ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، لِأَنَّ ابْنَ أَبِي هَالَةَ هُنْدُ بْنُ النَّبَّاشِ كَانَ زَوْجَ خَدِيجَةَ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَبُو هَالَةَ لَا صَحْبَةَ لَهُ أَيْضًا. وَقِيلَ: اسْمُ أَبِي هَالَةَ النَّبَّاشُ، وَعَلَى كُلِّ الاخْتِلَافِ، فَلَا صَحْبَةَ لَهُ. ابْنُ الأَثِيرِ، أُسْدُ الغَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ (٥ / ٢٩٣).

(٤) بنو عبد الدار: هم بطن من بطون قريش وفيهم السدانة وهي الحجابة ودار الندوة، وهم حملة اللواء في الحرب، ومنهم بنو شيبعة.

(٥) السُّهَيْلِيُّ، الرُّوضُ الأَنْفُ (١ / ٣٥١).

(٦) ابن المغيرة بن عبد الله سيد بني مخزوم، ويلقب بـ «زاد الركب»، لأنه كان يكفي أصحابه مؤنتهم في السفر، وهو أبو أم المؤمنين أم سلمة وأبو الصحابي المهاجر بن أبي أمية.

أَسْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ - اجْعَلُوا بَيْنَكُمْ فيما تَخْتَلَفُونَ أَوَّلَ دَاخِلٍ مِنْ بَابِ بَنِي شَيْبَةَ<sup>(١)</sup>.

٧٦ - فَكَانَ ﷺ أَوَّلَ دَاخِلٍ مِنْهُ، فَقَالُوا: هَذَا مُحَمَّدٌ، هَذَا الْأَمِينُ، رَضِينَاهُ. فَحَكَّمُوهُ، فَقَالَ: «هَلُمَّ إِلَيَّ تَوْبًا»، فَأَتَوْهُ بِنُوبٍ، فَأَخَذَ الْحَجَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «لِتَأْخُذْ كُلُّ قَبِيلَةٍ - أَيُّ كُلِّ سَيِّدٍ لَهَا - بِنَاحِيَةٍ مِنَ الثَّوْبِ، ثُمَّ ارْفَعُوهُ جَمِيعًا».

٧٧ - فَلَمَّا رَفَعُوهُ، أَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ وَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ جِدَارِ الْبَيْتِ، وَبُنِيَ هُنَالِكَ.

٧٨ - فَكَانَتْ صَرْفَةٌ قَرِيشٍ عَنِ الْمُنَافَسَةِ فِي وَاضِعِ الْحَجَرِ فِي مَوْضِعِهِ، مُعْجَزَةٌ خَفِيَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، جَعَلَهَا اللَّهُ حُجَّةً لَهُ؛ إِذْ كَانَ هُوَ ثَانِي مَنْ وَضَعَ الْحَجَرَ فِي مَوْضِعِهِ بَعْدَ أَنْ وَضَعَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ<sup>(٢)</sup>.

٧٩ - وَأَلْهَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا ﷺ إِلَهُامًا صَادِقًا، إِلَى أَنْ يُجَاوِرَ<sup>(٣)</sup> كُلَّ سَنَةٍ شَهْرًا، فَحُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ. فَكَانَ يَخْرُجُ إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ حِرَاءَ<sup>(٤)</sup>، وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ، يُجَاوِرُ بِهِ كُلَّ سَنَةٍ شَهْرًا.

٨٠ - (وَالْمُجَاوِرَةُ: الْأَعْتِكَافُ؛ أَي: الْخَلْوَةُ لِلْعِبَادَةِ، فَكَانَ يَتَحَنَّنُ بِهِ<sup>(٥)</sup>)، وَالتَّحَنُّنُ: التَّعَبُّدُ. وَيُقَالُ: التَّحَنَّفُ بِالْفَاءِ.

٨١ - وَالظَّنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَلْهَمَهُ مَا يَتَعَبَّدُ بِهِ مِمَّا كَانَ مِنْ دِينِ إِبْرَاهِيمَ، مِثْلَ: النَّظَرِ فِي دَلَائِلِ الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالسُّجُودِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَالصِّيَامِ وَالذِّكْرِ، وَمَا اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِ مَنًّا.

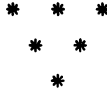
٨٢ - وَثَبَّتَ أَنَّهُ كَانَ فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ يُطْعَمُ الْمَسَاكِينَ.

(١) كَانَ أَوَّلَ بَابٍ لِلْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هُوَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ، وَهُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى شَيْبَةَ بْنِ عَثْمَانَ الْحَجَبِيِّ، سَادَنَ الْكَعْبَةَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ بِجَوَارِ بَيْتِهِ، وَيُقَالُ لِهَذَا الْبَابِ: بَابُ السَّلَامِ. دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَذَا الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ مَوَاجِهٌ لِلْكَعْبَةِ أَمَامَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ.  
(٢) إِشَارَةٌ إِلَى الْآيَةِ: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَيَسْتَعِينُ رَبَّنَا وَقَبْلَ مَثَلِ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].  
(٣) جَاوَرَ أَي: أَقَامَ بِجَوَارِ مَكَّةَ.

(٤) غَارُ حِرَاءَ حَيْثُ كَانَ يَجْتَلِي الرَّسُولُ ﷺ قَبْلَ نُزُولِ الْوَحْيِ، وَفِيهِ نَزَلَ الْقُرْآنُ أَوَّلَ مَرَّةٍ. وَيَقَعُ غَارُ حِرَاءَ فِي شَرْقِ مَكَّةَ عَلَى سِيسَارِ الذَّاهِبِ إِلَى عَرَفَاتٍ فِي أَعْلَى جَبَلِ النُّورِ، عَلَى ارْتِفَاعِ (٦٣٤) مِتْرًا، وَبَعِيدٌ تَقْرِيبًا مَسَافَةَ (٤) كَمٍ عَنِ الْكَعْبَةِ. ابْنُ كَثِيرٍ، الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ (٣ / ٣٣).

(٥) الْحَدِيثُ فِي الْبُخَارِيِّ: أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرَّوْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ قَلْبِي الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءَ فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ - وَهُوَ التَّعَبُّدُ - اللَّيْلِي دَوَاتِ الْعِدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خُدَيْجَةَ فَيَتَزَوَّدُ ... عِدَدُ (٣).

٨٣ - وَلَمْ أَرْ مَنْ ضَبَطَ عَدَّ السَّنِينَ الَّتِي دَامَ فِيهَا عَلَى ذَلِكَ الْجَوَارِ<sup>(١)</sup>.



---

(١) ذكر الشيخ صفي الرحمن المباركفوري أنَّ ذلك الجوار دام ثلاثَ سنوات، كانَ يُجاور فيها مدة شهرٍ. ولكنه لم يُقدم على ذلك أي دليلٍ. انظر كتابه: الرحيق المختوم (ص ٧٤).

## بعثته ﷺ

٨٤ - وفي شهر ربيع الثاني من السنة الأربعين من عمره المبارك؛ أي: سنة أربعين من عام الفيل، ابتدأه الله بالرؤيا الصادقة، وهي أول ما بُدئ به من الوحي، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح<sup>(١)</sup>؛ أي: وقع الأمر الذي رآه مُمائلاً في الخارج للرؤيا.

٨٥ - وفي السابع عشر من رمضان من تلك السنة، أوحى الله إليه، وهو في غار حراء<sup>(٢)</sup>. فرأى جبريل وأقرأه قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤ ﴾ [العلق: ١ - ٥]، فَرَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَ بِذَلِكَ خَدِيجَةَ. وَسَمِعَ جِبْرِيلُ يُنَادِيهِ مِنَ السَّمَاءِ: يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. وَرَأَى بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. فَأَخْبَرَ خَدِيجَةَ بِذَلِكَ.

٨٦ - فَذَهَبَتْ خَدِيجَةُ بِهِ إِلَى ابْنِ عَمٍّ لَهَا اسْمُهُ: وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أُسَيْدٍ<sup>(٣)</sup>. وَكَانَ قَدْ تَنَصَّرَ، وَقَرَأَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ. فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعٌ<sup>(٤)</sup> إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمِكَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «أَوْمُخِرْجِيْ هُمْ؟» قَالَ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ إِلَّا عُوْدِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي

(١) قال الزهري: أخبرني عروة عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. البخاري، حديث عدد (٣). (باب بدء الوحي)، انظر: فتح الباري (١ / ٢٧).

(٢) يدافع الشيخ في تفسيره عن الفرضية القائلة بأن بدء الوحي كان في ليلة (١٧) من شهر رمضان: «وقد ثبت أن ابتداء نزول القرآن كان في شهر رمضان. قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ولا شك أن المسلمين كانوا يعلمون ذلك؛ إذ كان نزول هذه السورة قبل نزول سورة البقرة بسنين إن كانت السورة مكية، أو بمدة أقل من ذلك إن كانت السورة مدنية، فليلة القدر المرادة هنا كانت في رمضان وتأييد ذلك بالأخبار الصحيحة من كونها من ليالي رمضان في كل سنة. وأكثر الروايات أن الليلة التي أنزل فيها القرآن على النبي ﷺ كانت ليلة سبعمائة من رمضان». التحرير والتنوير (٣٠ / ٤٥٨).

ولكن الشيخ صفي الرحمن المباركفوري يرجح أن ذلك كان في الحادي والعشرين من رمضان. وقدم على ذلك أدلة حديثة وأخرى حسابية. انظر هامش رقم (١) (ص ٧٥) من كتابه: الرحيق المختوم.

(٣) ورَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ شَخْصِيَّةٌ تَارِيخِيَّةٌ، وَرَدَّ ذَكَرَهُ فِي مُؤَلَّفَاتِ مُؤَرِّخِينَ مُسْلِمِينَ وَمَسِيحِيِّينَ. وَاتَّفَقَتْ مُعْظَمُ هَذِهِ الْكُتُبِ - لَا سِوَا كِتَابِ الْحَدِيثِ - عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ الْإِنْجِيلَ. كَمَا كَانَ حِينْفًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. وَتَقُولُ رَوَايَاتٌ أُخْرَى: إِنَّهُ كَانَ نَصْرَانِيًّا. وَبَعْدَ نَزُولِ الْوَحْيِ عَلَى النَّبِيِّ، اسْتَدْعَى وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ لِّبَيْتِ خَدِيجَةَ، فَأَقْرَأَهُ بِالنَّبُوَّةِ، ثُمَّ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ تُوفِّيَ قَبْلَ ظَهْرِ الْإِسْلَامِ. صَحِيحُ الْبُخَارِيِّ (٣/١). ابن هشام، سيرة ابن هشام (١ / ٢٤٣).

(٤) الجَدْعُ مِنَ الرَّجَالِ: الشَّابُّ الْحَدَثُ.



يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَّةً أَنْ تُوفِّيَ.

٨٧ - وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُدَّةً يُوحَى إِلَيْهِ، وَلَمْ يُؤْمَرْ بِدَعْوَةِ النَّاسِ حَتَّى تَنَزَلَ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢] <sup>(١)</sup> إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ.

٨٨ - وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بُعِثَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ، وَضَعَفَهُ.

٨٩ - فَكَانَ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَتَنَكَّرَ لَهُ الْمُشْرِكُونَ، وَامْتَنَعُوا مِنْ ظَهْوَرِ الْإِسْلَامِ.

٩٠ - وَكَانَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا - وَهُمْ زُهَاءُ أَرْبَعِينَ رَجُلًا - إِذَا صَلُّوا اسْتَخَفُّوا بِصَلَاتِهِمْ.

وَصَارُوا يَأْوُونَ إِلَى دَارِ الْأَرْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَرْقَمِ، تَوَقِّيًا مِنْ تَعَرُّضِ قُرَيْشٍ لَهُمْ بِالْأَدَى، وَبَقُوا كَذَلِكَ ثَلَاثَ سِنِينَ.

(١) يقول ابن عاشور في تفسيره: «نودي النبي ﷺ بوصفه في حالة خاصة تلبس بها حين نزول السورة. وهي أنه لما رأى الملك بين السماء والأرض فِرَقَ من رؤيته فرجع إلى خديجة فقال: «دثروني دثروني»، أو قال: «زملوني»، أو قال: «زملوني فدثروني»، على اختلاف الروايات، والجمع بينها ظاهر فدثرته فنزلت: ﴿يَأَيُّهَا الْمَدْيَنِيُّ﴾ [المدثر: ١]، وقد مضى عند قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّزِيلُ﴾ [المزمل: ١] ما في هذا النداء من التكرمة والتلطف. و«المدثر»: اسم فاعل من دثرت، إذا لبس الدثار، فأصله المتدثر، أدغمت التاء في الدال لتقاربهما في النطق كما وقع في فعل أدعى. والدثار: بكسر الدال: الثوب الذي يُلبس فوق الثوب الذي يُلبس مباشرة للجسد الذي يسمى شعازًا. وفي الحديث: «الأنصار شعار والناس دثار»، فالوصف بـ «المدثر» حقيقة، وقيل هو مجاز على معنى: المدثر بالنبوءة، كما يقال: ارتدى بالمجد وتأزر به على نحو ما قيل في قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّزِيلُ﴾؛ أي: يا أيها اللابس خُلعة النبوءة وِدثارها. والقيام بالمأمور به ليس مستعملًا في حقيقته؛ لأن النبي ﷺ لم يكن حين أوحى إليه بهذا نائمًا ولا مضطجعًا ولا هو مأمور بأن ينهض على قدميه، وإنما هو مستعمل في الأمر بالمبادرة والإقبال والتهمم بالإندار مجازًا أو كناية. وشاع هذا الاستعمال في فعل القيام حتى صار معنى الشروع في العمل من معاني مادة القيام مساويًا للحقيقة، وجاء هذا المعنى في كثير من كلامهم، وعد ابن مالك في «التسهيل» فعل (قام) من أفعال الشروع، فاستعمال فعل القيام في معنى الشروع قد يكون كناية عن لازم القيام من العزم والتهمم كما في الآية، قال في «الكشاف»: قُم قيام عزم وتصميم. وقد يراد المعنى الصريح مع المعنى الكناثي... وأفادت فاء ﴿فَأَنْذِرْ﴾ تعقيب إفادة التحفز والشروع بالأمر بإيقاع الإنذار. ففعل ﴿قُرْ﴾؛ مُنْزَلٌ منزلة اللازم، وتفريع ﴿فَأَنْذِرْ﴾ عليه يبين المراد من الأمر بالقيام. والمعنى: يا أيها المدثر من الرعب لرؤية ملك الوحي لا تخف وأقبل على الإنذار. والظاهر: أن هذه الآية أول ما نزل في الأمر بالدعوة؛ لأن سورة العلق لم تتضمن أمرًا بالدعوة، وصدر سورة المزمل تضمن أنه مسبوق بالدعوة لقوله فيه: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ [المزمل: ١٥]، وقوله: ﴿وَدَرْئِي وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ [المزمل: ١١]، وإنما كان تكذيبهم بعد أن أبلغهم أنه رسول من الله إليهم. وابتدئ بالأمر بالإندار؛ لأن الإنذار يجمع معاني التحذير من فعل شيء لا يليق وعواقبه، فالإنذار حقيق بالتقديم قبل الأمر بمحامد الفعال؛ لأن التخلية مقدمة على التحلية، ودرء المفسد مقدم على جلب المصالح، ولأن غالب أحوال الناس يومئذ محتاجة إلى الإنذار والتحذير. ومفعول «أَنْذِرْ» محذوف لإفادة العموم؛ أي: أنذر الناس كلهم وهم يومئذ جميع الناس ما عدا خديجة - رضي الله عنها - فإنها أمنت، فهي جديرة بالبشارة. التحرير والتنوير (٢٩ / ٢٩٤).

٩١ - فَلَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ: ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١١) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمَسْتَهْزِئِينَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ سَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿ [ الحجر: ٩٤ - ٩٦ ] أَظْهَرَ الرَّسُولَ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ أَمْرَهُمْ، وَتَحَدَّوْا بِهِ الْمُشْرِكِينَ، وَذَلِكَ سَنَةَ عَشْرِ قَبْلِ الْهِجْرَةِ.

٩٢ - فَحَمِيَّ (١) الْمُشْرِكُونَ لِذَلِكَ، وَأَكْثَرُوا مِنْ أَدَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَذَهَبَ كُبْرَاؤُهُمْ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ (٢) وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ (٣) وَأَبُو سُفْيَانَ (٤) وَأَبُو الْبُخْتَرِيِّ (٥) وَالْأَسْوَدُ ابْنُ الْمُطَّلِبِ (٦) وَأَبُو جَهْلٍ (٧) وَالْوَلِيدُ بْنُ مُغِيرَةَ (٨) وَنَبِيَهُنَّ الْحَجَّاجُ (٩)، وَمُنْبَهُ بِنُ الْحَجَّاجِ (١٠) وَالْعَاصِي بْنُ وَاثِلٍ (١١) إِلَى أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: إِنَّ ابْنَ أُخِيكَ قَدْ سَبَّ آلَ هَيْبَتِنَا، وَعَابَ دِينَنَا، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا، وَصَلَّلَ آبَاءَنَا، فِيمَا أَنْ تَكْفُهُ عَنَّا، وَإِمَّا أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ، فَإِنَّكَ عَلَى مِثْلِ

(١) حمي: اشتد غضب المشركين.

(٢) عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ وَشَخْصِيَّةٌ نَافِذَةٌ عِنْدَ ظُهُورِ الْإِسْلَامِ، نَصَحَ قُرَيْشًا أَنْ يُؤْمِنُوا بِالنَّبِيِّ ﷺ أَوْ يَخْلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَ بِالرَّسُولِ وَسَمِعَ مِنْهُ.

(٣) شَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، شَقِيقُ عُتْبَةَ، قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ، أثنَاءَ الْمُبَارَاةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي دَارَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حِزْمَةِ بِنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَلِي. كَانَ مَقْتَلُهُ هُوَ وَأَخُوهُ عُتْبَةُ يَوْمَئِذٍ السَّبَبَ الرَّئِيسِيَّ لَطَلَبِ هِنْدِ بِنْتِ عُتْبَةَ لِلثَّأْرِ مِنْ حِزْمَةِ وَقَتَلَهُ.

(٤) أَبُو سُفْيَانَ هُوَ صَخْرُ بِنِ حَرْبِ الْأُمَوِيِّ الْقُرَشِيِّ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٥٦٠ م) وَتَوَفَّى سَنَةَ (٦٥٢ م) وَهُوَ سَيِّدُ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ وَكِنَانَةَ وَأَحَدُ أَشْرَافِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَصَدْرُ الْإِسْلَامِ، أَسْلَمَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ.

(٥) مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ. قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَإِنَّمَا نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبُخْتَرِيِّ؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَكْفَ الْقَوْمِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ. ابْنُ هِشَامٍ (٣ / ٣٤٩).

(٦) جَاءَ فِي أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ لِلْبَلَاذِرِيِّ: « كَانَ الْأَسْوَدُ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ، وَكَانَ يُكْنَى: أَبَا زَمْعَةَ، وَكَانَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ يَتَغَامَزُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَيَقُولُونَ: قَدْ جَاءَكُمْ مَلُوكُ الْأَرْضِ وَمَنْ يَغْلِبُ عَلَى كِنُوزِ كَسْرَى وَقِيسِرٍ، ثُمَّ يَمُكُونُ وَيَصْفَرُونَ، وَكَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَلَامٍ شَقَّ عَلَيْهِ. »

(٧) عَمْرُو بْنُ هِشَامِ بِنِ الْمُغِيرَةَ الْمُخَزُومِي الْكِنَانِي، كَانَ مِنْ سَادَاتِ قُرَيْشٍ، مِنْ قَبِيلَةِ كِنَانَةَ. وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ الْمُنَاوِئِينَ لِلنَّبِيِّ. كُنْيَتُهُ: أَبُو الْحَكَمِ. وَكُنْيَةُ الْوَلِيدِ بِنِ الْمُغِيرَةَ بِأَبِي جَهْلٍ. وَقِيلَ: بَلْ هُوَ النَّبِيُّ.

(٨) الْوَلِيدُ بِنِ الْمُغِيرَةَ بِنِ عَبْدِ اللَّهِ بِنِ عَمْرِ بِنِ مَخْزُومِ بِنِ يَقْظَةَ بِنِ مَرَّةَ بِنِ كَعْبِ بِنِ لُؤْيِ بِنِ غَالِبِ بِنِ فِهْرِ بِنِ مَالِكِ ابْنِ النَّضْرِ الْمُخَزُومِي الْقُرَشِيِّ، أَحَدُ قَادَةِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْوَالِدُ الصَّحَابِيُّ خَالِدُ بِنِ الْوَلِيدِ، مِنْ أَغْنِيَاءِ قُرَيْشٍ، حَيْثُ وَرَدَ أَنَّهُ بَنَى رَكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْكَعْبَةِ الْأَرْبَعَةِ عِنْدَمَا قَامَتْ قُرَيْشٌ بِتَرْمِيمِهَا وَاشْتَرَكَتْ بَاقِي الْقَبَائِلُ فِي الْبَاقِي.

(٩) نَبِيَهُ بِنُ الْحَجَّاجِ بِنِ عَامِرِ بِنِ حَذِيفَةَ السَّعْدِيِّ، السَّهْمِيِّ، الْقُرَشِيِّ، أَبُو الرِّزَامِ. شَاعِرٌ، مِنْ ذَوِي الْوِجَاهَةِ فِي قُرَيْشٍ، قَبْلَ الْإِسْلَامِ. كَانَ نَدِيمًا لِلنَّضْرِ بِنِ الْحَارِثِ. ثُمَّ كَانَ هُوَ وَأَخُوهُ مَنبَهُ مِنْ « الْمُقْتَسِمِينَ » وَهُمْ سَبْعَةُ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ اقْتَسَمُوا أَعْقَابَ مَكَّةَ، يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَفِيهِمْ نَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ﴾ [ الحجر: ٩٠ ]، وَقُتِلَ مَعَ أَخِيهِ مُشْرِكِينَ فِي وَقْعَةِ بَدْرٍ. أَوْرَدَ الْبَغْدَادِيُّ نُتْفًا مِنْ شَعْرِهِ، وَقَالَ: لَهُ شَعْرٌ كَثِيرٌ. انظُر: الزَّرْكَلِيُّ، الْأَعْلَامُ (٨ / ٨).

(١٠) مُنْبَهُ بِنُ الْحَجَّاجِ بِنُ عَامِرِ بِنِ حَذِيفَةَ بِنِ سَعِيدٍ - وَقِيلَ: سَعْدٌ - ابْنِ سَهْمِ بِنِ عَمْرِو بِنِ هَضِيسِ الْقُرَشِيِّ، السَّهْمِيِّ، أُمُّهُ أَرْوَى بِنْتُ الْعَاصِ، أَحَدُ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَانَ مِنَ الْمُنَاوِئِينَ وَالْمُؤَدِّينَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

(١١) هُوَ الْعَاصِي بِنِ وَاثِلِ السَّهْمِيِّ، سَيِّدُ بَنِي سَهْمٍ فِي قُرَيْشٍ. يَلْتَقِي نَسَبَهُ مَعَ النَّبِيِّ فِي كَعْبِ بِنِ لُؤْيٍ.

ما نحن عليه. فأجابهم أبو طالب جواباً رقيقاً، وردّهم ردّاً جميلاً اقتنعوا به.

٩٣ - ثمّ لم يلبثوا أن عادوا إلى أبي طالب ثانية وثالثة، كل ذلك يطالبون أن يكفّ رسول الله ﷺ عن معاملته إياهم، أو أن يخلّي بينهم وبينه.

٩٤ - ولما رأوا أبا طالب غير مسلّم ابن أخيه، ورأوا رسول الله ﷺ غير مقصّر في الدعوة إلى الحقّ، جعلوا يعدّون ويؤذون من أسلم من أهل مكة، ويغرون سفهاءهم بأذى رسول الله ﷺ، يشلونهم<sup>(١)</sup> عليه.

٩٥ - وفي تلك المدة أكرم الله ﷺ رسول الله ﷺ بمعجزة الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم إلى السموات العلّاء.

٩٦ - وكان ذلك في اليقظة على الأصحّ<sup>(٢)</sup>. وقد رأى من آيات ربّه الكبري<sup>(٣)</sup> وحديثه طويلاً في الصّحّيحين<sup>(٤)</sup>. وقد كان ذلك في سنة اثنتين قبل الهجرة، وقيل: في سنة ثلاث. والأشهر أنه كان في شهر رجب.

٩٧ - ولم يزل المسلمون في تزايد فآغتمت قريش بذلك، واثمروا بدار الندوة وأجمعوا<sup>(٥)</sup> أمرهم على أن يقطعوا صلة بني هاشم وبني المطلب. وتعاهدوا على ذلك، وكتبوا صحيفة بتسجيل ذلك اشتهرت: بصحيفة القطيعة. وعلّقوها في جوف الكعبة إثباتاً لما تضمّنته، وتوكيداً على أنفسهم أن لا ينقضوها. فانحاز بنو هاشم وبني المطلب، فدخلوا شعب أبي طالب، مستهلّ المحرم سنة سبع من البعثة، وكان أبو طالب يخرج في تلك المدة ويحضر مجامع قريش على غضاضة. وبقي بنو هاشم كذلك نحواً من ثلاث سنين.

(١) يشلون: قال أبو خراش، وروي لتأبط شراً:

لما رأيت بني نفاثة أقبلوا  
يُشلون كل مُقلّص خناب

قال أبو محمد: يشلون: يدعون، ومنه: أشليت الكلبة إذا دعوتها..، تاج العروس، (خناب).

(٢) يقول الشيخ ابن عاشور: « ولقد يرجح قول القائلين من السلف بأن الإسراء برسول الله ﷺ كان يقظة وبالجسد، على قول القائلين بأنه كان في المنام وبالروح خاصة. فإنّ في حديث الإسراء أن الله قرّض الصلاة في ليلته. والصلاة ثاني أركان الإسلام، فهي حقيقة (أي جدية) بأن تُقرض في أكمل أحوال الوحي للنبي ﷺ وهو حال اليقظة فأفهم. » التحرير والتنوير (٢٣ / ١٥٠)، سورة الصافات، آية (١٠٢).

(٣) تضمين لآية: ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٨].

(٤) صحيح البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، حديث رقم (٣٦٧٤).

(٥) في المطبوعة: وأجمع أمرهم. والراجع أنه خطأ.

٩٨ - وكان هشام بن عمرو بن ربيعة<sup>(١)</sup> يمدُّهم في تلك المدة بالطعام واللِّباس؛ لأنَّ أباه عمرو بن ربيعة، كان ربيباً لهاشم بن عبد مناف.

٩٩ - ثمَّ سعى هشامٌ هذا إلى زهير بن أبي أمية المخزومي، وهو ابن عاتكة<sup>(٢)</sup>، عمَّة رسول الله ﷺ، فقال له: أقد رَضيت لأحوالك ما قد علمت؟ أمَّا إنَّهم لو كانوا أحوال أبي الحكم - يعني أبا جهل - ما كان يرضى لهم بذلك. فاستجاش لذلك زهيراً، والمُطعم بن عدي، وأبا البخترى بن هشام، وزمعة بن الأسود بن المطلب، ودبروا أن ينقضوا الصحيفة.

١٠٠ - فلَمَّا أصبَحوا، دَخَلَ زهيرُ المسجد الحرامَ فقال: يا أهل مَكَّةَ، أناكُلُ الطَّعامَ، ونلبسُ اللِّباسَ، وبنو هاشمٍ هلكي، لا يُباعُ لهم، ولا يُبتاعُ منهم؟ واللَّهِ، لا أفعُدُّ حتى تُسَقَّ هذه الصحيفةُ القاطعةُ الظَّالِمَةَ. فظَاهَرَهُ على ما قال بقيَّةُ الخمسة. فقال أبو جهل: هذا أمرٌ قُضِيَ بليلى. وقام المُطعم بن عدي ليَمزُقَ الصحيفةَ فوجدها قد أفتتھا الأرضة<sup>(٣)</sup>، عدا السَّطر الذي هو « بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ».

١٠١ - وبعَدَ خُروج بني هاشمٍ من الشَّعبِ بِثمانِيَّةٍ وعِشرينَ يوماً تُوفِّي أبو طالبٍ. وبعَدَ موته بثلاثة أيام، تُوفِّيَت خديجةٌ - رضي الله عنها - وذلك في شهر رمضان سنة تسع من البعثة أو سنة عشر.

(١) هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن مالك بن حنبل بن عامر بن لؤي. قيل: إنه لم يزل ذا إيداع وكف عن أذى رسول الله ﷺ والمسلمين، ولم يزل على دين قومه حتى كان فتح مكة فأسلم يومئذ، شهد مع رسول الله ﷺ حيناً. كان من المؤلفة قلوبهم، أعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين دون المائة من الإبل. قاله ابن منده. وله أثر عظيم في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم وبني المطلب في مقاطعتهم واعتزالهم، وأن لا يبيعوهم ولا يبتاعون. ابن الأثير، أسد الغابة (٥ / ٣٧٨).

(٢) «مذكور في المؤلفة قلوبهم؛ قاله أبو عمر، وقال: فيه نظر، لا أعرفه، وقال ابن منده وأبو نعيم كذلك، وقيل: ابن عبد الله بن أبي أمية، وهو أخو أم سلمة وابن عم خالد بن الوليد بن المغيرة، فإن كان هو فهو ابن عمه النبي ﷺ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب، وذكره هشام بن الكلبي في المؤلفة، وروى ابن منده عن السائب شريك رسول الله ﷺ، قال: ذهب بي عثمان وزهير بن أبي أمية إلى رسول الله ﷺ فاثني علي، فقال: «أنا أعلمُ بِمَنكَمَا...» الحديث. وقال ابن إسحاق: إنه كان ممن قام في نقض الصحيفة التي كتبتها قريش على بني هاشم، ولم يُسلم منهم غيره وغير هشام بن عمرو، ووقع عند ابن سعد في تسمية من كان يؤذي رسول الله ﷺ من قريش ويواجهه بالعداوة، وعن يعقوب بن عتبة أنه عدهم عشرين رجلاً وزيادة، ثم قال: ولم يسلم منهم أحد إلا أبو سفيان والحكم ابن أبي العاص، ابن الأثير، أسد الغابة (٥ / ٤٢٣).

(٣) الأرضة: دودة بيضاء، تشبه النملة، تنخر العشب وغيره.

١٠٢ - وفي شَوَّالٍ من تلك السَّنَةِ، خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ (١) يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَيَطْلُبُ مِنْهُمْ النُّصْرَةَ وَالْمَنْعَةَ مِنْ كُفَّارِ قَوْمِهِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ خَيْرًا.

١٠٣ - وَلَمَّا جَاءَتْ قِبَاثِلُ الْعَرَبِ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، عَرَضَ عَلَيْهِمْ نَفْسَهُ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَنْ يُصَدِّقُوهُ، وَيَمْنَعُوهُ حَتَّى يُبْلَغَ مَا بَعَثَهُ اللَّهُ لَهُ، وَأَنْ يَخْرُجَ مَعَ الْقَبِيلَةِ الَّتِي تَسْتَجِيبُ لَهُ. فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ خَيْرًا، وَرَدُّوا عَلَيْهِ بِجَفَاءٍ، إِلَّا بَعْضَ بَنِي شَيْبَانَ، قَالُوا: سَنَنْظُرُ فِي أَمْرِنَا بَعْدَ أَنْ نَرْجِعَ مِنَ الْحَجِّ.

١٠٤ - فَعَلَّ ذَلِكَ فِي مَوْسِمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ.

١٠٥ - فَلَمَّا كَانَ الْمَوْسِمُ فِي سَنَةِ عَشْرِ مِنَ الْبَعْثَةِ، لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ، عِنْدَ الْعَقَبَةِ، سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ (٢)، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلَامَ، فَاقْبَلُوا وَأَسْلَمُوا. وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى يَثْرِبَ ذَكَرُوا لِقَوْمِهِمْ هَذَا الْأَمْرَ، وَدَعَوْهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ فَفَشَا فِيهِمْ.

١٠٦ - وَفِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَافَى مَوْسِمَ الْحَجِّ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَوْسِ (٣) وَالْخَزْرَجِ فَأَسْلَمُوا، وَلَمَّا أَرَادُوا الْإِنْصِرَافَ إِلَى بِلَدِهِمْ، بَعَثَ مَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُضْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ الدَّارِيِّ (٤) لِيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُعَلِّمَهُمْ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ.

(١) الطائف من محافظات مكة، تقع على المُنْتَحِدَاتِ الشَّرْقِيَّةِ لِجِبَالِ السَّرَوَاتِ، عَلَى ارْتِفَاعِ (١٧٠٠) م فَوْقَ سَطْحِ الْبَحْرِ. وَتَبْعَدُ عَنِ مَكَّةَ (٦٨) كِمْ.

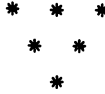
(٢) الْخَزْرَجُ هُمْ بَنُو الْخَزْرَجِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَسَّانِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكٍ... وَيُقَالُ لَهُمْ: بَنُو قَبِيلَةِ نَسَبَةٍ لِأَمِهِمْ وَهِيَ: قَبِيلَةُ بَنَاتِ الْأَرْقَمِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ جَفَنَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ بْنِ مَاءِ السَّيِّءِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ، وَقِيلَ: قَبِيلَةُ بَنَاتِ كَاهِلِ بْنِ عَذْرَةَ بْنِ سَعْدِ هَذِيمِ بْنِ زَيْدِ بْنِ لَيْثِ بْنِ سُوْدِ بْنِ أَسْلَمِ بْنِ إِنْخَافِ بْنِ قِضَاعَةَ. وَمِنْ بَطُونِ الْخَزْرَجِ قَدِيمًا بَنُو زُرَيْقٍ وَبَنُو بِيَاضَةَ وَقَوْلُقُ وَسَاعِدَةَ وَخُدْرَةَ وَبَنُو النَّجَارِ وَبَنُو الْحَسْحَاسِ وَمَازَانَ وَبَنُو سَلْمَةَ. انظُر: ابْنُ حَزْمٍ، جَهْرَةَ أَنْسَابِ الْعَرَبِ.

(٣) الْأَوْسُ مِنْ قِبَاثِلِ غَسَّانِ بْنِ الْأَزْدِ الْقَحْطَانِيَّةِ، هَاجَرَتْ مَعَ قَبِيلَةِ الْخَزْرَجِ بَعِيدَ انْهِيَارِ سَدِّ مَأْرَبَ لِتَسْتَوِطِنَ يَثْرِبَ فِي الْحِجَازِ، وَالْأَوْسُ هُمْ بَنُو حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عَامِرِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ غَسَّانِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغَوْثِ بْنِ نَبْتِ بْنِ مَالِكِ بْنِ زَيْدِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأِ بْنِ يَشْجَبِ بْنِ يَعْرَبِ بْنِ قَحْطَانَ. وَمِنْ بَطُونِهِمُ النَّبْتُ وَالْجَعَادِرَةُ وَبَنُو عَبْدِ الْأَشْهَلِ وَبَنُو ظَفَرٍ وَبَنُو خَطْمَةَ.

(٤) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ، وَقِيلَ: أَبُو مُحَمَّدٍ، مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ. أُمُّهُ خَنَاسُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ الْمَضْرِبِ. شَهْرٌ بِمُضْعَبِ الْخَيْرِ. صَحَابِيٌّ مِنْ أَهْلِ السَّابِقَةِ فِي الإِسْلَامِ، أَسْلَمَ لَمَّا كَانَ النَّبِيُّ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ، وَكَتَمَ إِسْلَامَهُ خَوْفًا مِنْ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ، وَلَمَّا عَلِمَ إِسْلَامَهُ قَاطَعَهُ أَهْلُهُ، فَسَاءَتْ حَالُهُ. ثُمَّ هَرَبَ مِنْ أَهْلِهِ وَهَاجَرَ إِلَى الْحَبِشَةِ، وَبَعْدَ أَنْ عَادَ مِنْهَا هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، وَعَلَّمَ النَّاسَ الْقُرْآنَ وَالصَّلَاةَ. شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَقَعَةَ بَدْرِ الْكُبْرَى وَأُحُدٍ، حَيْثُ حَمَلَ لِرِوَاءِ النَّبِيِّ حَتَّى مَاتَ فِي الْحَادِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ شَوَّالِ سَنَةِ (٣هـ)، وَعَمَرَهُ أَرْبَعُونَ عَامًا، قَتَلَهُ ابْنُ قَمَنَةَ اللَّيْثِيِّ. ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (٣/ ٥).

١٠٧ - وفي المَوسِمِ المُقبِلِ، سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مِنَ البُعْثَةِ، آمَنَ مِنَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ<sup>(١)</sup> ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَأَمْرَاتَانِ، وَبَايَعُوا رَسُولَ اللَّهِ عِنْدَ العَقْبَةِ<sup>(٢)</sup> مِنْ مَنَى<sup>(٣)</sup>، عَلَى أَنْ يَمْنَعُوهُ بِمَا يَمْنَعُونَ بِهِ أبنَاءَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ.

١٠٨ - وَجَعَلَ عَلَيْهِمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا، يَكُونُونَ عَلَى قَوْمِهِمُ بِالمَدِينَةِ<sup>(٤)</sup>، وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِالهِجْرَةِ إِلَى المَدِينَةِ.



(١) اشتهرت هاتان القبيلتان - بعد هجرة النبي - بالأنصار لأنهم هم الذين نصره ودافعوا عنه. وقد آخى الرسول بينهم وبين المهاجرين.

(٢) اسم مكان البيعة الأولى والثانية.

(٣) منى: منطقة صحراوية تبعد عن شرق مكة حوالي خمسة كيلومترات في الطريق بين مكة وجبل عرفة. ويعرف هذا المكان كموضع لأداء إحدى شعائر الحج إذ يبيت فيه الحجاج، كما أنها موقع رمي الجمرات، الشعيرة التي تؤدى بين شروق الشمس وغروبها، آخر أيام الحج.

(٤) اعتنى الشيخ بالتأريخ للمبايعات التي عقدها النبي في مختلف مراحل السيرة: « والمسلمون عاهدوا الله في زمن الرسول ﷺ، عِدَّةَ عَهْدٍ: أولها: عهد الإسلام كما تقدم في صدر هذه السورة - سورة المائدة - ومنها: عهد المسلمين عندما يلاقون الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهو البيعة: أن لا يشركوا بالله شيئاً، ولا يسرقوا، ولا يزناوا، ولا يقتلوا أولادهم، ولا يأتوا بيهتان يفتروته بين أيديهم وأرجلهم، ولا يعصونه في معروف، وهو عين العهد الذي ذكره القرآن في سورة الممتحنة عند ذكر بيعة النساء المؤمنات، كما ورد في الصحيح: « أنه كان يبايع المؤمنين على مثل ذلك »، ومنها بيعة الأنصار رسول الله ﷺ في موسم الحج سنة ثلاث عشرة من البعثة قبل الهجرة. وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً التقوا برسول الله بعد الموسم في العقبة ومعهم العباس بن عبد المطلب، فبايعوا على أن يمنعوا رسول الله، كما يمنعون نساءهم وأبنائهم، وعلى أنهم يأوونهم إذا هاجر إليهم. وقد تقدم هذه البيعة بيعتان: إحداهما: سنة إحدى عشرة من البعثة، بايعه نقر من الخزرج في موسم الحج. والثانية: سنة اثني عشرة من البعثة، بايع اثنا عشر رجلاً من الخزرج في موسم الحج بالعقبة ليبلغوا الإسلام إلى قومهم. ومن المواثيق ميثاق بيعة الرضوان في الحديبية تحت الشجرة سنة ست من الهجرة، وفي كل ذلك واقفوا على السمع والطاعة في المنشط والمكروه. » التحرير والتنوير (٦ / ١٣٢).

## الهجرة<sup>(١)</sup>

١٠٩ - وَلَمَّا حَلَّ شَهْرُ ربيعِ الأوَّلِ مِنْ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ مِنَ البعْثَةِ، أذِنَ اللهُ لِرَسُولِهِ ﷺ فِي الهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ. وَأَخْبَرَ أَبَا بَكْرٍ بِذَلِكَ، فَرَعِبَ فِي صُحْبَتِهِ، ( وَوَجَّهَهَا رَاجِلَتَيْهِمَا مَعَ عَامِرِ بْنِ فَهَيْرَةَ، وَوَعَدَاهُ غَارَ ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ ).

١١٠ - وَخَرَجَا فِي فَحْمَةِ العِشَاءِ<sup>(٢)</sup> مِنْ لَيْلَةِ الجُمُعَةِ مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ رَاجِلَيْنِ<sup>(٣)</sup>، وَوَصَلَا غَارَ ثَوْرٍ عِنْدَ الفَجْرِ، فَبَاتَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَخَرَجَا مِنْ صَبْحِ ثَالِثَةِ وَهُوَ صُبْحُ يَوْمِ الاثْنَيْنِ غُرَّةَ ربيعِ الأوَّلِ قاصِدَيْنِ المَدِينَةَ.

١١١ - وَقَدْ أَرَدَفَ أَبُو بَكْرٍ عَامِرَ بْنَ فَهَيْرَةَ - مَوْلَاهُ - عَلَى رَاجِلَيْهِ. وَدَلِيلُهُمَا عَبْدُ اللهِ ابْنُ أَرْقَطَ، وَيُقَالُ: أُرَيْقَطُ الدُّوْلِيُّ، مِنَ المُشْرِكِينَ، وَكَانَ هَادِيًا خَرِيَّتًا؛ أَيُّ: عَارِفًا بِالمَسَالِكِ، فَسَلَّكَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّوَاحِلِ مَا بَيْنَ عَسْفَانَ وَمَلَكٍ، وَلَمْ يَسْلُكْ بِهِمُ الطَّرِيقَ المُعْتَادَ سَلُوكُهَا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ، وَهُوَ طَرِيقُ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

١١٢ - وَلَمَّا عَلِمَتْ قُرَيْشٌ بِخُرُوجِ رَسولِ اللهِ ﷺ، حَمَيَ غَيْظُهُمْ<sup>(٤)</sup>، وَعَلِمُوا أَنَّهُ أَفْلَتَ مِنْ بَغْيِهِمْ، وَأَنَّهُ سَيَكُونُ فِي مَنَعَةٍ مِنْهُمْ.

١١٣ - وَفِي صَحِيحِ البَخَارِيِّ: عَنِ سُرَاقَةَ بْنِ جُعْشَمِ المُدَلِجِيِّ قَالَ:  
جَاءَنَا رُسُلُ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ<sup>(٥)</sup> فِي رَسولِ اللهِ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا، لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ. فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي، إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْنَا فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ، أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ.

(١) جُلُّ مَوَادِّ هَذَا الفَصْلِ تَتَكَامَلُ مَعَ مَقَالِ حَرَّرَهُ الشَّيْخُ ابْنُ عَاشورِ فِي المَجَلَّةِ الزَيْتُونِيَّةِ، بِعنوان: المَفْضَدُ العَظِيمُ مِنَ الهِجْرَةِ، العَدَدُ (٣)، (٣/ ٩٤ - ٩٧) بِتَارِيخِ (مَحْرَمِ ١٣٥٨ هـ / مَارِسِ ١٩٣١ م) حَيْثُ عَدَّدَ الشَّيْخُ عَشْرَ حِكْمٍ وَغَايَاتٍ لِلهِجْرَةِ.

(٢) « فَحْمَةُ اللَّيْلِ: أَوَّلُهُ، وَقِيلَ: أَشَدُّ سَوَادًا فِي أَوَّلِهِ، وَقِيلَ: أَشَدُّهُ سَوَادًا، وَقِيلَ: فَحْمَتُهُ مَا بَيْنَ غُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى نَوْمِ النَّاسِ، سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِحَرِّهَا لِأَنَّ أَوَّلَ اللَّيْلِ أَحْرَمِنْ آخِرِهِ وَلَا تَكُونُ الفَحْمَةُ فِي الشِّتَاءِ ». ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ العَرَبِ (ف. ح. م).

(٣) أَيُّ: سِيرًا عَلَى الأَقْدَامِ.

(٤) أَيُّ: اشْتَدَّ غَضَبُهُمْ.

(٥) يَجْعَلُونَ هُنَا بِمَعْنَى: يَعِدُونَ.

قَالَ سُرَاقَةٌ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ. وَرَجَوْتُ أَنْ أَلْحَقَهُمْ، فَاتَيْتَ بِهِمَا. قَالَ: فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا، انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، يَبْتَغُونَ ضَالَّةً لَهُمْ. فَقَالَ: لَعَلَّهُ.

ثُمَّ قُمْتُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي، وَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَسَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ.

فَلَمَّا قَرَبْتُ مِنْهُمْ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ، فَحَرَزْتُ عَنْهَا، ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَهَضَمَتْ. فَلَمْ تَكُدْ تُخْرِجُ يَدَهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً، إِذَا لِأَثْرِ يَدَيْهَا عَنَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ - يَعْنِي دَخَانًا - فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ، فَوَقَفُوا حَتَّى جِئْتَهُمْ.

وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنْ سَيُظْهِرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ لِمَنْ جَاءَهُمْ بِكَ، وَإِنِّي لَا أُرِيكُمْ وَلَا يَأْتِيكُمْ مِنِّي شَيْءٌ تُكْرَهُونَهُ. وَرَجَعْتُ سُرَاقَةٌ وَكُتِمَ أَمْرُهُمْ.

هذا مُخْتَصَرُ خَبْرِهِ، وَهُوَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَطْوَلُ<sup>(١)</sup>.

١١٤ - وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْمَدِينَةِ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرًا إِلَيْهِمْ، فَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ، فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرَّ الظَّهِيرَةِ.

(١) الْبُخَارِيُّ: قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الْمَدَلَجِيُّ وَهُوَ ابْنُ أَخِي سُرَاقَةَ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَعْشَمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جَعْشَمٍ يَقُولُ: جَاءَنَا رَسُلُ كَفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ دِيَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ قَتْلِهِ أَوْ أُسْرِهِ. فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مَدَلَجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ، فَقَالَ: يَا سُرَاقَةَ، إِنِّي قَدِ رَأَيْتُ أَنْفًا أَسْوَدَةً بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ. قَالَ سُرَاقَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا، ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي، وَهِيَ مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ فَتَحْبِسُهَا عَلَيَّ، وَأَخَذْتُ رِجْحِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَطْتُ بِرِجْهِ الْأَرْضِ، وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكِبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تُقَرَّبُ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ، فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي فَخَرَّتْ عَنْهَا، فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ يَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمَتْ بِهَا أَضْرَهُمْ أَمْ لَا، فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ، فَرَكِبْتُ فَرَسِي وَعَصِيتُ الْأَزْلَامَ تُقَرَّبُ بِي، حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ، وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ الْإِلْتِفَاتِ، سَاخَتْ يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغْنَا الرِّكْبَتَيْنِ، فَحَرَزْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا، فَهَضَمَتْ فَلَمْ تَكُدْ تَخْرِجُ يَدَيْهَا، فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَائِمَةً إِذَا لِأَثْرِ يَدَيْهَا عُثَانٌ سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلَ الدَّخَانِ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوَقَفُوا، فَرَكِبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتَهُمْ، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقَيْتُ مَا لَقَيْتُ مِنَ الْحَبْسِ عَنْهُمْ أَنْ سَيُظْهِرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَةَ وَأَخْبَرْتَهُمْ أَخْبَارَ مَا يَرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَرِزْأَنِي وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ: «أَخْفِ عَنَا». فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابًا أَمْرِي، فَأَمْرُ عَامِرِ بْنِ فَهْرَةَ فَكْتُبَ فِي رِقْعَةٍ مِنْ أَدِيمٍ، ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ...



١١٥ - فَانْقَلَبُوا يَوْمًا، بَعْدَمَا أَطَالُوا الْإِنْتِظَارَ، فَلَمَّا آوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ، إِذَا يَهُودِيٌّ كَانَ عَلَى أَطْمٍ<sup>(١)</sup> مِنْ آطَامِهِمْ بَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا مَعْاشِرَ الْعَرَبِ، هَذَا جَدُّكُمْ - أَيْ بَحْتُكُمْ - الَّذِي تَنْتَظِرُونَ.

١١٦ - فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ، فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِظَهْرِ الْحَرَّةِ<sup>(٢)</sup>.

١١٧ - وَأَقْبَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْعَرَجِ، ثُمَّ مِنْ ثُنْيَةِ الْغَائِرِ، فَتَلَقَّاهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ ظَهْرِ الْحَرَّةِ، فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ قُبَاءَ<sup>(٣)</sup> فِي بَنِي عَمْرٍو بْنِ عَوْفٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الثَّانِي عَشَرَ، وَقِيلَ: الثَّامِنَ مِنْ رِبِيعِ الْأَوَّلِ، الْمُوَافِقَ لِشَهْرِ أَيْلُولِ أَي: اشْتَبَهَ<sup>(٤)</sup>.

١١٨ - وَنَزَلَ بَدَارِ كَلْثُومِ بْنِ الْهَدْمِ<sup>(٥)</sup>، وَكَانَ يَجْلِسُ لِلنَّاسِ فِي بَيْتِ سَعْدِ بْنِ خَيْمَةَ<sup>(٦)</sup>، الْمَدْعُوُّ: بَيْتِ الْأَعْزَبِ. وَبَقِيَ هُنَاكَ بِضَعِ عَشْرَةِ لَيْلَةٍ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَالنَّاسُ سَاطِرُونَ مَعَهُ مَا بَيْنَ مَاشٍ وَرَاكِبٍ.

(١) أطم: حصن مبني بحجارة، وقيل: هو كل بيت مُرَبَّعٍ مسطح. ابن منظور، لسان العرب، أطم (أ. ط. م).  
(٢) الحرة: هي الأرض ذات حجارة سوداء نخرة كأنها أحرقت بالنار، وتنتشر في عدة أماكن منها قرب المدينة، ولكل واحدة من هذه الحرات اسمها الخاص. ولا زال بعضها موجودًا قرب المدينة. دائرة المعارف الإسلامية، (٧ / ٣٦٣).

(٣) قرية قُبَاءَ، إحدى أحياء المدينة من الجنوب، يجري فيها وادي رانوناء. كانت في القديم قريةً مستقلة على طريق القوافل القادمة من مكة، ثم امتد العمران إليها فاتصلت بضواحي المدينة. تتميز قباء بكثرة المياه الجوفية، وخصوبة تربتها لذا تكثر فيها مزارع النخيل، والعب، والبساتين. وفيها مسجد قُبَاءَ الذي بناه الرسول عند وصوله إليها. وهو أول مسجد في الإسلام وكان النبي ﷺ يزوره بين الحين والآخر.  
(٤) الموافق لـ (٢٢ سبتمبر ٦٢٢ م).

(٥) هو ابن امرئ القيس بن الحارث الأنصاري العوفي. شيخ الأنصار. نزل عليه النبي أول مقدمه المدينة بقاء وكان قد شاخ. قال ابن سعد: «كان كلثوم بن الهدم رجلًا شريفًا وكان مسنًا، أسلم قبل مقدم النبي ﷺ المدينة، فلما هاجر، نزل عليه. وكان يتحدث في منزل سعد بن خييمة وكان يسمى منزل العزاب. ثم لم يلبث أن توفي وذلك قبل بدر وكان رجلًا صالحًا». الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣ / ٤٦٧).

(٦) يقول ابن سعد: «سعد بن خييمة، الصحابي الجليل، اسمه سعد بن خييمة بن الحارث، بن مالك، بن كعب ابن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم، ويكنى أبا عبد الله. وأمُّه هند بنت أوس بن عدي بن أمية ابن عامر بن خطمة بن مالك من الأوس، من أوائل الأنصار السابقين لدخول الإسلام، وكان من الذين بايعوا رسول الله في بيعة العقبة الكبرى، وكان أحد النقباء الاثني عشر، الذين قابلوا رسول الله قبل البيعة، آخى رسول الله بينه وبين أبي سلمة بن عبد الأسد، ولما نذب رسول الله المسلمين إلى الخروج إلى غير قريش أسرعوا، قال خييمة بن الحارث لابنه سعد: إنه لا بد لأحدنا من أن يقيم. فأتى بالخروج، وأقم مع نسائك فأبى سعد وقال: لو كان غير الجنة أثرتك به، إني أرجو الشهادة في وجهي هذا، فاستهها فخرج سهم سعد، فخرج مع رسول الله ﷺ إلى غزوة بدر، فاستشهد يومئذ. قتله عمرو بن عبد ود». الطبقات الكبرى، ابن سعد (٣ / ٣٦٦).

١١٩ - وَصَعَدَتْ ذَوَاتِ الْخُدُورِ عَلَى السُّطُوحِ يَقْلُنَ: (مِنَ الرَّمْلِ، عَرَوْضُهُ: مَجْزُؤٌ، وَضَرْبُهُ مُعَرَّى):

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا      مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ<sup>(١)</sup>  
وَجَبَّ الشُّكْرُ عَلَيْنَا      مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعٍ  
أَيْهَا الْمَبْعُوثُ فِينَا      جِئْتَ بِالْأَمْرِ الْمُطَاعِ

١٢٠ - وَأَخَذَ السُّودَانُ يَلْعَبُونَ بِالذَّرْقِ<sup>(٢)</sup> وَالْحِرَابِ. وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دُورِ بَنِي النَّجَّارِ، بَدَارِ أَبِي أَيُّوبَ، خَالِدِ بْنِ زَيْدِ النَّجَّارِيِّ الْخَزْرَجِيِّ<sup>(٣)</sup>.

١٢١ - ثُمَّ شَرَعَ فِي بِنَاءِ مَسْجِدِهِ بِالْمَدِينَةِ، وَأَتَمَّهُ فِي صَفْرِ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ، وَجَعَلَ بُيُوتَ أَزْوَاجِهِ حَوْلَ الْمَسْجِدِ تُفْتَحُ أَبْوَابُهَا إِلَى الْمَسْجِدِ. وَجَعَلَ لِكُلِّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ بَيْتًا، وَجَعَلَ لِكُلِّ بَيْتٍ حُجْرَةً<sup>(٤)</sup>. وَكَانَ كَلَّمَا تَزَوَّجَ امْرَأَةً بَنَى لَهَا بَيْتًا.

١٢٢ - وَمَكَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي دَارِ أَبِي أَيُّوبَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى سُكْنَى بُيُوتِهِ قَبْلَ أَنْ يَكْمُلَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ.



(١) ثَنِيَّاتُ الْوَدَاعِ يَدْخُلُ مِنْهَا إِلَى الْمَدِينَةِ الْوَافِدُ مِنَ الشَّامِ، فَلَعَلَّ هَذَا الْبَيْتَ قَدِيمٌ مَعَ غَيْرِهِ، وَأَلْحَقَ بِهِ الْبَيْتَانِ. (الْمُصَنَّفُ).  
(٢) ذَرْقٌ: الدَّرْقُ: ضَرْبٌ مِنَ التَّرْسَةِ، الْوَاحِدَةُ: ذَرْقَةٌ تَتَّخِذُ مِنَ الْجُلُودِ. غَيْرُهُ: الدَّرَقَةُ الْحَجَفَةُ وَهِيَ تُرْسٌ مِنْ جُلُودٍ لَيْسَ فِيهِ خَشَبٌ وَلَا عَقَبٌ، وَالْجَمْعُ ذَرْقٌ وَأَدْرَاقٌ وَدِرَاقٌ. ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ (د. ر. ق.).  
(٣) أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ، خَالِدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ كَلِيبِ الْخَزْرَجِيِّ النَّجَّارِيِّ، صَحَابِيٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ، شَهِدَ بَيْعَةَ الْعُقَبَةِ وَبَدْرًا وَسَائِرَ الْمَشَاهِدِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي خَصَّهُ بِالنُّزُولِ فِي بَيْتِهِ عِنْدَمَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَأَقَامَ عِنْدَهُ حَتَّى بَنَى حِجْرَاتِهِ وَمَسْجِدَهُ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا. أَخَى الرَّسُولَ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّحَابِيِّ مَصْعَبِ بْنِ عَمِيرٍ. ابْنُ سَعْدٍ، الطَّبَقَاتُ الْكُبْرَى (٣ / ٣٦٨).  
(٤) يَصِفُ الشَّيْخُ هَذِهِ الْحِجْرَاتُ فِي تَفْسِيرِهِ: « وَكَانَتْ الْحِجْرَاتُ تَفْتَحُ إِلَى الْمَسْجِدِ. وَكَانَتْ الْحِجْرَاتُ تَسْعَا وَهِيَ مِنْ جَرِيدِ النَّخْلِ؛ أَيْ الْحَوَاجِزُ الَّتِي بَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ وَالْأُخْرَى، وَعَلَى أَبْوَابِهَا مَسُوحٌ مِنْ شَعْرِ أَسْوَدٍ، وَعَرَّضَ الْبَيْتَ مِنْ بَابِ الْحِجْرَةِ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ نَحْوَ سَبْعَةِ أَذْرَعٍ، وَمَسَاحَةُ الْبَيْتِ الدَّخْلِي؛ أَيْ الَّذِي فِي دَاخِلِ الْحِجْرَةِ عَشْرَةَ أَذْرَعٍ؛ أَيْ: فَتَصِيرُ مَسَاحَةُ الْحِجْرَةِ مَعَ الْبَيْتِ سَبْعَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا. قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: كُنْتُ أَدْخُلُ بُيُوتَ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي خِلَافَةِ عِثَانَ بْنِ عِفَانَ فَاتَنَاوَلْتُ سَقْفَهَا بِيَدِي. وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْحِجْرَاتُ دُونَ الْبُيُوتِ؛ لِأَنَّ الْبَيْتَ كَانَ بَيْتًا وَاحِدًا مَقْسَمًا إِلَى حِجْرَاتٍ تِسْعٍ ». التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٢٦ / ٢٢٦، ٢٢٧).

## ظهور الإسلام في المدينة

١٢٣ - دخل أهل المدينة في الإسلام أفواجا ممن كانوا مشركين ونفراً من اليهود. ونشأ من ذلك فريق لم يكن له نظير في أهل مكة، وهو فريق أظهروا الإسلام في ظاهر أمرهم وأبطنوا الكفر.

١٢٤ - فأنبأ الله تعالى رسوله بهم ودعاهم: بالمنافقين.

١٢٥ - وكان رأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول<sup>(١)</sup>: اشتهر بين المسلمين بالنسبة إلى أمه مع أبيه، تفرقة بينه وبين ابنه عبد الله بن عبد الله<sup>(٢)</sup>، الذي كان من خيرة المسلمين، وأحبهم لرسول الله ﷺ<sup>(٣)</sup>.

١٢٦ - وأخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار، وكان المهاجرون زهاء خمسين.

(١) عبد الله بن أبي ابن سلول من أبرز شخصيات يثرب وأحد قادة الخزرج. كان شديد العداوة للنبي ﷺ ولكن مهادن ظاهرية، يُلقب بكبير المنافقين. قيل: إنه كان على وشك أن يكون سيد المدينة قبل أن يصلها النبي ﷺ.  
(٢) عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول، ابن مالك بن الحارث بن عبيد بن مالك بن سالم الأنصاري الخزرجي. كان من كبار الصحابة وأخيارهم، وله الكثير من المواقف التي أظهر فيها شدة إيمانه بالرسول. اشتهر بالموقف الذي ذكره ابن عاشر يوم وفاة أبيه. ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣ / ٤٠٧).

(٣) عاد الشيخ ابن عاشر في التحرير والتنوير لهذه القصة: « وكان النبي ﷺ يصلي صلاة الجنائز على من مات من المنافقين؛ لأن صلاة الجنائز من الاستغفار. ولما مات عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين بعد نزول هذه الآية، وسأل ابنه عبد الله بن عبد الله النبي ﷺ أن يصلي عليه، فصلى عليه كرامة لابنه وقال عمر للنبي ﷺ: قد نَهَاكَ رَبُّكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ، قَالَ لَهُ عَلَى سَبِيلِ الرَّدِّ: « إِنَّمَا خَيْرِي اللَّهُ ». أَيْ لَيْسَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ نَهْيٌ عَنِ اسْتِغْفَارِهِ، فَكَانَ لِصَلَاتِهِ عَلَيْهِمْ وَاسْتِغْفَارِهِ لَهُمْ حِكْمَةٌ غَيْرُ حَصُولِ الْمَغْفَرَةِ بَلْ لِمَصَالِحِ أُخْرَى، وَلَعَلَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَ بِأَضْعَفِ الْإِحْتِمَالَيْنِ فِي صِبْغَةٍ ﴿ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] وكذلك في لفظ عدد ﴿ سَبِّحْهُمُ ﴾ استقصاء لمظنة الرحمة على نحو ما أصلناه في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا التفسير... (و) وسبب نزول هذه الآية قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا ﴾ ما رواه البخاري والترمذي من حديث عبد الله بن عباس عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - قال: « لما مات عبد الله بن أبي ابن سلول دُعي له رسول الله ليصلي عليه، فلما قام رسول الله وثبت إليه فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا وكذا وكذا، أعدد عليه قوله، فتبسم رسول الله وقال: « أئخر عتي يا عمر! فلما أكثرت عليه قال: « إني خيبرت فاخترت، لو أعلم آتي لو زدت على السبعين يُغفر له لزدت عليها، قال: فصلى عليه رسول الله ثم انصرف فلم يمكث إلا يسيراً حتى نزلت الآية من براءة: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّا تَابَ أَبَدًا ﴾ إلى قوله: ﴿ وَهُمْ فَسِقَتُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤]، قال: فعجبت بعد من جُرأتي على رسول الله، والله ورسوله أعلم اهـ. وفي رواية أخرى: فلم يصل رسول الله على أحد منهم بعد هذه الآية حتى قبض ﷺ، وإنما صلى عليه وأعطاه قميصه ليكفن فيه إكراً لما لابنه عبد الله وتالياً للخزرج. التحرير والتنوير (١١ / ٢٧٩ - ٢٨٤).

١٢٧ - وَشَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُدَبِّرُ أحوالَ المسلمين، وَيُقِيمُ عمادَ جَماعَتِهِم، وَيَسوُسُ نِظامَهُم.

١٢٨ - وَأَتَّسَعَ نَزولُ شَرائِعِ الإسلام. وَتَصَرَّفَ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام - تَصَرَّفَ الأئِمَّةِ القادَةِ<sup>(١)</sup>، وَأَخَذَ الإسلامُ يَنْتَشِرُ في قَبائِلِ العَرَبِ الذينَ حَوَّلَ المَدِينَةَ.

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ص ٢٠٨)، (تحقيق الميساوي).

## الغزوات

١٢٩ - وَغَزَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَزَاوَاتِهِ لِلدَّبِّ<sup>(١)</sup> عَنْ حَوْزَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَخَضَدًا لِشُوْكَةِ أَدَى الْمُشْرِكِينَ. فَقَدْ كَانَ دَابَّهُمْ - بَعْدَ الْهَجْرَةِ - تَأْلِبِبَ الْعَرَبِ وَإِغْرَاءَهُمْ بِمَنَاوَأَةِ الْمُسْلِمِينَ.

١٣٠ - وَكَانُوا يَجِدُونَ مِنْ خِدَاعِ الْمُنَافِقِينَ وَكَيْدِ الْيَهُودِ مَا وَسَّعَ أَطْمَاعَ أَعْدَاءِ الدِّينِ بِأَنْحِلَالِ عُرَاهُ، وَانْفِضَاضِ مَنْ حَوْلَهُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مُنْتَهَاهَا، فَأَطْلَعَ اللَّهُ رَسُولَهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَهُ بِالْإِنْتِصَارِ لِلدِّينِ.

١٣١ - وَلِلذَلِكَ لَمَّا غَزَتِ الْأَحْزَابُ الْمَدِينَةَ [ وَأَمْرٌ<sup>(٢)</sup> ] بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، وَهَزَمَ اللَّهُ الْأَحْزَابَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الآن نغزوهم، ولا يغزوننا»<sup>(٣)</sup>.

١٣٢ - وَقَدْ أَظْهَرَ اللَّهُ مِنَ نَصْرِ الْمُسْلِمِينَ - مَعَ قَلَّتِهِمْ - مَا كَانَ مِنْ مُعْجَزَاتِ هَذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ.

١٣٣ - وَجُمْلَةُ غَزَاوَاتِهِ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ غَزْوَةً، وَهِيَ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَاضِرًا فِيهَا بِنَفْسِهِ.

١٣٤ - وَجُمْلَةُ السَّرَايَا الَّتِي وَجَّهَهَا بِقَصْدِ الْقِتَالِ أَوْ التَّطَلُّعِ أَوْ الْحِرَاسَةِ سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَرِيَّةً، وَهِيَ الَّتِي لَمْ يَحْضُرْهَا بِنَفْسِهِ.

(١) أي: للدفاع عن رقعة الإسلام والمسلمين.

(٢) نقص في المطبوعة أكملناه بهذا الفعل ليستقيم المعنى.

(٣) يقول ابن حجر العسقلاني: «حدثنا أبو نعيم: حدثنا سفيان عن أبي إسحاق عن سليمان بن صرد قال: قال النبي ﷺ يوم الأحزاب: «نغزوهم، ولا يغزوننا»، الحديث الحادي عشر حديث سليمان بن صرد بن الجون بفتح الجيم الخزاعي، صحابي مشهور. يقال: كان اسمه يسار فغيره النبي ﷺ، ليس له في البخاري سوى هذا الحديث وآخر تقدم في صفة إبليس، وله طريق في الأدب. وقد صرح في الرواية الثانية بسامع أبي إسحاق له منه، قوله: «نغزوهم ولا يغزوننا» في رواية أبي نعيم في «المستخرج» من طريق بشر بن موسى عن أبي نعيم شيخ البخاري، فيه «الآن نغزوهم» وهي في رواية إسرائيل التي تلو هذه، وقوله في رواية إسرائيل: «حين أجلي» بضم الهمزة وسكون الجيم وكسر اللام أي: رجعوا عنه، وفيه إشارة إلى أنهم رجعوا بغير اختيارهم بل بصنع الله تعالى لرسوله، وذكر الواقدي أنه ﷺ قال ذلك بعد أن انصرفوا، وذلك لسبع بقين من ذي القعدة، وفيه علم من أعلام النبوة، فإنه ﷺ اعتمر في السنة المقبلة فصدته قريش عن البيت ووقعت الهدنة بينهم إلى أن نقضوها، فكان ذلك سبب فتح مكة، فوقع الأمر كما قال ﷺ. وأخرج البزار بإسناد حسن من حديث جابر شاهدًا لهذا الحديث. ولفظه: أن النبي ﷺ قال يوم الأحزاب وقد جمعوا له جموعًا كثيرة: «لا يغزونكم بعد هذا أبدًا»، ولكن أنتم تغزونهم». العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الحديث (٣٨٨٣).

١٣٥ - وأعظم الغزوات غزوة الفتح، فتح مكة. فلما فتحت مكة تسارع العرب إلى الدخول في دين الإسلام أوفاجاً، وبدل الله بالعذب ما كان من دينهم أجاجاً. وكانوا على شفا حفرة من النار فأنقذهم منها<sup>(١)</sup>، وجعل بينهم أخوة ما كانوا - من قبل - يدرون لها كونها.

١٣٦ - ووفدت الوفود إلى رسول الله ﷺ، من جميع من أسلم من قبائل العرب وأحيائها، تتلقى ما هو للقلوب إكسير<sup>(٢)</sup> إحيائها، وتبلغ إسلام من وراءها، وتقلل إليهم بالطف الشريعة السمحة ورونق روائها.

١٣٧ - فكان رسول الله ﷺ يرشدهم ويضيفهم، وينزلهم بديار أصحابه، ويجزئهم عند رجوعهم، وجعل الموكل بافتقادهم بلال بن رباح رضي الله عنه<sup>(٣)</sup>.

١٣٨ - وحج رسول الله ﷺ بالناس في السنة العاشرة من الهجرة. واجتمع في تلك الحجة من المسلمين أربعون ألفاً على الأصح. وخطب في تلك الحجة خطبته العظيمة.

١٣٩ - ونزل عليه في يوم عرفة<sup>(٤)</sup> من تلك الحجة قوله تعالى: ﴿ أَيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَحْمَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُمْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]<sup>(٥)</sup>.

(١) تضمين الآية: ﴿ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

(٢) لم يرد ذكر هذه الكلمة في المعاجم العربية مثل لسان العرب، مقياس اللغة، والصحاح في اللغة... وقد أخذت من الأصل الإغريقي (Ksêron) الذي يعني دواءً مصنوعاً من مسحوقات جافة. وهي هنا استعارة تعني: أسباب الحياة الروحية والدواء من أمراض الجاهلية.

والإكسير - بالكسر - الكيمياء [القاموس المحيط]، والإكسير: المركب من الركنين العظيمين الشعر والدم أو من ثلاثة أجزاء أو من أربعة (أو دواء) [تاج العروس]، وورد في «ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي»:

لو استعمار السورى إكسير سيرته لكان أجودهم في سيرة الملك

(٣) بلال بن رباح، الحبشي، أبو عبد الله، من الصحابة السابقين إلى الإسلام. كان عبداً لبي جح في قريش، أعلن إسلامه فعذبته سيده أمية بن خلف. فاشتراه أبو بكر وأعتقه. اشتهر بصبره على التعذيب، كان جميل الصوت، ولذلك كلفه النبي - عندما ظهر الأذان - بمهمة النداء للصلاة. توفي بلال في الشام ودفن في دمشق سنة (٢٠ هـ). وقبره هناك. ابن سعد، الطبقات الكبرى (٣ / ١٧٤).

(٤) يوم عرفة من أفضل الأيام عند المسلمين ويوافق التاسع من شهر ذي الحجة وفيه يقف الحجاج بعرفة، موقع قريب من مكة. وعرفة أو عرفات تبعد عن مكة (٢٢) كم.

(٥) جاء في تفسير التحرير والتنوير: «إن كانت آية: ﴿ أَيَوْمَ أَكَلْتُمْ لَحْمَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] نزلت يوم حجة الوداع بعد آية: ﴿ أَيَوْمَ يَبَسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] بنحو العامين، كما قال الضحّاك، كانت جملة مستقلة، ابتدائية، وكان وقوعها في القرآن عقب التي قبلها، بتوقيف النبي ﷺ، بجمعها مع نظيرها في إكمال أمر الدين، =

## شان رسول الله ﷺ

١٤٠ - كان شأن رسول الله ﷺ في خارج أبياته وفي أبياته تبليغ الدعوة وإبلاغ القرآن، وتديير أمور المسلمين وتعليم أصحابه، والإمامة بالناس، والخُطبة لهم، والقضاء بين الخصوم، وقضاء حوائج أهل الحاجات، ولقاء الوفود، وتديير الغزوات والسرايا.

١٤١ - وكان يجلس للناس في مجلسه بالمسجد صباحاً ومساءً، إذا لم يكن قد غاب في مهم للمسلمين. وكان موضع مجلسه ما بين منبره وبين عائشة، وهو الموضع المشتهر بالروضة، لقوله ﷺ: « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة »<sup>(١)</sup>. وكان يجلس فيه على

= اعتقاداً وتشريعاً، وكان اليوم المعهود في هذه غير اليوم المعهود في التي قبلها. وإن كانتا نزلتا معاً يوم الحج الأكبر، عام حجة الوداع - وهو ما رواه الطبري عن ابن زيد وآخرين. وفي كلام ابن عطية أنه منسوب إلى عمر بن الخطاب، وذلك هو الراجح الذي عول عليه أهل العلم، وهو الأصل في موافقة التلاوة للنزول - كان اليوم المذكور في هذه وفي التي قبلها يوماً واحداً، وكانت هذه الجملة تعداداً لثمة أخرى، وكان فصلها عن التي قبلها جاريًا على سنن الجمل التي تساق للتعداد في مئة أو توييح، ولأجل ذلك: أعيد لفظ: ﴿ آيَّزَ ﴾، ليتعلق بقوله: ﴿ أَكْمَلْتُ ﴾، ولم يستغن بالظرف الذي تعلق بقوله: ﴿ بَيْنَ ﴾، فلم يقل: وأكملت لكم دينكم. والذين: ما كلف الله به الأمة من مجموع العقائد، والأعمال، والشرائع، والنظم... فإكمال الدين هو إكمال البيان المراد لله تعالى الذي اقتضت الحكمة تنجيحه، فكان بعد نزول أحكام الاعتقاد، التي لا يسع المسلمين جهلها، وبعد تفاصيل أحكام قواعد الإسلام التي آخرها الحج بالقول والفعل، وبعد بيان شرائع المعاملات وأصول النظام الإسلامي، كان بعد ذلك كله قد تم البيان المراد لله تعالى في قوله: ﴿ وَزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾، [ النحل: ٨٩ ] وقوله: ﴿ يُتْلَىٰ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [ النحل: ٤٤ ]، بحيث صار مجموع التشريع الحاصل بالقرآن والسنة كافيًا في هدي الأمة في عبادتها، ومعاملتها، وسياستها، في سائر عصورها، بحسب ما تدعو إليه حاجاتها، فقد كان الدين وافيًا في كل وقت بما يحتاجه المسلمون. ولكن ابتدأت أحوال جماعة المسلمين بسيطة ثم اتسعت جامعتهم، فكان الدين يكفيهم لبيان الحاجات في أحوالهم بمقدار اتساعها؛ إذ كان تعليم الدين بطريق التدرج ليتمكن رسوخه، حتى استكملت جامعة المسلمين كل شؤون الجوامع الكبرى، وصاروا أمة أكمل ما تكون أمة، فكمثل من بيان الدين ما به الوفاء بحاجاتهم كلها، فذلك معنى إكمال الدين لهم يومئذ. وليس في ذلك ما يشعر بأن الدين كان ناقصًا ولكن أحوال الأمة في الأممية غير مستوفاة، فلما توفرت كمل الدين لهم فلا إشكال على الآية. وما نزل من القرآن بعد هذه الآية لعله ليس فيه تشريع شيء جديد، ولكنه تأكيد لما تقرّر تشريعه من قبل بالقرآن أو السنة. « التحرير والتنوير (٦ / ١٠٢، ١٠٣) ».

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة ؓ: البخاري (١١٩٦) ومسلم (١٣٩١)، وأما لفظ: « ما بين قبري ومنبري »، فهذا جاء في رواية ابن عساكر لصحيح البخاري، وما زال بعض العلماء - كالإمام النووي - يعزو هذا اللفظ لصحيح البخاري، بل إن البخاري نفسه لما أخرج الحديث في كتاب: « فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة » بلفظ: « بيتي ومنبري » بَوَّبَ عليه بقوله: باب فضل ما بين القبر والمنبر، وكذلك جاء هذا اللفظ في روايات أخرى في بعض الحديث. وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - : « وترجم بذكر القبر، وأورد الحديثين بلفظ البيت؛ لأن القبر صار في البيت، وقد ورد في بعض طرقه بلفظ: ( القبر ) ، قال القرطبي: الرواية الصحيحة « بيتي »، ويروى =

دُكَّاتِهِ مُرْتَبِعَةً، مُتَّخِذَةً مِنْ طِينٍ وَيُحِيطُ بِهِ جُلْسَاؤُهُ حَلَقًا.

١٤٢ - وَكَانَ فِي بَعْضِ النَّهَارِ، يَدْخُلُ بُيُوتَ أَزْوَاجِهِ وَيَتَقَدَّدُ شُؤْوَتَهُنَّ، وَيُعِينُ عَلَيَّ

بَعْضَ عَمَلٍ مَنَزَلِهِ.

١٤٣ - قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَوَى إِلَى مَنَزَلِهِ جَزَأً دُخُولُهُ

ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ: جُزْءًا لِلَّهِ تَعَالَى، وَجُزْءًا لِأَهْلِهِ، وَجُزْءًا لِنَفْسِهِ. ثُمَّ جَزَأً جُزْءَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَلَى الْعَامَّةِ بِالْخَاصَّةِ وَلَا يَدْخِرُ عَنْهُمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>.

١٤٤ - وَكَانَ فِرَاشُهُ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَمٍ أَيُّ: جَلْدٍ مَدْبُوعٍ، مَحْشُوءٍ بَلِيفٍ، وَفَوْقَهُ

مَسْحٌ مَثْنِيٌّ ثَنِيَّتَيْنِ.

١٤٥ - وَكَانَ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ، وَلِقَمِيصِهِ كُمَانٌ يَلِغَانُ إِلَى الرَّسْغِ، وَجَيْبٌ وَرُزٌّ.

وَيَلْبَسُ الرِّدَاءَ وَالْإِزَارَ، وَيَجْعَلُ إِزَارَهُ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ. وَلَبَسَ الْحُلَّةَ الْحَمْرَاءَ وَالْبُرْدَيْنِ

الْأَخْضَرَيْنِ، وَكَانَ يَلْبَسُ الْعِمَامَةَ الْبَيْضَاءَ وَالسُّودَاءَ، وَيُسَدِّدُ آخِرَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَلَبَسَ

السَّرَاوِيلَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَدَحَهَا، فَقَالَ: «إِنِّي أَمَرْتُ بِالسُّتْرِ، فَلَمْ أَحِدْ شَيْئًا أُسْتَرَ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

= «قبري»، وكأنه بالمعنى؛ لأنه دفن في بيت سكناه. فتح الباري (٣ / ٧٠). ومعناه: أن البقعة التي بين المنبر وبيت

النبي ﷺ ستكون بذاتها في الآخرة روضة من رياض الجنة. يقول القاضي عياض رحمه الله: قوله: «روضة من رياض

الجنة» يحتمل معنيين: أحدهما: أنه موجب لذلك، وأن الدعاء والصلاة فيه يستحق ذلك من الثواب، كما قيل: «الجنة

تحت ظلال السيوف». والثاني: أن تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها». قاله الداودي. انتهى. القاضي

عياض، الشفا (٢ / ٩٢). ويقول ابن عبد البر: «قال قوم: معناه أن البقعة ترفع يوم القيامة فتجعل روضة في الجنة.

وقال آخرون: هذا على المجاز. كأنهم يعنون أنه لما كان جلوسه وجلوس الناس إليه يتعلمون القرآن والإيمان والدين

هناك، شبه ذلك الموضع بالروضة، لكرم ما يجتني فيها، وأضافها إلى الجنة لأنها تقود إلى الجنة، كما قال ﷺ: «الجنة

تحت ظلال السيوف»: يعني أنه عمل يوصل به إلى الجنة، وكما يقال: الأم باب من أبواب الجنة. يريدون أن برها

يوصل المسلم إلى الجنة مع أداء فرائضه. وهذا جائز سائغ مستعمل في لسان العرب». التمهيد (٢ / ٢٨٧).

(١) انظر: القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١ / ١٤٥).

(٢) قال أبو هريرة رضي الله عنه: دخلت يوماً السوق مع رسول الله ﷺ فجلس إلى البزازين، فاشترى سراويل بأربعة

دراهم، وكان لأهل السوق وزان يزن، فقال له رسول الله ﷺ: «اتزن وأرجح»، فقال الزوان: هذه كلمة ما سمعتها

من أحد، قال أبو هريرة: فقلت له: كفى بك من الوهن والجفاء أن لا تعرف نبيك، فطرح الميزان، ووثب إلى يد

النبي ﷺ يريد أن يقبلها، فأخذ رسول الله ﷺ يده منه، وقال: «هذا إنما تفعله الأعاجم بملوكها، ولست بملك، إنما أنا

رجل منكم»، فوزن وأرجح، فأخذ رسول الله ﷺ السراويل. قال أبو هريرة: وذهبت أحمله عنه، فقال: «صاحب

الشيء أحق بشيئه أن يحمله، إلا أن يكون ضعيفاً يعجز عنه فيعينه أخوه المسلم»، قلت: يا رسول الله، وإنك لتليس

السراويل؟ قال: «نعم في السفر، والحضر، وبالليل، والنهار، فإني أمرت بالسُّتْرِ، فلم أر شيئاً أُسْتَرَ منها» الحديث مروى:

لدى أبي يعلى، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في شعب الإيمان، والبخاري في تاريخه.



وكان يستحسن لبس البياض ويحث عليه<sup>(١)</sup>.

١٤٦ - ولبس النعلين وكان لهما قبالان، وكان يحب النعل التي لا شعر فيها، وربما لبس النعال التي لها شعر، ولبس الخفين في الحضر والسفر، وكان يجعل في الخنصر من يده اليمنى خاتماً من فضة، وفصه حجر حبشي مكتوب فيه: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، ثلاثة أسطر ابتداءً من السطر الأسفل. ولم يتخذ زينة، ولكن ليختم به كتبه التي يرسلها إلى الملوك وغيرهم في مهم الأمور.

١٤٧ - وكان يحب التطيب بالمسك والعطر<sup>(٢)</sup>، ويكثر دهن شعر رأسه<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) وفي سياق متصل ذكر الشيخ أن أمور اللباس قد تدخل في مقام التجرد من الإرشاد: وهو « ما يتعلق بغير ما فيه التشريع والتدين وتهذيب النفوس وانتظام الجماعة، ولكنه أمر يرجع إلى العمل في الجبله وفي دواعي الحياة المادية. وأمره لا يشتهه فإن رسول الله ﷺ يعمل في شؤونه البيئية ومعاشه الحيوي أعمالاً لا قصد منها إلى التشريع ولا طلب متابعة. وقد تقرر في أصول الفقه أن ما كان جليلاً من أفعال رسول الله ﷺ لا يكون موضوعاً لمطالبة الأمة بفعل مثله، بل لكل أحد أن يسلك ما يليق بحاله. وهذا كصفات الطعام واللباس والاضطجاع والمشي والركوب ونحو ذلك سواء كان ذلك خارجاً عن الأعمال الشرعية كالمشي في الطريق والركوب في السفر، أم كان داخلًا في الأمور الدينية كالركوب على الناقة في الحج... مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: الميساوي (ص ٢٢٦)، ط. دار النفائس، الأردن.

(٢) عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجَعَلْتُ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»، ورد الحديث في: النسائي، السنن، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (٧ / ٦١)، أحمد، المسند (٣ / ١٢٨)، الحاكم، المستدرک، كتاب النكاح (٢ / ١٧٤).

(٣) انظر: الأوصاف الدقيقة التي ذكرها ابن المؤلف الشيخ الفاضل ابن الطاهر ابن عاشور في كتابه: كشف الدرعات بوصف الشعرات (ص ٩٧ - ٩٨)، الدار التونسية للنشر (١٩٧٢م).

## ازواج رسول الله ﷺ وابناؤه

١٤٨ - تَزَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ امْرَأَةً عَلَى التَّدَاوُلِ، لَا عَلَى الْجَمْعِ. وَلَمْ يَجْتَمِعْ فِي عِصْمَتِهِ أَكْثَرُ مِنْ تِسْعِ نِسْوَةٍ، وَتِلْكَ خُصُوصِيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ<sup>(١)</sup>.

١٤٩ - فَتَزَوَّجَ خَدِيجَةَ - كَمَا تَقَدَّمَ - .

١٥٠ - وَبَعْدَ وَفَاتِهَا تَزَوَّجَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ<sup>(٢)</sup>، مِنْ بَنِي عَامِرٍ مِنْ قُرَيْشٍ.

١٥١ - ثُمَّ عَائِشَةَ<sup>(٣)</sup> بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، عَقَدَ عَلَيْهَا وَلَمْ يَبْنِ بِهَا إِلَّا بَعْدَ نَحْوِ خَمْسِ سِنِينَ.

١٥٢ - ثُمَّ حَفْصَةَ<sup>(٤)</sup> بِنْتَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ.

١٥٣ - ثُمَّ زَيْنَبَ<sup>(٥)</sup>، بِنْتَ خُزَيْمَةَ الْهَلَالِيَّةِ الْمُكَنِّيَّةِ<sup>(٦)</sup>: أُمَّ الْمَسَاكِينِ.

(١) يشرح ابن عاشور هذه الخصوصية: «يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَمْلَأْنَا لَكَ أَرْوَجَكَ الَّتِي آتَيْتَ أَجْرَهُمْ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ...» نداءً رابع، خوطب به النبي ﷺ، في شأنٍ خاصٍّ به، هو بيان ما أحلَّ له من الزوجات والسراري وما يزيد عليه وما لا يزيد، مما بعضه تقرير لتشريع له سابق وبعضه تشريع له للمستقبل، ومما بعضه يتساوى فيه النبي - عليه الصلاة والسلام - مع الأمة، وبعضه خاص به أكرمه الله بخصوصيته مما هو توسعة عليه، أو مما روعي في تخصيصه به علوُّ درجته. «التحرير والتنوير (٢٢ / ٢٧ - ٣٦)، سورة الأحزاب، آية (٥٠).

(٢) سودة بنت زمعة بن قيس القرشية العامرية ﷺ، ثابته زوجات النبي ﷺ، أمها الشمس بنت قيس بن زيد الأنصارية، من بني عدي بن النجار. تزوجت بدايةً من السكران بن عمرو، أخي سهيل بن عمرو العامري، وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فراراً بدينها، ولها منه خمسة أولاد. ثم عادت هي وزوجها إلى مكة، ثم ما لبث أن مات زوجها. تزوجها النبي ﷺ في رمضان سنة عشر من البعثة وهي أول امرأة تزوجها الرسول بعد خديجة.

(٣) عائشة بنت أبي بكر ﷺ، أم المؤمنين، ولدت بعد البعثة بأربع سنين تقريباً. روت عائشة العديد من الأحاديث عن الرسول وخاصة ما يتعلق بحياته الخاصة، بلغ عددها (٢٢١٠) منها (٣١٦) في صحيح البخاري ومسلم. توفيت سنة (٦٧٨م).

(٤) حفصة بنت عمر بن الخطاب ﷺ، إحدى زوجات النبي ﷺ، أمها زينب بنت مظعون. ولدت بمكة قبل البعثة بخمس سنوات. تزوجها قبل النبي ﷺ خنيس بن حذافة السهمي. أسلمت هي وخنيس، وهاجرت معه إلى المدينة، فلما توفي زوجها، تزوجها النبي ﷺ في السنة (٣) للهجرة، وعمرها يُقارب (٢٠) سنة، وذلك بعد زواجه بالسيدة عائشة. من مآثرها أنه جمع عندها الصحف المكتوب فيها القرآن بعد أن كانت عند أبي بكر ثم عند عمر بن الخطاب، وتوفيت سنة (٤١هـ).

(٥) خامسة أمهات المؤمنين، كانت أرملة عبيدة بن الحارث بن المطلب الذي استشهد في وقعة بدر فتزوجها النبي ﷺ في رمضان سنة (٣هـ). ثم لم تلبث عنده شهرين أو ثلاثة وماتت. ورواية أخرى عن ابن الكلبي تقول: فتزوجها في شهر رمضان سنة (٣هـ). فأقامت عنده ثمانية أشهر وماتت في ربيع الثاني سنة (٤هـ). وكانت زينب بنت خزيمة أجود نساء النبي وأبرهن باليتامى والمساكين، حتى كانت تُعرف بأُمِّ الْمَسَاكِينِ.

(٦) أي: التي تُدعى.

- ١٥٤ - ثُمَّ أُمَّ سَلَمَةَ<sup>(١)</sup>، واسْمُهَا هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيَّةَ.
- ١٥٥ - ثُمَّ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ<sup>(٢)</sup> مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ.
- ١٥٦ - ثُمَّ جُوَيْرِيَّةُ بِنْتُ الْحَارِثِ<sup>(٣)</sup> مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ.
- ١٥٧ - ثُمَّ أُمَّ حَبِيبَةَ<sup>(٤)</sup> بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، واسْمُهَا رَمْلَةٌ.
- ١٥٨ - ثُمَّ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبٍ<sup>(٥)</sup>، مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَهُمْ مِنْ يَهُودِ الْحِجَازِ.

(١) هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ﷺ، قرشيّة مخزومية. كنيته أم سلمة. يعرف أبوها بزاد الراكب لجوده. تزوجت قبل الإسلام من أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي، ابن عمّة الرسول، وأخوه من الرضاعة، وفي بداية الدعوة أسلمها معاً وهاجرا إلى الحبشة وولدت له ابنٌ اسمه: سلمة. عادا إلى مكة مع بقية المهاجرين، وهناك تعرّضت إلى محنة شديدة حينما عازمت على الهجرة إلى المدينة مع زوجها وابنها سلمة، فَمَنَعَهَا أهلها... ولكنها هاجرت. وبعد وفاة زوجها تزوجها النبي ﷺ. روت عن الرسول (٣٧٨) حديثاً. توفيت سنة (٦٢ هـ) ودفنت بالبيع.

(٢) يقول الشيخ ابن عاشور: «هي زينب بنت جحش الأسديّة وكان اسمها برةً فلما تزوجها النبي ﷺ سبأها زينب، وأبوها جحش من بني أسد بن خزيمة، وكان أبوها حليفاً لآل عبد شمس بمكة وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله ﷺ، تزوجها زيد بن حارثة في الجاهلية ثم طلقها بالمدينة، وتزوجها النبي ﷺ سنة خمس، وتوفيت سنة عشرين من الهجرة وعمرها ثلاث وخمسون سنة، فتكون مولودة سنة ثلاث وثلاثين قبل الهجرة، أي: سنة عشرين قبل البعثة». التحرير والتنوير (٢٢ / ٣٠).

(٣) جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ﷺ - وجذيمة هو المصطلق من خزاعة - زوج النبي ﷺ، سبأها رسول الله ﷺ يوم المريسيع، وهي غزوة بني المصطلق في سنة خمس من الهجرة، وقيل: في سنة ست، وكانت قبله تحت مسافع بن صفوان المصطلق. وعن ابن إسحاق قال: وجويرية بنت الحارث كان اسمها برة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة، من خزاعة، كانت عند ابن عم لها يقال له: مسافع بن صفوان بن ذي الشفر. وعن زينب بنت أبي سلمة عن جويرية بنت الحارث أن اسمها كان برة فسبأها: جويرية.

(٤) رَمْلَةٌ بنت أبي سفيان ﷺ، من بنات عمّ الرسول، وليس في أزواجه من هي أقرب نسباً إليه منها. أبوها أبو سفيان، من سادات قريش. وأخوها معاوية بن أبي سفيان، أحد الخلفاء الأمويين، ولما كانت منزلة أم حبيبة في دولة أخيها بالشام، قيل لمعاوية: «خال المؤمنين».

(٥) صَفِيَّةُ بِنْتُ حُبَيْبٍ بن أخطب بن سعيّة من بني النضير ﷺ. أمها برة بنت سموأل من بني قريظة، وهي أخت الصحابي رفاعه بن سموأل. تزوّجها قبل إسلامها سلامة بن مكشوح القرظي، وقيل: سلام بن مشكم، فارس وشاعرٌ. ثم تزوّجها كنانة بن أبي الحقيق الذي قتل يوم خيبر، وأخذت هي مع الأسرى، فاصطفأها النبي ﷺ لنفسه، وخيرها بين الإسلام والبقاء على دينها قائلاً لها: «اختاري، فإن اخترت الإسلام أمسكتك لنفسي (أي: تزوّجتك)، وإن اخترت اليهودية فمسي أن اعتقك فتلحقني بقومك»، فقالت: يا رسول الله، لقد هويت الإسلام وصدقت بك قبل أن تدعوني، حيث صرت إلى رحلك وما لي في اليهودية أرب، وما لي فيها والد ولا أخ، وخيرتني الكفر والإسلام، فالله ورسوله أحب إليّ من العتق وأن أرجع إلى قومي. فأعتقها النبي وتزوّجها، وجعل عتقها صداقها. وأصل هذه القصة ورد في صحيح البخاري.

- ١٥٩ - ثُمَّ مَيْمُونَةٌ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهَلَالِيَّةِ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ اسْمُهَا: بَرَّةٌ، فَسَمَّاهَا مَيْمُونَةَ.
- ١٦٠ - وَعَقَدَ عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ النُّعْمَانِ بْنِ الْجَوْنِ الْكِنْدِيَّةِ<sup>(٢)</sup>، وَزُفَّتْ إِلَيْهِ فَرَأَى مِنْهَا جَفَاءً، فَطَلَّقَهَا سَاعَةَ زَفَافِهَا، فَلَمْ تُعَدَّ فِي أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ<sup>(٣)</sup>.
- ١٦١ - وَكَانَتْ مَارِيَةَ الْقُبَيْطِيَّةَ<sup>(٤)</sup> سُرِّيَّةً لَهُ أَهْدَاهَا إِلَيْهِ الْمُقَوْسُ<sup>(٥)</sup> صَاحِبُ مِصْرَ، وَكَانَ

(١) « وَرَدَّ أَنْ النِّسْوَةَ اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعٌ مِنْهُنَّ: مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خَزِيمَةَ الْأَنْصَارِيَّةِ الْمَلْقَبَةُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ، وَأُمُّ شَرِيكِ بِنْتُ جَابِرِ الْأَسَدِيَّةِ أَوْ الْعَامِرِيَّةِ، وَخَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ بْنِ الْأَوْقَصِ السَّلْمِيَّةِ. فَأَمَّا الْأَوْلِيَانِ فَتَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهَمَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْأَخْرِيَانِ لَمْ يَتَزَوَّجَاهُمَا ». ابن عاشور، التحرير والتنوير.

(٢) أَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شَرَايِلِ الْكِنْدِيَّةِ. قَالَ أَبُو عَمْرٍ: أَجْمَعُوا أَنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا وَاخْتَلَفُوا فِي قِصَّةِ فِرَاقِهَا إِلَى أَنْ قَالَ: قَالَ قَتَادَةُ: هِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَانِ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ، لَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْهِ دَعَاها فَقَالَتْ: تَعَالَي أَنْتِ وَأَبْتِ أَنْ نَحْيِي. وَرَدَّهَا مَعَ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ السَّاعِدِيُّ.

(٣) عَطَفَ (الْقُرْآنُ) عَلَى حَقُوقِ النَّبِيِّ ﷺ، حَقُوقَ أَزْوَاجِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ لِمُنَاسَبَةِ جَرِيَانِ ذِكْرِ حَقِّ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَجَعَلَ اللَّهُ لَهَا مَا لِلْأُمَّهَاتِ مِنْ تَحْرِيمِ التَّزْوُجِ بِهِنَّ بِقَرِينَةٍ مَا تَقْدَمُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ أَنْتِي تَنْظُرُهُنَّ مِنْهُنَّ أَنْتِي تَنْظُرِينَ ﴾ [الأحزاب: ٤]. وَأَمَّا مَا عَدَا حَكْمَ التَّزْوُجِ مِنْ وَجْهِ الْبَرِّ بِهِنَّ وَمَوَاسَاتِهِنَّ فَذَلِكَ رَاجِعٌ إِلَى تَعْظِيمِ أَسْبَابِ النَّبِيِّ ﷺ. وَلَمْ يَزَلْ أَصْحَابُ النَّبِيِّ وَالْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ يَتَوَخَّوْنَ حُسْنَ مَعَامَلَةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ وَيُؤَثِّرُوهُنَّ بِالْخَيْرِ وَالْكَرَامَةِ وَالتَّعْظِيمِ. وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِنْدَ حَمَلِ جَنَازَةِ مَيْمُونَةَ: « هَذِهِ زَوْجُ نَبِيِّكُمْ فَإِذَا رَفَعْتُمْ نَعْشَهَا فَلَا تَزْعُرُوا وَلَا تَزَلْزِلُوا وَارْفُقُوا » رواه مسلم. وَكَذَلِكَ مَا عَدَا حَكْمَ الزَّوْجِ مِنْ وَجْهِ الْمَعَامَلَةِ غَيْرَ مَا يَرْجِعُ إِلَى التَّعْظِيمِ. وَهَذِهِ النِّكْتَةُ جِيءَ بِالتَّشْبِيهِ اللَّبِيعِ لِلْمَبَالِغَةِ فِي شِبْهِهِنَّ بِالْأُمَّهَاتِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِثْلَ الْإِرْثِ وَتَزْوُجِ بَنَاتِهِنَّ، فَلَا يُحْسَبُ أَنْ تَرَكَاهُنَّ يَرْتَبِهَا جَمِيعُ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَنْ بَنَاتِهِنَّ أَخَوَاتٌ لِلْمُسْلِمِينَ فِي حَرَمَةِ التَّزْوُجِ بِهِنَّ... وَالْمُرَادُ بِأَزْوَاجِهِ اللَّاتِي تَزَوَّجَهُنَّ بِنِكَاحٍ فَلَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مَلِكُ الْيَمِينِ، وَقَدْ قَالَ الصَّحَابَةُ يَوْمَ قَرِيظَةَ حِينَ تَزَوَّجَ النَّبِيُّ ﷺ صَفِيَّةَ بِنْتَ حَتِي: أَيْمِي إِحْدَى مَا مَلَكَتْ يَمِينِي أَمْ هِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَقَالُوا: نَنْظُرُ، فَإِذَا حَجَّجَهَا فَهِيَ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِذَا لَمْ يَحْجِجْهَا فِيهَا مَا مَلَكَتْ يَمِينِي، فَلَمَّا بَنَى بِهَا ضَرَبَ عَلَيْهَا الْحِجَابَ، فَعَلِمُوا أَنَّهَا إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مَارِيَةَ الْقُبَيْطِيَّةُ إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. وَشُرْطُ فِي اعْتِبَارِ هَذِهِ الْأُمُومَةِ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ بِنِي بِالْمَرَأَةِ، فَأَمَّا الَّتِي طَلَّقَهَا قَبْلَ الْبِنَاءِ مِثْلَ الْجَوْنِيَّةِ وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَانِ الْكِنْدِيَّةِ فَلَا تَعْتَبَرُ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. وَذَكَرَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ أَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ عَقَدَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ تَزَوَّجَتْ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ فَهَمَّ عُمَرُ بِرَجْمِهَا. فَقَالَتْ: لِمَ وَمَا ضَرَبَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ حِجَابًا وَلَا دُعِيْتُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ؟ فَكَفَّ عَنْهَا. وَهَذِهِ الْمَرَأَةُ هِيَ ابْنَةُ الْجَوْنِ الْكِنْدِيَّةِ تَزَوَّجَهَا الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ. وَهَذَا هُوَ الْأَصْحَحُ وَهُوَ مُقْتَضَى مَذْهَبِ مَالِكٍ وَصَحْحِهِ إِمَامِ الْحَرَمِيِّ وَالرَّافِعِيِّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ. وَعَنْ مِقَاتِلٍ: يَحْرِمُ تَزْوُجَ كُلِّ امْرَأَةٍ عَقَدَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَلَوْ لَمْ يَبَيِّنْ بِهَا. وَهُوَ قَوْلُ الشَّافِعِيِّ وَصَحْحِهِ فِي « الرُّوْضَةِ ». وَاللَّائِي طَلَّقَهُنَّ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَعْدَ الْبِنَاءِ بِهِنَّ فَاخْتَلَفَ فِيهِنَّ عَلَى قَوْلَيْنِ، قِيلَ: تَثْبِتُ حَرَمَةَ التَّزْوُجِ بِهِنَّ حِفْظَ حَرَمَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقِيلَ: لَا يَثْبِتُ لَهَا ذَلِكَ، وَالْأَوَّلُ أَرْجَحُ. وَقَدْ أُكِّدَ حَكْمَ أُمُومَةِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتْنًا فَتَنَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وَبِتَحْرِيمِ تَزْوُجِ إِحْدَاهُنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا أَنْ تَنِكَحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبْدَانًا ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٢١ / ٢٦٨، ٢٦٩).

(٤) مَارِيَةُ بِنْتُ شَمْعُونِ الْقُبَيْطِيَّةِ، إِحْدَى أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ. أَنْجَبَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ ثَلَاثَ أَبْنَائِهِ الذِّكُورِ إِبْرَاهِيمَ، الَّذِي تُوفِّيَ وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرٌ. وَكَلِمَةُ ( قِط ) كَانَتْ بِقَصْدِهَا أَهْلَ مِصْرَ، أَهْدَاهَا لِلرَّسُولِ ﷺ الْمَلِكُ الْمُقَوْسُ حَاكِمُ مِصْرَ سَنَةَ سَبْعٍ لِلْهِجْرَةِ. وَكَانَ أَبُوهَا مِنْ سَادَةِ الْقِبْطِ، كَمَا وَرَدَ عَلَى لِسَانِ الْمُقَوْسِ فِي حَدِيثِهِ لِحَامِلِ رِسَالَةِ الرَّسُولِ إِلَيْهِ.

(٥) الْبَطْرِكُ كَيْرِيسُ الْمَعْرُوفُ بِاسْمِ الْمُقَوْسِ هُوَ الْحَاكِمُ الْبِيْزَنْطِيُّ لِمِصْرَ فِي الْفَتْرَةِ السَّابِقَةِ لِلْفَتْحِ الْإِسْلَامِيِّ.

منها إبراهيم<sup>(١)</sup>، ابن رسول الله ﷺ، فَكَانَتْ أُمٌّ وَلَدَ لَهُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.  
١٦٢ - وَأَوَّلُ مَوْلُودٍ وُلِدَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الْقَاسِمُ<sup>(٢)</sup>، وَبِهِ كُنِّي، وَوُلِدَ قَبْلَ بَعَثَتِهِ بِقَلِيلٍ،  
وَعَاشَ سِتِّينَ.

١٦٣ - ثُمَّ وُلِدَتْ زَيْنَبُ<sup>(٣)</sup>.

١٦٤ - ثُمَّ رُقِيَّةٌ<sup>(٤)</sup>.

١٦٥ - ثُمَّ فَاطِمَةُ<sup>(٥)</sup>.

١٦٦ - ثُمَّ أُمُّ كُلْثُومٍ<sup>(٦)</sup>.

١٦٧ - ثُمَّ عَبْدُ اللَّهِ<sup>(٧)</sup>، وَيُلَقَّبُ بِالطَّيِّبِ وَبِالطَّاهِرِ، وَتُوَفِّي صَغِيرًا، وَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مِنْ  
رُؤُوسِ خَدِيجَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْهُمْ.

(١) وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ (٨ هـ). وَفَرِحَ بِهِ النَّبِيُّ كَثِيرًا. وَحَلَقَ شَعْرَ إِبْرَاهِيمَ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَسَاهَ، وَتَصَدَّقَ  
بِزَنْتِهِ وَرَقًا، وَأَخَذُوا شَعْرَهُ فَدَفَنُوهُ. كَذَا قَالَ الزَّيْبِيُّ. أَخْبَرَنَا أَبُو الْفَضْلِ الْمَنْصُورُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الطَّبْرِيِّ  
الْمَخْزُومِيِّ الْمَعْرُوفِ بِالْبَدِينِيِّ بِإِسْنَادِهِ إِلَى أَبِي يَعْلَى أَحْمَدَ بْنِ عَلِيٍّ، حَدَّثَنَا شَيْبَانُ وَهَدْبَةُ بْنُ خَالِدٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا سَلِيمَانُ  
ابْنَ الْمَغِيرَةِ، أَخْبَرَنَا ثَابِتٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ وَوُلِدَ قَسْمِيتهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ». تُوَفِّي وَلَهُ  
سَنَةٌ وَنِصْفٌ.

(٢) قَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، أَوَّلُ أَوْلَادِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ خَدِيجَةَ. وَبِهِ كُنِّي، «أَبُو الْقَاسِمِ». وَوُلِدَ لَهُ قَبْلَ النَّبُوَّةِ وَمَاتَ  
بَعْدَ أَنْ بَلَغَ سِنًا تَمَكَّنَهُ مِنَ الْمَشِيِّ. غَيْرَ أَنَّ رِضَاعَتَهُ لَمْ تَكْتَمَلْ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ تُوَفِّي سَنَةَ (٦٠٥ م) قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ عَامَهُ الثَّانِي،  
وَدْفِنَ فِي مَقْبَرَةِ جَنْدُولِ مَوْلَايَا فِي مَكَّةَ.

(٣) زَيْنَبُ بِنْتُ النَّبِيِّ أُمُّهَا خَدِيجَةُ ﷺ، وَوُلِدَتْ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِعَشْرٍ سِنُونَ. تَزَوَّجَهَا أَبُو الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ، ابْنُ خَالَتِهَا  
وَأَنْجَبَتْ لَهُ عَلِيًّا وَأَمَامَةً، فَمَاتَ عَلِيٌّ وَهُوَ صَغِيرٌ وَبَقِيَتْ أُخْتَهُ.

(٤) رُقِيَّةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ، أُمُّهَا خَدِيجَةُ وَتُكْنَى بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ، لَقَّبَهَا ذَاتَ الْمَهْجَرَتَيْنِ، وَهِيَ الْإِبْنَةُ الثَّانِيَةُ لِلنَّبِيِّ بَعْدَ زَيْنَبَ،  
وَوُلِدَتْ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ بِنَحْوِ سَبْعَةِ أَعْوَامٍ.

(٥) فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ، أُمُّهَا خَدِيجَةُ، وَوُلِدَتْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ قَبْلَ الْبِعْثَةِ النَّبَوِيَّةِ فِي مَكَّةَ. وَهِيَ أَصْغَرُ بَنَاتِ النَّبِيِّ.  
هَاجَرَتْ إِلَى الْمَدِينَةِ وَهِيَ فِي الثَّامِنَةِ عَشْرَةَ مِنْ عَمْرِهَا، تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ. فَوُلِدَتْ لَهُ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ،  
وَأُمُّ كُلْثُومٍ وَزَيْنَبُ. وَهَنَّاكَ خِلَافَ حَوْلِ وَقْتِ وَفَاتِهَا؛ وَلَكِنْ تَرَجَّحَ رِوَايَةُ أَنَّ الْفَتْرَةَ بَيْنَ وَفَاتِهَا وَوَفَاةِ أَبِيهَا هِيَ خَمْسَةٌ  
وَتِسْعُونَ يَوْمًا؛ أَيْ فِي (١٣ جُمَادَى الْآخِرَةَ ١١ هـ).

(٦) أُمُّ كُلْثُومٍ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ، وَأُمُّهَا خَدِيجَةُ، وَوُلِدَتْ قَبْلَ الْبِعْثَةِ بِسِتِّ سِنِينَ. هَاجَرَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ مَعَ أُخْتِهَا فَاطِمَةَ  
وَزَوْجَةِ الرَّسُولِ سُودَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ وَمَعَهُمْ آلُ أَبِي بَكْرٍ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَهُنَّ النَّبِيُّ ﷺ وَأَتَى بِهِنَّ إِلَى دَارِهِ الَّتِي أَعَدَّهَا  
لِأَهْلِهِ بَعْدَ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ. خَطَبَهَا عَتِيْبَةُ بْنُ أَبِي لَهَبٍ قَبْلَ الْبِعْثَةِ وَلَمْ يَتِمَّ الزَّوْجُ، وَطَلَّقَهَا تَنْفِيذًا لِرِغْبَةِ أَبِيهِ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا،  
وَلَمَّا تُوَفِّيَتْ شَقِيْقَتِهَا رُقِيَّةُ زَوْجِ النَّبِيِّ أُمُّ كُلْثُومٍ لِعِثْمَانَ بْنِ عَفَانَ فِي رِبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ (٣ هـ)، وَعَاشَتْ أُمُّ كُلْثُومٍ عِنْدَ  
عِثْمَانَ سِتِّ سِنُونَ وَلَكِنَّمَا لَمْ تَلِدْ لَهُ. تُوَفِّيَتْ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْمَهْجَرَةِ.

(٧) عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ النَّبِيِّ، أُمُّهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ. أَصْغَرُ أَبْنَائِهَا قَبْلَ زَيْنَبَ. لُقِّبَ بِالطَّاهِرِ وَالطَّيِّبِ لِمَوْلَدِهِ بَعْدَ النَّبُوَّةِ،  
وَتُوَفِّيَ صَغِيرًا بِمَكَّةَ.

١٦٨ - وَوُلِدَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ مِنْ سُرِّيَّتِهِ مَارِيَةَ، وَتُوُفِّيَ وَعُمُرُهُ سَنَةٌ وَنِصْفٌ.

١٦٩ - وَلَمْ تَتْرُكْ وَاحِدَةً مِنْ بَنَاتِهِ عَقِبًا إِلَّا فَاطِمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - .

\* \* \*  
\* \*  
\*

## شمائله وأخلاقه ﷺ<sup>(١)</sup>

١٧٠ - كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُبْعَةً؛ أَي: مُتَوَسِّطَ الطُّوْلِ، وَهُوَ إِلَى الطُّوْلِ أَقْرَبُ. بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، جَلِيلَ الْكَاهِلِ، عَظِيمَ رُؤُوسِ الْمَنَاكِبِ، ضَخَمَ الْعِظَامِ، وَرُؤُوسِ الْمَفَاصِلِ، لَيْسَ بِكَثِيرِ اللَّحْمِ، وَلَمَّا أَسَنَّ<sup>(٢)</sup> بَدَنًا؛ مَتَمَّاسِكَ اللَّحْمِ، غَيْرَ قَاصِرِ الْيَدَيْنِ، وَلَا الْأَصَابِعِ، أَزْهَرَ اللَّوْنَ؛ أَي: أَبْيَضُ مُشْرَبُ الْبَيَاضِ بِحُمْرَةٍ.

١٧١ - عَظِيمَ الْهَامَةِ ( أَي: الْجُمُجْمَةِ )، أَسْوَدَ شَعْرِ الرَّأْسِ، لَيْسَ شَعْرُهُ مُلْتَوِيًا وَلَا مُرْتَخِيًا، شَعْرُهُ إِلَى شَحْمَةِ الْأُذُنِ. كَانَ يَفْرِقُ شَعْرَهُ. كَثَّ اللَّحْيَةَ؛ أَي: كَثِيرَ شَعْرِهَا، قَدْ مَلَأَتْ أَعْلَى صَدْرِهِ، أَسْوَدَ شَعْرِهَا، وَكَانَ فِي صُدْغَيْهِ شَعْرَاتٌ بَيَضَاءً، وَتَحْتَ شَفْتَيْهِ السُّفْلَى شَعْرَاتٌ بَيَضَاءً، وَذَلِكَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ الْمُبَارَكِ. وَكَانَ يَقْصُ شَارِبَهُ.

١٧٢ - مُدَوَّرَ الْوَجْهِ بِاسْتِطَالَةٍ قَلِيلَةٍ، وَاسِعَ الْجَبِينِ، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ؛ أَي: لَا ارْتِفَاعَ فِيهِمَا، لَوْجِهِ بَرِيقٌ يَزِيدُ إِذَا سُرَّ، وَاضِحَ الْأَنْفِ بِدَقَّةٍ. يُرَى فِي أَنْفِهِ بَعْضُ أَحْدِيدَابٍ، تَامَّ الْأُذُنَيْنِ.

١٧٣ - أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ أَدْعَجَهُمَا؛ أَي: شَدِيدَ سَوَادِهِمَا، قَدْ أُشْرِبَ بَيَاضَ عَيْنَيْهِ بِحُمْرَةٍ، أَنْجَلَ؛ أَي: طَوِيلَ شَقِّ الْعَيْنَيْنِ، طَوِيلَ الْأَشْفَارِ، كَثِيرَ شَعْرَهُمَا، حَاجِبَاهُ دَقِيقَانِ، مَعَ تَقْوُوسٍ قَرِيبٍ مِنَ الْقَرْنِ، بَيْنَ حَاجِبَيْهِ عِرْقٌ يَدْرُهُ الْعَضْبُ، وَاسِعَ الْفَمِ بِحُسْنٍ، مُفْلَجَ الْأَسْنَانِ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَائِيَاهُ.

١٧٤ - فِي عُنُقِهِ ارْتِفَاعٌ، سِوَاءِ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ، مَوْضُوعٌ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسَّرَّةِ بِشَعْرِ يَجْرِي كَالْحَطِّ. أَشْعَرَ أَعَالِي الصَّدْرِ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَصَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُ ذَلِكَ، أَشْعَرَ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ، طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ، ضَخَمَ الْعَضْدَيْنِ، غَلِيظَ الْكَفَّيْنِ، رَحَبَ الرَّاحَةِ.

١٧٥ - بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ، وَهُوَ بَضْعَةٌ نَاتِيَةٌ، مِقْدَارَ زَرِّ الْحَجَلَةِ ( وَالزَّرُّ: عُقْدَةٌ كَبِيضَةُ الْحَمَامِ، تُشَدُّ بِهَا شُقَّةُ الْحَجَلَةِ وَهِيَ: الْبَيْتُ )، أَحْمَرَ اللَّوْنِ، فِيهِ شَعْرَاتٌ، وَحَوْلَهُ خِيْلَانٌ كَأَنَّهَا الثَّالِيلُ.

(١) وَرَدَ هَذَا الْفَصْلُ بِشَكْلِ أَطْوَلَ وَأَكْثَرَ تَفْصِيلاً فِي مَقَالِ لَابِنِ عَاشُورٍ، صَدَرَ فِي الْمَجْلَةِ الزَيْتُونِيَّةِ، عَدَدُ (٩)، سَنَةِ (١٣٥٦هـ / ١٩٢٩م) (ص ٤٥٢ - ٤٥٦). عُنْوَانُهُ: الشَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ.

(٢) أَي: كَبُرَ فِي السِّنِّ.

١٧٦ - شَنَّ الْقَدَمَيْنِ<sup>(١)</sup>، ضامِر، وَسَطَهُمَا أَمْلَسَهُمَا، لَا تُتَوَّءَ فِيهِمَا وَلَا شُقُوقَ، قَلِيل لَحْمِ الْعَقَبِ، وَلَمْ يَرِدْ وَصْفُ أَظْفَارِهِ. وَوَرَدَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ أَنَّ سَبَابَتِي رِجْلِيهِ أَطْوَلُ مِنْ وَسَطِيهِمَا.

١٧٧ - وَكَانَ ﷺ إِذَا مَشَى يَتَقَلَّعُ كَأَنَّمَا يَنْزِلُ مِنْ مَكَانٍ مُنْحَدِرٍ سَرِيعًا فِي مَشِيَّتِهِ. إِذَا التَّقَّتْ التَّقَّتْ جَمِيعًا.

١٧٨ - جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ؛ أَي: لَا يُوجِّهُ نَظَرَهُ إِلَى شَيْءٍ بِحِدَّةٍ، نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى فَوْقِ.

١٧٩ - صَحِيحُهُ التَّبَسُّمُ، وَرَبَّمَا صَحِيحَكَ حَتَّى تَبْدُو نَوَاجِدُهُ.

١٨٠ - وَكَانَ كَلَامُهُ تَرْتِيلًا، بِحَيْثُ لَوْ شَاءَ أَحَدٌ أَنْ يَكْتُبَ كَلَامَهُ لَمْ يَقْتَهُ.

١٨١ - وَكَانَ أَكْثَرَ جُلُوسِهِ فِي الْمَجْلِسِ الْإِحْتِبَاءِ، وَرَبَّمَا اتَّكَأَ عَلَى وَسَادَةٍ.

١٨٢ - وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقًا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] <sup>(٢)</sup>. وَقَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -:

(١) أي: غليظ القدمين. انظر: ابن منظور، لسان العرب، (ش، ث، ن).

(٢) يقول الشيخ ابن عاشور: «بعد أن أنس الله نفس رسوله ﷺ، بالوعد عاد إلى تسفيه قول الأعداء فَحَقَّقَ أَنَّهُ مَتَلَبِّسٌ بِخُلُقِي عَظِيمٍ، وَذَلِكَ صُدُّ الْجَنُونَ، مُؤَكَّدًا ذَلِكَ بِثَلَاثَةِ مُؤَكَّدَاتٍ مِثْلَ مَا فِي الْجُمْلَةِ قَبْلَهُ. وَالخُلُقُ: طِبَاعِ النَّفْسِ، وَأَكْثَرَ إِطْلَاقَهُ عَلَى طِبَاعِ الْخَيْرِ إِذَا لَمْ يُتَّبَعْ بِبَعْثٍ، ... وَالْعَظِيمُ: الرَّفِيعُ الْقَدْرُ وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنْ صَخَامَةِ الْجِسْمِ، وَشَاعَتْ هَذِهِ الِاسْتِعَارَةُ حَتَّى سَاوَتْ الْحَقِيقَةَ. (وَعَلَى) لِلِاسْتِعْلَاءِ الْمَجَازِيِّ، الْمُرَادُ بِهِ التَّمَكُّنُ كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْلَيْتِكَ عَلَيَّ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥]...، وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ أَنَهَا سُئِلَتْ عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»، أَي مَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ إِيقَاعِ الْفَضَائِلِ وَالْمَكَارِمِ وَالنَّهْيِ عَنْ أَضْدَادِهَا. وَالخُلُقُ الْعَظِيمُ: هُوَ الخُلُقُ الْأَكْرَمُ فِي نَوْعِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ الْبَالِغُ أَشَدَّ الْكِرَامِ الْمَحْمُودِ فِي طَبِيعِ الْإِنْسَانِ لِاجْتِمَاعِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي النَّبِيِّ ﷺ، فَهُوَ حَسَنٌ مُعَامَلَتُهُ النَّاسَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ الْمُقْتَضِيَةِ لِحَسَنِ الْمَعَامَلَةِ، فَالْخُلُقُ الْعَظِيمُ أَرْفَعُ مِنْ مُطْلَقِ الخُلُقِ الْحَسَنِ. وَهَذَا قَالَتْ عَائِشَةُ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ»، أَلَسْتُ تَقْرَأُ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] الْآيَاتِ الْعَشْرِ. وَعَنْ عَلِيٍّ: الخُلُقُ الْعَظِيمُ: هُوَ أَدَبُ الْقُرْآنِ وَيَشْمَلُ ذَلِكَ كُلُّ مَا وَصَفَ بِهِ الْقُرْآنُ تَحَامُدَ الْأَخْلَاقِ وَمَا وَصَفَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿فَيَسَارُ حَمَوَيْنَ اللَّهُ لَيْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وَقَوْلِهِ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ الْقُرْآنِ. وَمَا أَخَذَ بِهِ مِنَ الْأَدَبِ بِطَرِيقِ الْوَحْيِ غَيْرِ الْقُرْآنِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا بَعِثْتُ لِأَسْمَمِ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ»، فَجَعَلَ أَصْلَ شَرِيعَتِهِ إِكْمَالَ مَا يَحْتَاجُهُ الْبَشَرُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي نَفْسِهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَكْبَرَ مَظْهَرٍ لِمَا فِي شَرِعِهِ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا﴾ [الباقية: ١٨]، أَمْرُهُ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَإِنَّا أَوْلَى الشَّيْئِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٣]. فَكَمَا جَعَلَ اللَّهُ رَسُولَهُ ﷺ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ جَعَلَ شَرِيعَتَهُ لِحَمْلِ النَّاسِ عَلَى التَّخَلُّقِ بِالْخُلُقِ الْعَظِيمِ بِمُنْتَهَى الْإِسْتِطَاعَةِ. وَهَذَا يَزِيدُادَ وَضُوحًا مَعْنَى التَّمَكُّنِ الَّذِي أَفَادَهُ حَرْفُ الْإِسْتِعْلَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾، فَهُوَ تَمَكُّنٌ مِنْهُ الخُلُقِ الْعَظِيمِ فِي نَفْسِهِ، وَتَمَكُّنٌ مِنْهُ فِي دَعْوَتِهِ الدِّينِيَّةِ. وَاعْلَمْ =



« كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ »<sup>(١)</sup>.

١٨٣ - وكان أَرْجَحَ الناسِ عَقْلاً، وَأَفْصَحَهُمْ لِسَانًا، وَأَبْلَغَهُمْ مَعْنَى، وَأَجْوَدَهُمْ فِطْنَةً، وَأَصْفَاهُمْ سَرِيرَةً، وَأَحْسَنَهُمْ عَفْوًا، وَأَكْثَرَهُمْ صَبْرًا، وَأَسْخَاهُمْ، وَأَسْمَحَهُمْ، وَأَشْجَعَهُمْ، شَدِيدَ الْحَيَاءِ إِلَّا فِي الْحَقِّ، كَثِيرَ الْإِغْضَاءِ عَنِ الْفَلَتَاتِ، حَسَنَ الْمُعَاشِرَةِ، رَحِيمًا بِالنَّاسِ، رَفِيقًا بِهِمْ، أَصْدَقَهُمْ قَوْلًا، وَأَوْفَاهُمْ عَهْدًا، شَدِيدَ التَّوَاضُعِ، كَثِيرَ الْاِحْتِمَالِ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ، شَدِيدَ الْغِلْظَةِ عَلَى الظَّالِمِينَ وَالْمُعْتَدِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَنْطِقُ بِفَاحِشَةِ الْقَوْلِ، غَيْرَ هَيَّابٍ لِلْمُلُوكِ وَالْجَبَابِرَةِ، وَيَتَنَازَلُ لِلضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَيَمْرُحُ وَلَا يَقُولُ إِلَّا حَقًّا<sup>(٢)</sup>.

\* \*  
\*

= أن جماع الخلق العظيم الذي هو أعلى الخلق الحسن هو التدين، ومعرفة الحقائق، وحلم النفس، والعدل، والصبر على المتاعب، والاعتراف للمحسن، والتواضع، والزهد، والعفة، والعفو، والجلود، والحياء، والشجاعة، وحسن الصمت، والتؤدة، والوقار، والرحمة، وحسن المعاملة والمعاشرة. والأخلاق كامنة في النفس ومظاهرها تصرفات صاحبها في كلامه، وطلاقة وجهه، وثباته، وحكمه، وحرته وسكونه، وطعامه وشرابه، وتأديب أهله ومن ينظره، وما يترتب على ذلك من حرمة عند الناس، وحسن الثناء عليه والسمعة. وأما مظاهرها في رسول الله ﷺ ففي ذلك كله وفي سياسته أمته، وفيما خص به فصاحة كلامه وجوامع كلمه. «التحرير والتنوير (٢٩ / ٦٣، ٦٤)».

(١) رقم الحديث (١٢٩) عن سعد بن هشام قال: سألت عائشة - رضي الله عنها - عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: «كان خلقه القرآن». البخاري، باب الرد على الجهمية.

(٢) أخرجه أحمد من حديث أبي هريرة وهو عند الترمذي بلفظ: قالوا: يا رسول الله، إنك تُداعبنا. قال: «إني لا أقول إلا حقًا»، وقال: حسن.

## أسماءه الشريفة

١٨٤ - أسماء رسول الله ﷺ عنوان ما فيه من الفضائل والمكارم. فلا جرم أن كان أكثر الخلق أسماء، وإن كان حقيقاً بأن تعدد صفاته أسماء؛ لأنها بلغت فيه منتهى حقائقها؛ فكانت صفاته دالة على ذاته.

١٨٥ - وقد أحصى بعض العلماء منها ثلاثمائة اسم، ويجمع أكثرها خمسة أسماء<sup>(١)</sup>.

(١) جاء في تفسير الشيخ الطاهر ابن عاشور:

« فتأويله (أي: هذا الحديث ) أنه أطلق الأسماء على ما يشتمل الاسم العلم والصفة الخاصة به على طريقة التغليب. وقد رويت له أسماء غيرها استقصاها أبو بكر ابن العربي في « العارضة »، و« القبس ». فالذي نؤمن به أن تحمل قوله: ﴿ أَنَّهُ أَحْمَدُ ﴾ [ الصف: ٦ ] يجري على جميع ما تحمله جزءاً هذه الجملة من المعاني... ونحن نجري على أصلنا في حمل ألفاظ القرآن على جميع المعاني التي يسمح بها الاستعمال الفصح كما في المقدمة التاسعة من مقدمات هذا التفسير، فنحمل الاسم في قوله: ﴿ أَنَّهُ أَحْمَدُ ﴾ على ما يجمع بين هذه الاستعمالات الثلاثة، أي مسأه أحمد، وذكره أحمد، وعلمه أحمد، ونحمل لفظ أحمد على ما لا يباه واحد من استعمالات ( اسم ) الثلاثة إذا قرن به وهو أن أحمد اسم تفضيل يجوز أن يكون مسلوب المفاضلة معنياً به القوة فيم هو مشتق منه؛ أي: الحمد وهو الثناء، فيكون أحمد هنا مستعملاً في قوة مفعولية الحمد، أي حمد الناس إياه، وهذا مثل قولهم: « العود أحمد »؛ أي: محمود كثيراً. فالوصف بـ ﴿ أَحْمَدُ ﴾، بالنسبة للمعنى الأول في اسم أن مسمى هذا الرسول ونفسه موصوفة بأقوى ما يحمده عليه محمود، فيشمل ذلك جميع صفات الكمال النفسانية والخلقية والحقلية والنسبية والقومية وغير ذلك مما هو معدود من الكمالات الذاتية والغرضية. ويصح اعتبار ﴿ أَحْمَدُ ﴾ تفضيلاً حقيقياً في كلام عيسى عليه السلام؛ أي: مسأه أحمد مني، أي أفضل، أي في رسالته وشرعته...

والوصف بـ ﴿ أَحْمَدُ ﴾ على المعنى الثاني في الاسم أن سمعته وذكره في جيله والأجيال بعده موصوف بأنه أشد ذكر محمود وسمعة محمود. وهذا معنى قوله في الحديث: « أنا حامل لواء الحمد يوم القيامة »، وأن الله يبعثه مقاماً محموداً. ووصف ﴿ أَحْمَدُ ﴾ بالنسبة إلى المعنى الثالث في الاسم رمز إلى أنه اسمه العلم يكون بمعنى: أحمد، فإن لفظ محمد اسم مفعول من حمد المضاعف الدال على كثرة حمد الحامدين إياه كما قالوا: فلان بمدح، إذا تكرر مدحه من مادحين كثيرين. فاسم « محمد » يفيد معنى: المحمود حمداً كثيراً ورمز إليه بأحمد. وهذه الكلمة الجامعة التي أوحى الله بها إلى عيسى عليه السلام أراد الله بها أن تكون شعاراً لجميع صفات الرسول الموعود به ﷺ، صيغت بأقصى صيغة تدل على ذلك إجمالاً بحسب ما تسمح اللغة بجمعه من معاني. ووكل تفصيلها إلى ما يظهر من شائله قبل بعثته وبعدها ليتوسمها المتوسمون ويتدبر مطاويها الراسخون عند المشاهدة والتجربة. التحرير والتنوير (٢٨ / ١٧٩، ١٨٠).

فَقَد رَوَى الْإِمَامُ مَالِكٌ<sup>(١)</sup> - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي الْمَوْطَأِ<sup>(٢)</sup>، عَنْ ابْنِ شَهَابٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « لِي خَمْسَةٌ أَسْمَاءٍ: أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاجِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَيَّ قَدَمِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ »<sup>(٣)</sup>.

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني (٧١١ - ٧٩٥ م) محدثٌ وفقه، من مؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة السنية. وُلد الإمام مالك بالمدينة سنة (٧١١ م) ونشأ في بيت علم، حفظ القرآن ثم الحديث وتعلم الفقه، ولازم فقيه المدينة ابن هرم سبع سنين، كما أخذ عن كثير من غيره من العلماء مثل نافع والزهري. ويعد أن اكتملت دراسته للأثار والفُتيا، وشهد له سبعون شيخاً من أهل العلم، اتخذ له مجلساً في المسجد النبوي للدرس والإفتاء، وقد عُرف درسه بالسكينة والوقار، وكان يتحرز أن يُخطئ في إفتائه ويكثر من قول « لا أدري »، وكان يقول: « إنا أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه ». اشتهر بعلمه وقوة حفظه للحديث، واحتياظه فيه. وقد اعتمد الإمام مالك في فتواه على عدة مصادر شرعية هي: القرآن، والسنة، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والمصالح المرسلة، والاستحسان، والعرف والعادات. وفي سنة (٧٩٥ م) مَرَضَ الإمام مالك اثنين وعشرين يوماً ثم مات، ودفن بالبقيع. انظر تفاصيل حياته ومنهجه: الشيخ ابن عاشور، كَشَفُ الْمُغْطَى مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمَوْطَأِ (ص ٣٩٦ - ٤٠١).

(٢) كتابٌ في الحديث الصحيح، وفيه أيضاً البلاغات والمنقطعات والمراسيل؛ لأنَّ مالكا يرى حُجِّيَّةَ الرُّسُلِ. ومن المعلوم أنَّ ابن عبد البر وصل هذه البلاغات في كتابه: التمهيد، سوى أربعة أحاديث. اعتنى أهل العلم بالموطأ عناية فائقة لإمامة مؤلفه وشهرته، ولأنَّ الإمام مالكا كان شديد التحري في الرواية، متقياً للرجال مُتَّقِداً لأحوالهم. لذلك جعله أهل الحديث آنذاك مصدرًا حديثيًا معتمداً عليه في الاحتجاج بأحاديثه. ورغم ذبوع صحيح البخاري بعده، لم يُفقد الموطأ مكانته كمصدر من مصادر السنة المشهورة.

(٣) الحديث في الموطأ، كتاب الجامع (٢، ٦٠٣، ٢٨٦١)، شرحه الشيخ ابن عاشور بشكلٍ مستفيض، كتابه: كَشَفُ الْمُغْطَى مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَاظِ الْوَاقِعَةِ فِي الْمَوْطَأِ (ص ٣٩٦ - ٤٠١).

## خَاتِمَةٌ

١٨٦ - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَ عَلَيَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ بَرَكَاتِ هَذَا الْيَوْمِ،  
كَمَا مَنَحَهُمْ فِي أَصْلِهِ، وَأَنْ يَكْتُبَنَا - فِي اجْتِمَاعِنَا لَهُ وَتَفَرُّقِنَا إِثْرَهُ - مَعَ  
الَّذِينَ يُظَلُّهُمْ اللَّهُ بِظِلِّهِ<sup>(١)</sup>.

مُحَمَّدٌ الطَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ

(١) هذا الدعاء الموجز قد يكون دليلاً على أن النص كان في أصله مُحَاصِرَةً شَفُوعِيَّةً  
أَلْقِيَتْ عَلَى الْمَلَأِ بِمُنَاسَبَةِ الْمَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ.

## ملاحق الكتاب

---

- \* نَسَبُ الرَّسُولِ ﷺ.
- \* الإِسْرَاءُ.
- \* المقصد العظيم من الهجرة.
- \* الرسول ﷺ والإرشاد (١).
- \* الرسول ﷺ والإرشاد (٢).
- \* الرسول ﷺ والإرشاد (٣).
- \* وُفُودُ الْعَرَبِ فِي الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (١).
- \* وُفُودُ الْعَرَبِ فِي الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٢).
- \* وُفُودُ الْعَرَبِ فِي الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٣).
- \* وُفُودُ الْعَرَبِ فِي الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ (٤).
- \* السَّمَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ.



نسب الرسول ﷺ<sup>(١)</sup>  
ومناسبته لعلِّي ذلك المقام  
سلسلة النسب النبوي - شرفه - طهارته - زكاؤه

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، هو محمدُ بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد منافِ ابنِ قُصَيِّ بنِ حَكِيمٍ ( ويُلقبُ بِكِلَابٍ ) ابنِ مَرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالِكِ بنِ النَّضْرِ بنِ كِنَانَةَ بنِ خَزِيمَةَ بنِ مُدْرِكَةَ بنِ إِيَّاسِ بنِ مُضَرِّ بنِ نَزَارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عَدْنَانَ. وَيَنْتَهِي نَسْبُ عَدْنَانَ إِلَى إِسْمَاعِيلَ بنِ إِبْرَاهِيمَ - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْأَنْسَابِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، وَبِالتَّوَاتُرِ عِنْدَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ السَّامِيَّةِ، وَبِئْصُوصِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخَاطِبًا أَهْلَ مَكَّةَ: ﴿ مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الحج: ٧٨]. وَقَالَ حِكَايَةُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ .. ﴾<sup>(٢)</sup> إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ [البقرة: ١٢٨، ١٢٩].

وَقَدْ ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ انْتَسَبَ (أَي: ذَكَرَ آبَاءَهُ) فَبَلَغَ مَرَّةً إِلَى كِنَانَةَ، وَلَمْ يَزِدْ، وَبَلَغَ مَرَّةً إِلَى عَدْنَانَ وَلَمْ يَزِدْ، وَزَادَ مَرَّةً، فَذَكَرَ عَدْنَانَ بِنِ أَدَدٍ، ثُمَّ أَمْسَكَ. وَرَوَى عَنْهُ ابْنُ عَبَّاسٍ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَ عَدْنَانَ قَالَ: « كَذِبَ النَّسَابُونَ » مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا. أَي: لَا تَحْقِيقَ عِنْدَ الْعَارِفِينَ بِالْأَنْسَابِ بِمَنْ فَوْقَ عَدْنَانَ أَوْ بِمَنْ فَوْقَ أَدَدٍ. قَالَ الشُّهَيْلِيُّ: « وَالْأَصْحَحُّ أَنَّ قَوْلَهُ: كَذِبَ النَّسَابُونَ »، مِنْ كَلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ. وَأَنَّ عَمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ أَيْضًا قَالَ: « إِنَّمَا نَتَسَبُّ إِلَى عَدْنَانَ وَفَوْقَ ذَلِكَ لَا نَدْرِي مَا هُوَ ». اهـ.

وَأُمُّ رَسُولِ اللَّهِ هِيَ أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبِ بْنِ عَبْدِ مَنْفِ بْنِ زُهْرَةَ بْنِ حَكِيمٍ. فَزُهْرَةُ أُخُو قُصَيِّ، وَهِيَ تَلْتَقِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ فِي حَكِيمٍ. هَذَا الْعَقْدُ النَّفِيسُ مَا انْتَضَمَ فِي سِمَطِيهِ إِلَّا جَوْهَرٌ، لَمْ يَشْنُهِ وَكُنْتُ، وَلَمْ تَنْخُرْهُ قَادِحَةٌ. فَكَانَتْ كُلُّ فَرَائِدِهِ فِي الْأَجْيَالِ نَيْرَةً وَاضِحَةً، وَمَا هُوَ إِلَّا نَسْبُ شَرِيفِ الْعُنْصُرِ، وَكَفَاهُ بُرْهَانًا أَنْ يَسْمَعَ وَاعٍ وَيَرَى مُبْصِرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى كَمَا قَدَّرَ لِمُحَمَّدٍ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ رُسُلِهِ وَأَنْ يَكُونَ مَبْعُوثًا بِمَا يُوَصَّلُ إِلَيْهِ مِنْ أَقْوَمِ سُبُلِهِ، كَذَلِكَ قَدَّرَ لَهُ إِكْمَالَ الْفَضَائِلِ فِي ذَاتِهِ وَمَا يَخْفُ بِهِ.

(١) صدر هذا بالمجلة الزيتونية، عدد (٩)، سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م)، (ص ٤١٦ - ٤٢٤).

(٢) في المجلة: ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَجَعَلَ أَوَّلَ مَظْهِرٍ لِدَلَالَتِهِ أَنْ قَدَّرَ لَهُ طَهَارَةَ نَسَبِهِ حَتَّى لَا تُوَضَّعَ تِلْكَ الْجَوْهَرَةُ الْفَدَىةَ فِي غَيْرِ صَدْفٍ أَمْثَالِهَا، وَلَا تُزَنُّ بِنَقِيصَةٍ تَتَطَرَّقُ إِلَيْهَا أَوْ إِلَى مَالِهَا، فَإِذَا نَحْنُ غُصْنَا فِي بَحْرِ الْأَنْسَابِ رَوْماً اسْتِخْرَاجِهَا، مُلِّتْ نُفُوسُنَا عَجَبًا مِنْ صَفَائِهَا وَابْتِهَاجِهَا، فَمِثْلُنَا حِينَئِذٍ كَمِثْلِ قَوْلِهِ :

أَوْ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ غَوَاصُهَا      بِهَجٍّ مَتَى يَرَهَا يَهْلُ وَيَسْجُدُ

شَرَفَ هَذَا النَّسَبِ:

إِنَّ شَرَفَ الْعُنْصُرِ وَالنَّسَبِ مَعْدُودٌ فِي الْفَضَائِلِ الذَّاتِيَّةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ عَدُّهُ فِي الْفَضَائِلِ - مِنْ حَيْثُ هُوَ - كَافٍ فِي تَحْصِيلِ فَضَائِلِ الذَّاتِ، إِذْ قَدْ يُخْلَفُ لِلْفَرَعِ مَخِيلَةٌ الْأَصْلِ، وَيَنْبَغِي فِي مَنَابِتِ التَّخْيِيلِ شَجَرُ الْأَثْلِ، وَإِنَّمَا يُعَدُّ فَضِيلَةً مِنْ حَيْثُ هُوَ وَسِيلَةٌ إِلَى نَمَاءِ الْفَضَائِلِ فِي النَّفْسِ الْمَطْبُوعَةِ عَلَى الْفَضِيلَةِ، وَقُدُورَةٌ لِلخَلْفِ يَأْتَسُونَ بِهَا آثَارَ أَسْلَافِهِمْ فِي مُرْتَقَى الْكَمَالِ، فَيَحْضُلُ مِنْ ذَلِكَ كَمَالَانِ: كَمَالُ الذَّاتِ وَكَمَالُ الْقُدُورَةِ، وَمِنْ حَيْثُ هُوَ قَاطِعٌ لِأَلْسِنَةِ الْحَاسِدِينَ، الَّذِينَ يَحْسُدُونَ أَهْلَ الْكَمَالِ عَلَى كَمَالِهِمْ، وَالْمُعَانِدِينَ لِكُلِّ مَنْ يَدْعُوهُمْ إِلَى خَلْعِ ذَمِيمِ أَعْمَالِهِمْ، فَإِذَا لَمْ يَجِدُوا مَعْزَمًا فَيَمْنُ حَسَدُوهُ وَعَانَدُوهُ، التَّمَسُّوا لَهُ مَا يَحْفَ بِهِ مِنَ الْعَوَارِضِ، وَلَا شَيْءَ يَحْفُ بِالْمَرْءِ أَشَدَّ بِهِ تَعَلُّقًا مِنْ حَالِ آبَائِهِ، فَمَنْ أَجَلَ ذَلِكَ شَرَّفَ اللَّهُ قَدْرَ نَبِيِّهِ، بِأَنْ قَدَّرَ لَهُ فِي الْأَزَلِ آبَاءَ، كَانُوا فِي مَرْتَبَةِ السُّؤْدَدِ وَأَجَلٍ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وَقَالَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قُرئَ فِي الْآيَتَيْنِ بِضَمِّ الْفَاءِ، فِي لَفْظِ: «أَنْفُسٍ» عَلَى أَنَّهُ جَمْعُ «نَفْسٍ»، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: مِنْ نَسَبِهِمْ؛ لِأَنَّ لَفْظَ النَّفْسِ مُتَعَيِّنٌ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِهَذَا الْمَعْنَى. وَيُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ نَسَبٌ خَاصٌّ، وَهُوَ النَّسَبُ الرَّفِيعُ، أَي: مِنْ خَيْرِ أَنْسَابِهِمْ، بِقَرِينَةِ مَقَامِ الْمَدْحِ وَالْمَنْ. وَقُرئَ بِفَتْحِ الْفَاءِ مِنْ «أَنْفُسٍ»، فَفُسِّرَ بِأَنَّهُ اسْمُ تَفْضِيلٍ، مُشْتَقٌّ مِنَ النَّفَاسَةِ، أَي: مِنْ أَشْرَفِهِمْ، وَالْمُرَادُ شَرَفَ النَّسَبِ. رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، يَأْتُرُهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، أَنَّهُ قَالَ: «مِنْ أَنْفُسِكُمْ نَسَبًا وَصَهْرًا». وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ، عَنْ أَبِي سَفْيَانَ فِي حَدِيثٍ هَرَقَلَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ كَلَامِهِ مَعَ أَبِي سَفْيَانَ أَنْ قَالَ لَهُ: «وَسَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ (يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ) فَذَكَرْتَ: أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَنْسَابِ قَوْمِهَا»<sup>(١)</sup>.

إِنَّ شَرَفَ النَّسَبِ يَتَقَوَّمُ مِنْ شَرَفِ الْقَوْمِ وَشَرَفِ الْعَشِيرَةِ وَمِنْ نِزَاهَةِ سُلْسَلَةِ الْأَبَاءِ

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة آل عمران (٤٢٧٨) بترقيم ديب البغا.



والأمّهات عن أن يلتصقَ بها ما يثلّم ذلك الشرف، ويعودَ نقصه بغصاصة في شرف الخلف.

فأمّا شرف القوم وشرف العشيّة فحاصل في شرف العرب من بين الأمم، وفي شرف قريش، وفي شرف بني هاشم. ولستُ الآن بصدد تفصيل الكلام فيهما؛ لأنّ ذلك يطول، وأقتنع هنا بما رواه مسلمٌ في صحيحه والترمذي عن واثلة بن الأسقع<sup>(١)</sup> قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»<sup>(٢)</sup>.

وأما نزاهة سلسلة الآباء والأمّهات: فنزاهة سلسلة الآباء هي السؤدد، ونزاهة سلسلة الأمّهات هي الصيانة.

فأمّا سُؤدد آبائه ﷺ، فأولهم إبراهيم رسول الله، ثمّ ابنه إسماعيل، رسول ابن رسول، وهو أفضل أولاد إبراهيم على الصحيح.

ثم إنّ جميع آباء رسول الله الذين حُفظت أسماؤهم إلى عدنان كانوا أفضل أجيالهم في أقوامهم ومجمّع مكارمهم، مرموقين بعين الوقار والتّعظيم:

فأبوه عبد الله فضله الله بمنقبة نذر عبد المطلب أبيه أن يذبّحه قرباناً لله، شكراً على أن جعله عاشرَ عشرة ذكورٍ من أبنائه، وألهم الله قريشاً فأشاروا بفدائه بمائة من الإبل، فكان ذلك إلهاماً إلهياً؛ ليكون آخر آباء رسول الله في ذريّة إبراهيم ذبيحاً مقدّى، كما كان أولهم من تلك الذريّة ذبيحاً مقدّى. ولذلك وُصف رسول الله: «بأنّه ابنُ الذبيحين»<sup>(٣)</sup>. وأبوه عبد المطلب كان أفضل قريش وسيّد أهل البطحاء، ومظهر بئر زمزم كما ظهرت لإسماعيل.

وأبوه هاشم، واسمه عمرو، وكان سيّد قريش ومطعم الناس في المجاعة. قال عبد الله ابن جدعان:

عمرو العلاء هشمَ الشريد لقومه قوم بمكة مُستتين عجاف

(١) واثلة بالياء المثلثة، والأسقع بقاف وهو من بني كنانة، صحابيٌّ خدّم النبي ﷺ ثلاث سنين، وتوفي سنة (٨٢هـ).

(٢) أخرجه مسلم في الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ (٢٢٧٦)، والترمذي في المناقب، باب في فضل النبي ﷺ (٣٦٠٥).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين (٦٩٥٣).

وأبوه عَبْدُ مَنْفٍ، كَانَتْ قَرِيشٌ تُلَقَّبُهُ قَمَرَ الْبَطْحَاءِ.

وأبوه قُصَيٌّ هُوَ سَيِّدُ قَرِيشٍ وَمُعِيدُ مَجْدِهِمْ، وَجَامِعُ شَتَاتِهِمْ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَرَدَّ وِلَايَةَ الْكَعْبَةِ مِنْ خُرَاعَةَ.

وَلَمْ يَحْفَظْ لَنَا التَّارِيخُ مَا كَانَ مِنَ السِّيَادَةِ لِحَكِيمٍ وَمُرَّةَ عَلَى قَوْمِهِمَا.

وَكَعْبٌ كَانَ مِنْ أَعْظَمِ سَادَةِ قَرِيشٍ وَالْعَرَبِ قَاطِبَةً، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمَّى يَوْمَ الْعَرُوبَةِ بِالْجُمُعَةِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَجْمَعُ فِيهِ قَرِيشًا وَيَخْطُبُهُمْ. وَقَدْ أَرَّخَتْ قَرِيشٌ بِعَامِ مَوْتِهِ<sup>(١)</sup>.

وَلَمْ يَحْفَظْ لَنَا التَّارِيخُ مِمَّا كَانَ مِنْ مَجْدِ لُؤَيٍّ وَغَالِبٍ وَفِهْرِ الْمَلَقِبِ بِقَرِيشٍ لِأَنَّهُ كَانَ يَقْرَأُ عَنْ خَلَّةِ الْمُحْتَاجِ، فَيَسُدُّهَا بِمَالِهِ.

وَمَالِكٍ وَالنَّضْرُ طُويَ مَجْدُهُمَا فِي مَنْسِيِّ التَّارِيخِ.

وَكَيْنَانَةَ كَانَ عَظِيمَ الْقَدْرِ، أَعَزَّ مَنْ دُفِعَتْ إِلَيْهِ الْمَطِيئُ.

وَخُزَيْمَةَ لَمْ يُحِظْ التَّارِيخُ بِذِكْرِ مَجْدِهِ.

وَمُدْرَكَةَ كَانَ فِي وَجْهِهِ نَوْزٌ. فَكَانُوا يَعْلَمُونَ بِهِ أَنَّهُ يُؤَذِّنُ بِنَبِيِّ، يَخْرُجُ مِنْ نَسْلِهِ.

وَإِلْيَاسَ أَوَّلُ مَنْ أَهْدَى الْبُدْنَ إِلَى الْكَعْبَةِ، وَهُوَ الَّذِي ظَفَرَ بِالْحَجَرِ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ لِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ الْمُسَمَّى: بِمَقَامِ إِبْرَاهِيمَ. وَأَبُوهُ مُضَرٌ كَانَ أَفْضَلَ قَوْمِهِ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « لَا تَسُبُّوا مُضَرَ فَإِنَّهُ كَانَ قَدْ أَسْلَمَ »<sup>(٢)</sup>.

وَأَبُوهُ نِزَارٌ، كَانَ فِي وَجْهِهِ نَوْزٌ، وَكَانَ وَاضِعَ الْكِتَابَةِ الْعَرَبِيَّةَ فِي أَحَدِ الْأَقْوَالِ.

وَأَبُوهُ مَعْدٌ، كَانَ قَائِدَ قَوْمِهِ، وَكَانَ يُحَارِبُ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يَدْفَعُ غَارَاتِهِمْ عَنْ بِلَادِ الْعَرَبِ.

وَأَبُوهُ عَدْنَانٌ كَانَ أَشْرَفَ الْعَرَبِ، وَكَانَ بُخْتَنَصْرٌ لَمَّا غَزَا بِلَادَ الْعَرَبِ، وَغَزَا أُرْشِيلِمَ حَمَلَ مَعَهُ عَدْنَانَ، وَمَعَهُ النَّبِيُّ أَرْمِيَا إِلَى بَابِلَ.

وَبَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ أَرْبَعُونَ أَبًا أَوْ سَبْعَةٌ وَثَلَاثُونَ، أَسَدَلَّتِ الْعَصُورُ عَلَى مَجْدِهِمْ سَتُورَ الْقِدَمِ، فَحَجَبَتْ عَنْهَا مَجْدًا يَمْلَأُ ذِكْرَهُ السَّمْعَ وَالْقَمَمَ.

وَهَلْ يُنْبِتِ الْخَطِيئُ إِلَّا وَشِجْعُهُ وَتَنْبُتُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ

(١) كان موت كعب قبل عام الفيل بخمسمائة وستين سنة.

(٢) رواه ابن سعد عن عبد الله بن خالد مرسلاً، وفي الروض الأثف للسهيلى أن الزبير بن بكار روى في مسنده: « لا تسبوا مضر ولا ربيعة، فإنها كانا مؤمنين » وكلا السحديين بين مرتبتي الحسن والضعف.

## طهارة هذا النسب:

طهارة النسب هي خلوصه من الشكوك والأشاج، وهذا النسب النبوي قد كان أباًؤه في شرف محيدينهم، وحسن سمعتهم ورتاستهم لأفضل مكان في بلاد العرب، وفي العالم أجمع، وهو بيت إبراهيم، وتسلسلهم من إبراهيم، ما كانوا ليجعلوا افترانهم بالنساء إلا على طريقة العقد المسمى: بالنكاح الذي تتقوم حقيقته من وصفين وهما: الاختصاص والشهرة، اللذين هما أوثق ضمان لصحة النسب. فالاختصاص هو حقيقة النكاح أي: أن تختص المرأة برجل، لا يقربها غيره ما دامت في عصمته، لم تنفصل عنه بطلاق أو موت.

وبذلك الاختصاص لا يتطرق الاحتمال في الأبوة والبُنوة. والشهرة أن يخطب الرجل المرأة بواسطة أوليائها أو ذوي قرابتها من رجال قبيلتها، فترضى ويرضون، ويدفع إليها صداقاً وتزف إليه علناً، بذلك يسلم النسب من الخفاء والادعاء.

قال محمد بن السائب الكلبي النسابة: « كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَمْسَمِائَةَ أُمَّ، فَمَا وَجَدْتُ فِيهَا سِفَاحًا وَلَا شَيْئًا، مِمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ الْجَاهِلِيَّةُ، غَيْرَ النَّكَاحِ. »

فتنزيه الله نسب رسوله من ذلك ليس ليكون تلك العقود مُحَرَّمَةً؛ إذ لم يكن يومئذ شرع يميز الحلال من الحرام، ولكن لأن ما عدا النكاح يعتريه الشك في صحة النسب المتولد منه.

## زكاء هذا النسب:

أردت بزكاء النسب سلامة السادة، آباء رسول الله، من وصمة الخزي يوم عرض الأمم وحسابها. وهذا فضيلة دينية ليس إليها كبير التفات في شرف الابن؛ لأن النقايص الجثمانية إذا اعترت الأصول كان من شأنها أن تجر للفرع نقصاً يتطرق خيلته؛ لأن الفرع سلالة من الأصل، أو يتطرق عرضه، أو رمق عيون القوم إياه، إذا كانت نقائص الأصول، مما يذم به الأصل في عرف البشر أو عرف القبيلة، كعدم الحصانة في الأمهات وخسة الفعال في الآباء، كما أشرنا إليه آنفاً.

وأما الأغلاط الاعتقادية والعلمية فهي أشياء تتعلق بالتفكير، وهو حركة النفس في المعقولات، وتلك من الأنفعالات النفسية المتجددة والمتغيرة، وليست

من أصل الخَلْقَةِ، أَلَا تَرَى أَنَّهَا تَقْبَلُ الْإِيْجَادَ وَالْإِضْمِحْلَالَ وَالزِّيَادَةَ وَالنَّقْصَانَ، بِحَسَبِ الْبَيْئَةِ وَالتَّعْلِيمِ، وَحُسْنِ التَّلْقِي، وَصِحَّةِ الْعُلُومِ وَالْإِنْكَابِ عَلَى التَّمْحِيصِ، وَبِحَسَبِ أَضْدَادِ تِلْكَ، فَرُبَّمَا صَدَدَتْ عُقُولٌ نَابِهَةٌ ذَكِيَّةٌ، بِسَبَبِ الْإِعْرَاضِ عَنِ اسْتِعْمَالِ ذِكَايَهَا، وَرُبَّمَا ثَقُفَتْ عُقُولٌ بَطِيئَةٌ بِقُوَّةِ الْكَدِّ وَالْإِنْكَابِ، فَعَلِمْنَا مِنْ ذَلِكَ أَنَّ الْأِعْرَاضَ الْفِكْرِيَّةَ لَا يَنْجَرُّ مَفْعُولُهَا مِنَ الْأَصْلِ إِلَى فَرْعِهِ، وَلَا يَثْبُتُ حُكْمُهَا إِلَّا لِصَاحِبِهَا خَاصَّةً، فَالِنَّظَرَ إِلَى الْحَالَةِ الْاِعْتِقَادِيَّةِ فِي أَزْمَانِ الْجَاهِلِيَّةِ إِنْ كَانَ مِنْ تَوَقُّعِ تَطَّرُقِ النَّبِزِ لِلْمَتَّصِفِ بِهَا، فَأَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَعُدُّونَ الَّذِينَ اِعْتَقَدُوا اِعْتِقَادَهُمْ مِنْ كُمَّلِ سَادَتِهِمْ، فَلَا يُتَوَقَّعُ مِنْهُمْ أَنْ يَنْبِزُوا الرَّسُولَ ﷺ، بِتَقْدِيرِ كَوْنِ بَعْضِ آبَائِهِ كَانُوا اِيَعْتَقِدُونَ اِعْتِقَادَ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَإِنْ كَانَ مِنْ جَانِبِ تَوَقُّعِ غَضِّ نَظَرِ الْمُسْلِمِينَ، فَالْمُسْلِمُونَ قَدْ تَقَرَّرَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ جَلَالَةِ قَدْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَفَضْلِهِ مَا لَا يُخَالِجُهُمْ مَعَهُ خَاطِرٌ مِنْ خَوَاطِرِ التَّنْقِيصِ. وَأَمَّا مِنْ جَانِبِ الْحَقَائِقِ، فَتَنْقِيصُ الْمَرْءِ لِأَحْوَالِ أُصُولِهِ تَنْقِيصٌ وَهْمِيٌّ؛ إِذِ الْحَقِيقَةُ لَا تَسْمَحُ بِأَنْ يُوصَفَ أَحَدٌ إِلَّا بِمَا فِيهِ. وَالْأُمُورُ الْوَهْمِيَّةُ إِنَّمَا تَظْهَرُ آثَارَهَا فِي الْعَالَمِ الدُّنْيَوِيِّ.

وَأَمَّا الْعَالَمُ الْآخِرِيُّ فَهُوَ عَالَمُ الْحَقَائِقِ، فَلَا يُتَّقَصُّ الْمَرْءُ فِيهِ بِالْأَحْوَالِ الْإِضَافِيَّةِ، الْمُنْجَرَّةِ مِنْ غَيْرِهِ، ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

فَالزَّكَاةُ الْآخِرِيُّ لَا يُؤَثِّرُ وَجُودُهُ وَلَا عَدَمُهُ شَرْفًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَبْلَ مَجِيءِ الشَّرِيعَةِ؛ إِذِ التَّدِينُ بِدِينٍ بَاطِلٍ أَوْ بِالْكَفْرِ وَالشُّرْكِ، لَا يُنَافِي كَرَمَ الْعُنْصُرِ، وَلَا شِعَارَ السُّودِّ، فَكَمِّ مِنْ سَادَةٍ وَكِرَامِ، وَقَادَةَ أَمَمٍ كَانُوا فِي الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، بَلَّغُوا مِنْ شَرَفِ الْمَحْتَدِ وَمُرْتَقَى السُّودِّ مَبْلَغًا بَعِيدًا وَلَمْ يَكُونُوا مُتَقَلِّدِينَ دِينًا صَحِيحًا؟.

وَكَمِّ مِنْ صَالِحِي قَوْمٍ وَطَلَّابِ نَجَاةٍ كَانُوا ضُعَفَاءَ، لَا يُؤَبِّهُ بِهِمْ. وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ شُعَيْبٍ لَهُ: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجِمْتِكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١]. وَكَانَ حَاتِمُ الطَّائِي وَهَرَمُ بْنُ سَنَانَ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ مِنْ أَكْبَرِ سَادَةِ الْعَرَبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ»<sup>(١)</sup>. فَلَوْ كَانَ آبَاءُ رَسُولِ اللَّهِ أَوْ بَعْضُهُمْ عَلَى دِينِ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، كَمَا كَانَ آبَاءُ أَفَاضِلِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٣٩٤) بترقيم ديب البغا.

الصحابة، لَمَا كَانَ ذَلِكَ مُخْلًا بِمَا يَثْبُتُ لَهُمْ مِنْ كَرَمِ الْعُنْصُرِ وَشَرَفِ السُّؤْدَدِ وَلَا مُنْقِصًا مِنْ قَدْرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَلَكِنْ عِظْمُ قَدْرِ الرَّسُولِ، وَكَرَامَتُهُ عَلَى رَبِّهِ، زَوَتْ لَهُ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ جَمِيعَ مَا بِهِ التَّفَاوُلُ وَالْإِعْتَابُ، فَضَمَّ إِلَى كَرَمِ عُنْصُرِهِ فِي الدُّنْيَا شَرَفَ آبَائِهِ فِي الْآخِرَةِ. وَالشَّرْفُ الْأُخْرَوِيُّ يَتَقَوَّمُ بِالنَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ وَيَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ فِي دَارِ الثَّوَابِ. وَلِلْعُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ فِي تَحْقِيقِ مَقَامِ آبَائِهِ ﷺ مِنْ هَذَا الشَّرْفِ أَقْوَالٌ:

فَكَانَ جَمَاعَةٌ قَلِيلَةٌ، نَظَرَتْ إِلَى مَا يَقْتَضِي أَنَّ هَذَا الشَّرْفَ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ غَيْرُ صَاحِبِهِ، وَكَيْسَ هُوَ كَالشَّرْفِ فِي الدُّنْيَا يُعَدُّ عَدَمُهُ أَوْ الضَّعْفُ فِيهِ نَقْصًا بَيْنَ أَهْلِهَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يَغْوِصُوا بِالنَّظَرِ، وَأَتَّبَعُوا أَدْلَةَ ظَاهِرِيَّةً، فَقَالُوا: إِنَّ آبَاءَ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى دِينِ قَوْمِهِمْ غَيْرِ نَاجِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَهَذَا قَوْلٌ مَنْ يَرَى أَنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ وَاجِبٌ بِالْعَقْلِ لَا بِالشَّرْعِ. وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْمَاتَرِيذِيَّةِ وَكَافَّةِ الْمُعْتَزَلَةِ. وَرَأَوْا أَنَّ شَأْنَ الْعَرَبِ كُلِّهِمْ فِي تِلْكَ الْعَصُورِ هُوَ الشِّرْكَ، وَأَنَّ أَحَادِيثَ ذَلَّتْ عَلَى عَقُوبَةِ مُشْرِكِي الْعَرَبِ عَلَى شِرْكِهِمْ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَعْرَابِيٍّ سَأَلَهُ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: « فِي النَّارِ »<sup>(١)</sup>.

وَأَنَا أَجِيبُ عَنْ هَذَا بِأَنَّ لَوْ سَلَّمْنَا أَنَّ الْإِيمَانَ وَاجِبٌ عَلَى النَّاسِ بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ، فَمَنْ أَنْبَأَنَا بِأَنَّ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ وَأَبَاءَهُ كَانُوا عَلَى دِينِ قَوْمِهِمْ؟ وَلِمَ لَا يَكُونُونَ مِمَّنْ رَفَضَ عِبَادَةَ الْأَصْنَامِ، وَتَوَخَّى الْحَنِيفِيَّةَ مَا اسْتَطَاعَ، وَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَظَاهَرُونَ بِذَلِكَ، إِذْ لَا مَوْجِبَ لِلتَّظَاهِرِ بِهِ، إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى تَقْوِيمِ دِينِ قَوْمِهِمْ وَلَا شَرِيعَةً تَوْجِبُ عَلَيْهِمْ تَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ؟ وَرَبَّمَا كَانَ التَّظَاهِرُ بِهِ يُوجِبُ نَفْوَ قَوْمِهِمْ مِنْهُمْ، فَيَضِيعُ بِذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ مَسَاعِيهِمْ لِخَيْرِ قَوْمِهِمْ وَعِمَارَةِ كَعْبَتِهِمْ. وَلَيْسَ وَجُودُ أَحَدٍ فِي أُمَّةٍ تَدِينُ بِالشِّرْكِ يَقْتَضِي أَنَّ يَكُونَ الْمَوْجُودَ بَيْنَهُمْ هُوَ عَلَى مِلَّتِهِمْ.

وَأَمَّا الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ، فَقَالَ لَهُ: « فِي النَّارِ ». فَقَالَ لَهُ: وَأَيْنَ أَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « فِي النَّارِ ». فَقَدْ أَجَابَ عَنْهُ الْعُلَمَاءُ بِوَجْوهٍ، أَحْسَنُهَا:

أَنَّ الرَّاوي - وَهُوَ حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ - رَوَاهُ بِالْمَعْنَى فَعَلَطَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَوَاهُ مَعَمَّرُ ابْنِ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ لَمَّا قَالَ لَهُ: أَيْنَ أَبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ: « حَيْثُمَا

(١) أخرجه أبو داود في سننه عن موسى بن إسماعيل (٤٠٩٥) طبعة دار الفكر بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

مَرَزَتْ بِقَبْرِ مُشْرِكٍ، فَبَشَّرَهُ بِالنَّارِ»<sup>(١)</sup>.

قَالُوا: وَمَعْمَرٌ أَثْبَتُ مِنْ حَمَّادٍ، فَإِنَّ حَمَّادًا تُكَلِّمَ فِي حِفْظِهِ، وَلَهُ أَحَادِيثُ مُنْكَرَةٌ، وَلِذَلِكَ لَمْ يُخْرِجْ لَهُ الْبَخَارِيُّ فِي الصَّحِيحِ شَيْئًا.

وَكذَلِكَ رَوَى الْحَدِيثَ ابْنُ مَاجَةَ عَنِ الزَّهْرِيِّ، عَنِ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنِ أَبِيهِ بِمِثْلِ مَا رَوَاهُ مَعْمَرٌ عَنِ ثَابِتٍ عَنِ أَنَسٍ<sup>(٢)</sup>، فَيَكُونُ جَوَابُ رَسُولِ اللَّهِ جَرَى عَلَى الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ، عَلَى خِلافِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، فَلَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْمَسْئُولِ عَنْهُ، فَظَنَّهُ حَمَّادٌ جَارِيًا عَلَى مُقْتَضَى الظَّاهِرِ، وَلَمْ يَرَ لَهُ وَجَهَ اتِّصَالِ السُّؤَالِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَلَى مَعْنَى إِفَادَةِ الْحُكْمِ الْخَاصِّ بِوَجْهِ الْعُمُومِ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِمَا اقْتَضَى أَنَّهُ إِخْبَارٌ بِأَنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ فِي النَّارِ. وَاعْلَمْ أَنَّ الْحَالَ الَّذِي اقْتَضَى إِخْرَاجَ جَوَابِ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْأَسْلُوبِ الْحَكِيمِ وَعُدُولُهُ عَنِ صَرِيحِ الْجَوَابِ أَنَّهُ رَأَى فِي جَوَابِ سُؤَالِهِ مَا يُوجِبُ انْكَسَارَ نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ شَأْنَ الَّذِي يُصِيبُهُ مَا يَكْرَهُ أَنْ يَشْتَدَّ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ غَيْرَهُ مِمَّنْ يَظُنُّهُ قَدْ شَارَكَهُ فِي الْمَصِيبَةِ سَالِمًا مِنْ تِلْكَ الْمَصِيبَةِ.

وَقِيلَ فِي الْجَوَابِ: إِنَّ السَّائِلَ عَنِّي بِقَوْلِهِ: أَيْنَ أَبُوكَ؟ أبا طَالِبٍ فَإِنَّهُ الَّذِي يَعْرِفُهُ النَّاسُ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْسَبُ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ كَافِلُهُ، أَلَا تَرَى أَنَّ قَرِيشًا قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ: « قُلْ لَابْنِكَ يَرْجِعُ عَنْ شَتْمِ آبَائِنَا »، وَقَالُوا لَهُ حِينَ كَتَبُوا صَحِيفَةَ الْقَطِيعَةِ: « أَسْلَمَ إِلَيْنَا ابْنُكَ، وَنَحْنُ نَعُوْضُكَ عَنْهُ بِأَحَدِ آبَائِنَا ».

وَذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْحَدِيثَ مَنْسُوخٌ بِمَا دَلَّ عَلَى عَدَمِ مُوَازَنَةِ أَهْلِ الْفِتْرَةِ وَهُوَ بَعِيدٌ؛ لِأَنَّ النَّسْخَ لَا يَدْخُلُ الْأَخْبَارَ، وَالرَّسُولُ عَلَى مُقْتَضَى تِلْكَ الرَّوَايَةِ أَخْبَرَ بِأَنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ فِي النَّارِ فَكَيْفَ يَنْسَخُ مَا أَخْبَرَ بِهِ، فَلَا يَسْتَقِيمُ هَذَا الْجَوَابُ إِلَّا بِتَكْلُفٍ.

فَأَمَّا جُمْهُورُ عُلَمَاءِ الْأُمَّةِ - وَنَحْنُ فِي رُؤْمَتِهِمْ - فَقَدْ أَثْبَتُوا لِأَبُوَيْ رَسُولِ اللَّهِ وَأَبَائِهِ الشَّرْفَ الْأَخْرَوِيَّ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ ثَلَاثُ مَرَاتِبَ:

الْمَرْتَبَةُ الْأُولَى: إِنَّهُ شَرَفُ النَّجَاةِ مِنْ خِزْيِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بِأَنْ يَكُونُوا نَاجِينَ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ قَوْمِهِمْ، أَوْ بَعْضِهِ، وَلَكِنَّهُمْ غَيْرُ مُوَازِنِينَ عَلَى ذَلِكَ؛

(١) الطبراني، المعجم الكبير (١ / ١٤٥) (٣٢٦).

(٢) ابن ماجه في الجناز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين (١٥٧٣).

لأنهم لم يأتهم رسولٌ بشرع فيكفروا به، حتى يحقَّ عليهم عذاب الكافرين بالرسول؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥].

والمراد بالرسول هو معناه المعروف في اللغة، ومن تأوَّله بما يشمل دلالة العقل فقد خرَّج عن مهيع اللغة، على أنه يصادمه قوله: نبعث؛ إذ العقل لا يبعث.

ومما نوقن به أن آباء رسول الله وأمهاته كانوا كلهم من أهل الفترة؛ إذ لم يقم في العرب العدنانية رسولٌ بعد إسماعيل عليه السلام، فإنَّ الرسل الذين جاؤوا من بعده في العرب هم: هودٌ وصالحٌ أرسلاً إلى عادٍ وثمودٍ من العرب القحطانيين، وشعيبٌ أرسلٌ لأهل الرِّسِّ وهم بَقِيَّة من ثمود، وخالد بن سنان العبسي<sup>(١)</sup> أرسلٌ إلى عبسٍ خاصَّة من العدنانيين، وقيل: هو نبيٌّ وليس برسول.

فمن كان يُعدُّ من آباء رسول الله ﷺ بعد الذين أدركوا إسماعيلَ فهم أهل فترة. وقد قال جمهور علماء السنة والأئمَّة الثلاثة، مالكٌ والشَّافعيُّ وأحمد والأشاعرةُ كلُّهم وأهل بخارى من الماتريديَّة: إنَّ أهل الفترة غيرُ مؤاخذينَ على الجهل بالله، ويوحدانته لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، وردُّوا أو تأوَّلوا جميع الآثار الدالَّة على خلاف هذا الأصل.

وقال المالكية: إنَّها أخبار آحادٍ، لا تُعارضُ قواطع الاعتقاد، وإذا بطل استحقاق العذاب لم يتحقَّق الوعيد في شأنهم، فقيل: إنَّهم غير مُعذِّبين ولا مُثابين وهو ظاهر كلام المُحدِّثين، ثم يقع امتحانهم فيدخلون الجنَّة، وقيل: يدخلون الجنَّة دون امتحان، وهو منسوبٌ لأهل الأصول من الأشاعرة وللشافعي في الأم.

(١) قال تعالى: ﴿... وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنِّي لِيُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٦]، وعلقت الشيخ الطاهر ابن عاشور في تفسيره على هذه الآية بقوله: « ويتعلق « لتنذر قوماً » بما دلَّ عليه مصدر « رحمة » على الوجه المتقدم. واللام للتعليل. والقوم: قريش والعرب، فهم المخاطبون ابتداءً بالدين وكلهم لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ، وأما إبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - فكانا نذيرين حين لم تكن قبيلة قريش موجودة يومئذٍ ولا قبائل العرب العدنانية، وأما القحطانية فلم يرسل إليهم إبراهيم؛ لأن اشتقاق نسب قريش كان من عدنان، وعدنان بينه وبين إسماعيل قرون كثيرة. قال رسول الله ﷺ: « أنا أولى الناس بابن مريم، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي »، رواه مسلم رقم (٢٣٦٥)، قال ابن كثير في البداية والنهاية: « وكل واحد من خالد ابن سنان وحظلة بن صفوان كان في زمن الفترة وكان صالحاً ولم يكن نبياً ». (١٧ / ٨٥) طبعة دار هجر (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).

المرتبة الثانية: إن شرفهم الأخروي شرف الثواب على الإيمان بالله الواحد، على حكم ما ثبت لمن خلع الشرك من أهل الفترة، مثل أمية بن أبي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل، فإذا كانوا كذلك ثبتت لهم النجاة والثواب على قول جميع علماء الإسلام. وبهذا قال الإمام فخر الدين الرازي وجماعة من العلماء منهم جلال الدين السيوطي والقسطلاني وهو قول الشيعة، وأنا أستروح لهذا دليلاً من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦١﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ. لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٣﴾﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَهُنَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٦٤﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٩]، فأثبت أن كلمة التوحيد بقيت في عقب إبراهيم أي: لم تنقطع فلم تزل يحفظها حافظ من عقبه. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: رجاء أن يرجع من لا يعلمها إلى من يعلمها فلا ينقطع ذلك من عقب إبراهيم.

والإشارة والضمير عائدان إلى العرب بقريته السياق وبقريته قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٦٦﴾ [الزخرف: ٣٠، ٣١]. وهذه كلها مقالة العرب، وآباء العرب يشمل جميع آباء جميعهم ما عدا آباء رسول الله ﷺ؛ لأنه غير داخل في الإشارة. ومعنى تمتيعهم وآبائهم تمتيعهم بكف العذاب عنهم في الدنيا وفي الآخرة عمّن أشركوا في مدة الفترة حتى جاءهم محمد، فحقت يومئذ مؤاخذتهم، فيؤخذ من عرض هذا الكلام وفحواه أن آباء محمد ﷺ من العقب الذين بقيت فيهم كلمة التوحيد، فكانوا مؤمنين في مدة الفترة، ولم يكونوا ممتنعين، ولا يقال: لعل الذين بقيت فيهم كلمة التوحيد هم بنو إسرائيل؛ لأننا نقول: هذا القول يُنافي سياق توبيخ العرب والتعريض بهم والتعليل.

وهذا الدليل أحسن وأقرب من احتجاج بعض العلماء بقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا فِي السَّجْدِ﴾ [الشعراء: ٢١٩]، على أحد تفسيرين وهو تفسير بعيد. ولا حاجة إلى بيان ذلك فراجع. ويعضد هذا المسلك في هذه المرتبة ما ورد من الآثار المتظافرة التي يقوي بعضها بعضاً بأن عبد المطلب وهاشمًا وعبد منافٍ وقُصيًّا وكعبًا وكنانةً وخزيمةً ومُدركةً والياس ومُضَرَ وَعَدنان كانوا مؤمنين على دين إبراهيم، وأن عبد المطلب وقُصيًّا حرماً الخمر على أنفسهما وأوصى قُصيًّا أبناءه بترك شربها، وترك عبادة ما سوى الله تعالى، فهؤلاء ثبتت فيهم آثارُ رواها السهيلي وغيره.

والمسكوت عنهم من سلسلة الآباء لا يُظن بهم إلا أنهم كانوا على دين إبراهيم،



لا سِيَّما مَنْ تجاوز عدنانَ، فإنَّ قَرَبَهُم إلى إسماعيل وإبراهيمَ يُقَوِّي الظنَّ بإيمانهم بدين أبويهم.

المرتبة الثالثة: أن يكون شرفهم في الآخرة بنيل فضيلة صالحى المسلمين من اتباع هذا الدين المحمدي. وهذه المرتبة لم يدل عليها دليل من صحاح الآثار، وإنما روي فيها حديث عن عائشة - رضي الله عنها - خاص بأن الله أحيا لرسول الله أبويه حتى آمننا به، رواه الخطيب البغدادي والشهيلي، وابن عساكر والقرطبي، وابن شهيد وابن المنير والطبري وابن كثير، واتفق معظمهم على أن سنده ضعيف، فيه مجاهيل. ومال بعضهم إلى تصحيحه ووقع للبعض في هذا المقام تخليط وخروج عن دائرة مجاري البحث. ونحن على ما عاهدنا عليه من ترك التكلف وصون العلم عن التخريف - وبقيننا بأن الله أغنى أهل هذا الدين بصحيحه عن الضعيف - نقول الحق: إن هذا الحديث ضعيف وإن نوال أبوي رسول الله فضيلة الإيمان لا تكون رهنا على حالة إحياء أبويه الأقرين، بحيث إذا صح الحديث حقت، وإذا ضعف بطلت، فإننا إذا جزمنا بأنهم كانوا على بقية من ملة إبراهيم كان ذلك محصلا لاستحقاقهما الثواب بفضل الله تعالى وثبتت لهم فضيلة، قل أن شاركهم فيها مشارك.

وإذا انفتح باب الفضل لم يبق إلا رفع الدرجات، فليل الاختيار في إكرامهم بأحسن ما يكرم به صالح المؤمنين، فإذا كان الله قد أكرم من نصر رسول الله، وأيده وهم أهل بدر فقال: « اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم »<sup>(١)</sup>، أفلا يكرم من كان سببا في ظهور رسوله - وهم آباؤه وأمهاته - فإن كل الأسباب الخاصة بالرسول مظاهر لعناية الله تعالى به، وكلها من عند الله: ﴿ وَمَا مَيَّتْ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى ﴾ [الأنفال: ١٧]، ولقد قال تعالى لرسوله: ﴿ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ﴾ [الضحى: ٥].



(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب فضل من شهد بدرًا (٣٧٦٢) بترقيم ديب البغا.

### الإسراء<sup>(١)</sup>

قَدْ وَرَدَ إِلَيَّ كِتَابٌ مِنْ الْعَالِمِ الْفَاضِلِ الشَّيْخِ حَافِظِ سَلِيمَانَ، مِنْ عُلَمَاءِ حَلَبِ الشَّهْبَاءِ، مُفَعَّمِ بَدَلَاتِلِ الْفَضْلِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ، وَضَارِبِ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِعَطْنٍ، يَسْتَزِيدُ مِنِّي أَنْ أَسْطِ الْقَوْلَ فِي بَحْثِ إِسْرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، الَّذِي هُوَ مِنَ الْمَبَاحِثِ الَّتِي أَنْكَرَهَا مُحَمَّدُ الْبَعْسِ.

وَإِجَابَةٌ لِرَغْبَتِهِ الْعِلْمِيَّةِ، وَحِرْصًا عَلَى التَّحْلِي بِفَضْلِ خِدْمَتِهِ السَّنَةِ النَّبَوِيَّةِ، أَقُولُ:  
يَتَعَلَّقُ الْقَوْلُ بِإِسْرَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعَةِ مَبَاحِثَ:

أَحَدُهَا: هَلْ هُوَ ثَابِتٌ؟ وَهَلْ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِهِ؟.

الثَّانِي: هَلْ هُوَ إِسْرَاءٌ فِي الْمَنَامِ أَوْ فِي الْيَقَظَةِ؟.

الثَّلَاثُ: هَلْ كَانَ بِالرُّوحِ فَقَطْ أَوْ بِهَا وَبِالْجَسَدِ؟.

الرَّابِعُ: هَلْ هُوَ إِسْرَاءٌ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ثُمَّ إِلَى السَّمَاءِ، أَوْ هُوَ إِسْرَاءٌ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى فَقَطْ؟

فَأَمَّا الْمَبْحَثُ الْأَوَّلُ..

فَقَدْ انْعَقَدَ الْإِجْمَاعُ عَلَى ثُبُوتِ إِسْرَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ. وَقَدْ ثَبَّتَ ذَلِكَ بِالْقُرْآنِ، وَبِأَحَادِيثٍ صَحِيحَةٍ مِنَ السَّنَةِ. وَقَدْ ذَكَرَ أُمَّةٌ عِلْمَ الْكَلَامِ أَنَّهُ ثَابِتٌ بِالْإِجْمَاعِ؛ أَي: ثُبُوتُهُ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ. وَلِذَلِكَ فَالْإِيمَانُ بِهِ عَلَى الْإِجْمَالِ وَاجِبٌ، وَإِنْكَارُ مُجْمَلِهِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِهِ، أَوْ الْوُقُوفُ عَلَيْهِ، إِلْحَادٌ فِي الدِّينِ؛ لِثُبُوتِهِ عَلَى الْإِجْمَالِ فِي الْقُرْآنِ. إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمَعْلُومِ بِالضَّرُورَةِ. فَإِنْكَارُهُ يَلْزَمُ مِنْهُ الْكُفْرُ، وَلَيْسَ بِكُفْرٍ صَحِيحٍ.

وَوَقَعَ الْخِلَافُ فِي تَفْصِيلِ هَذَا الْمُجْمَلِ عَلَى أَنْحَاءِ.

أَمَّا الْمَبْحَثَانِ الثَّانِي وَالثَّلَاثُ..

فَالْخِلَافُ فِي أَنَّهُ هَلْ هُوَ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ وَالرُّوحِ أَمْ بِالرُّوحِ فَقَطْ؟.

(١) صدر هذا المقال بعنوان: «الإسراء»، بمجلة الهداية، يوليو (١٩٧٥م) (ص ١١٠ - ١١٢) ولكن لا ندرى - في الوقت الراهن - تاريخ تحريره.

ذَهَبَتْ عَائِشَةُ وَمُعَاوِيَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - وَمَحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ، إِلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ رُؤْيَا مَنْامٍ، رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ، فَهُوَ إِسْرَاءُ بَرُوحِهِ الشَّرِيفَةِ، وَمُكَاشَفَةُ صَادِقَةٍ مِنَ الْكُشُوفَاتِ الْغَيْبِيَّةِ. وَأَنَّ مَا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ وَقَعَ لِأَنَّ رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحِيٌّ.

وَحُجِّتَهُمْ فِي ذَلِكَ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ رِوَايَاتٍ فِيهَا ذِكْرُ وَقُوعِ ذَلِكَ مَنْامًا، أَوْ بَيْنَ النَّوْمِ وَالْيَقَظَةِ، وَفِي بَعْضِهَا: « فَاسْتَيْقَظْتُ وَأَنَا بِالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ... »<sup>(١)</sup>، وَنَظِيرِ ذَلِكَ مَرُويٌّ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ بِرِوَايَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ.

وَتَأَوَّلُوا الْإِسْرَاءَ الْمَعْنِيَّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾

[الإسراء: ٦٠].

وَذَهَبَ جَمْهُورُ السَّلَفِ، وَمِنْهُمْ عُمَرُ وَجَابِرٌ وَأَنْسٌ وَأَبُو هُرَيْرَةَ وَابْنُ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةُ وَمَالِكُ بْنُ صَعْصَعَةَ وَأَبُو حَبَّةَ الْبَدْرِيُّ وَابْنُ عَبَّاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - وَالضُّحَّاكُ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيْبِ وَابْنُ شَهَابٍ وَالْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ فِي أَصَحِّ الرِّوَايَتَيْنِ عَنْهُ، مِنَ التَّابِعِينَ، وَمَنْ وَافَقَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، إِلَى أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ مَعَ الرُّوحِ. وَحُجِّتَهُمْ فِي ذَلِكَ:

- ظَاهِرُ الْآيَةِ: إِذِ الْإِسْرَاءُ هُوَ السَّيْرُ بِالسَّائِرِ لَيْلًا، وَلَا تُسَمَّى رُؤْيَا الْبَشَرِ فِي الْمَنَامِ إِسْرَاءً.  
- وَالْأَحَادِيثُ الظَّاهِرَةُ فِي أَنَّهُ كَانَ يَقَظَةً.

وَقَدْ اخْتَارَ الْمُحَقِّقُونَ هَذَا الْقَوْلَ، وَاحْتَجُّوا لَهُ بِظَوَاهِرِ آيَةِ الْإِسْرَاءِ، فَإِنَّ فِعْلَ: ﴿ أَسْرَى ﴾ ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ حَقِيقَةٌ لَا مَجَازٌ، وَلَا يُعَدَّلُ عَنِ الْحَقِيقَةِ إِلَى الْمَجَازِ إِلَّا عِنْدَ الْاسْتِحَالَةِ، وَلَيْسَ فِي الْإِسْرَاءِ بِجَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اسْتِحَالَةٌ.

وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِأَنَّ فِعْلَ: ﴿ أَسْرَى ﴾ تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿ يَعْتَبِدُ ﴾، الدَّالِّ عَلَى ذَاتِ الرَّسُولِ، الَّتِي هِيَ جَسَدُهُ وَرُوحُهُ، وَذَلِكَ ظَاهِرٌ فِي أَنَّ الْإِسْرَاءَ تَعَلَّقَ بِهِمَا. وَلَوْ كَانَ مَنْامًا لَقَالَ سُبْحَانَهُ: « الَّذِي أَسْرَى بِرُوحِ عَبْدِهِ ».

وَلِأَنَّهُ رُوِيَ فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ أَنَّ كَفَّارَ قَرِيشٍ كَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي خَبَرِ الْإِسْرَاءِ،

(١) كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص ٢٣٠).

وارتدَّ لذلكَ بعضُ ضُعفَاءِ المُسلمينَ، وسألته قُرَيْشٌ عَن عِيرِ لَهُمْ سَائِرَةَ فِي طَرِيقِ الشَّامِ، وَسَأَلُوهُ عَن بَعْضِ مَعَابِدِ بَيْتِ المَقْدِسِ. وَكَانَ رَسولُ اللَّهِ لَمْ يَهْتَمَّ بِتَشْيِيتِ أوصافِها حينَ رآها، فَرَفَعَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَيْتَ المَقْدِسِ حَتَّى جَعَلَ يُخْبِرُهُم عَمَّا سَأَلُوهُ، وَلَوْ عَلِمُوا أَنَّهُ رُؤْيَا مَنَامٍ لَمَا أَنْكَرُوا.

ولِأَنَّ فِي بَعْضِ رِوَايَاتِ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ مِنَ رِوَايَةِ الشَّيْخَيْنِ عَن أَنَسٍ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « فَأَخَذَ جِبْرِيلُ بِيَدِي، فَعَرَّجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ »<sup>(١)</sup>، فَذَكَرُ: اليَدِ، ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ، مَعَ الأحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الوَارِدَةِ الظَاهِرَةِ فِي كَوْنِهِ وَقَعَ يَقْطَعَةً، وَأَظْهَرُهَا حَدِيثُ مُسْلِمٍ عَن ثَابِتٍ عَن أَنَسٍ وَحُدَيْفَةَ وَمَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ، ( قَالَ عِيَاضُ: جَرَدَ ثَابِتٌ هَذَا الحَدِيثَ عَن أَنَسٍ، وَقَدْ خَلَطَ فِيهِ غَيْرُهُ، لَا سِيَّمَا شَرِيكُ ابْنِ أَبِي نَمِرٍ )، فَقَدْ ذَكَرَ فِي أَوَّلِهِ شَقَّ الصَّدْرِ.

وَمِنَ العُلَمَاءِ مَن عَصَّدَ هَذِهِ الأَدْلَةَ بِآيَةِ سُوْرَةِ النُّجْمِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزَّلَةً أُخْرَى ﴾ [النجم: ١٣ - ١٥] وَمِنْ جِهَةِ قَوْلُهُ: ﴿ عِنْدَهَا جَنَّةُ المَأْوَى ﴾ [النجم: ١٥].

وَعِنْدِي أَنَّهُ دَلِيلٌ ضَعِيفٌ إِذْ لَا يَقْضِي أَكْثَرَ مِنْ ثُبُوتِ رُؤْيَا مُحَمَّدٍ جِبْرِيلَ - عَلِيْهِمَا السَّلَامُ - فِي مَوْضِعٍ قُرْبَ الجَنَّةِ، وَقَدْ يُكْشَفُ لَهُ ذَلِكَ بِدُونِ إِسْرَاءِ. وَأَجَابُوا عَمَّا وَقَعَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ مِنْ ذِكْرِ أَنَّهُ أَتَاهُ المَلَكُ وَهُوَ نَائِمٌ، أَوْ بَيْنَ النَّائِمِ وَاليَقْظَانِ - إِذَا سَلِمْتَ مِنْ اِحْتِمَالِ أَنْ تَكُونَ وَقَعْتَ مِنْ زِيَادَاتِ شَرِيكِ ابْنِ أَبِي نَمِرٍ - بِأَنَّهُ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ وَصُولِ المَلَكِ إِلَيْهِ، كَانَ وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ كَانَ الإِسْرَاءُ بَعْدَ اليَقْطَعَةِ. وَبِصِحَّةِ أَنْ يَكُونَ أُسْرَى بِجَسَدِهِ الشَّرِيفِ وَهُوَ نَائِمٌ وَقَلْبُهُ يَقْظَانٌ، لِحِكْمَةِ أَنْ لَا يَشْعَلُهُ شَاغِلٌ مِنَ الحَوَاسِّ عَن مُشَاهَدَاتِ آيَاتِ الرُّبُوبِيَّةِ. أَوْ عَبَّرَ بِالنُّومِ عَن هَيْئَةِ النَّائِمِ مِنَ الاضْطِلاعِ.

وَعَمَّا اسْتَدَلَّ بِهِ القَائِلُونَ بِأَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالرُّوحِ خَاصَّةً مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ [الإسراء: ٦٠]، بِأَنَّ لَدَيْهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي شَأْنِ حَبْرِ الإِسْرَاءِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَ بِهِ بَعْضُ السَّلَفِ، كَمَا رَوَاهُ البُخَارِيُّ عَن ابْنِ عَبَّاسٍ، بَلْ هِيَ رُؤْيَا أَرِيهَا رَسولُ اللَّهِ، فِي صَلْحِ الحُدَيْبِيَّةِ أَوْ قَبِيلِ وَقَعَةَ بَدْرٍ.

(١) ورد الحديث أيضًا في البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج (٣٦٧٤).

وعلى القول بأنها في شأن الإسراء، فإنَّ القائلَ به فسَّرَ الرؤيا بأنها رؤية عَيْنٍ، أريها رسولُ اللهِ ﷺ، كما في صحيح البخاريِّ عن ابن عباس، بناءً على أنه يُقال: لرؤية العين رؤيا بالألف عوضاً عن التاء، كما قال الرَّاعي يصفُ صائداً:

وَكَبَّرَ لِلرُّؤْيَا وَهَشَّ فُوَادُهُ      وَبَشَّرَ نَفْسًا كَانَ قَبْلُ يَلُومُهَا  
وَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

مَضَى اللَّيْلُ وَالْفَضْلُ الَّذِي لَكَ لَا يَمْضِي      وَرُؤْيَاكَ أَحْلَى فِي الْعُيُونِ مِنَ الْعَمَضِ

وَأَمَّا الْمَبْحَثُ الرَّابِعُ ..

فَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا هُوَ إِسْرَاءٌ بِالرُّوْحِ، لَمْ يَخْتَلَفُوا فِي أَنْ يَكُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، ثُمَّ إِلَى السَّمَاءِ، لِأَنَّ ذَلِكَ سَوَاءٌ.

وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: هُوَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَإِلَى السَّمَاءِ، تَمَسُّكًا بظَاهِرِ الْأَحَادِيثِ الَّتِي حُدِّثَتْ عَنِ الْإِسْرَاءِ إِلَيْهَا فِي نَسَقٍ وَاحِدٍ.

وَدَهَبَتْ طَائِفَةٌ إِلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى كَانَ يَقْطَعُهُ، وَأَمَّا الْإِسْرَاءُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى إِلَى السَّمَاءِ فَهُوَ بِالرُّوْحِ، وَاحْتِجُّوا بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ الْإِسْرَاءَ فِي كِتَابِهِ جَعَلَ نَهَائَتَهُ وَغَايَتَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَلَوْ كَانَ الْإِسْرَاءُ إِلَى السَّمَوَاتِ بِجَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لَذَكَرَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّهُ يَكُونُ أَبْلَغَ فِي الْكِرَامَةِ، وَيَكُونُ الْعَجَبُ الْمُفَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى﴾ [الإسراء: ١] أَوْقَعَ إِذْ كَانَ الْإِسْرَاءُ إِلَى السَّمَاءِ بِالْجَسَدِ.

وَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْإِسْرَاءَ إِلَى السَّمَاءِ ثَبَّتَ عَلَى وَجْهِ الْإِجْمَالِ بِالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ التَّفْتَازَانِيُّ فِي الْمَقَاصِدِ: إِنَّ مُنْكَرَهُ مُبْتَدِعٌ؛ أَي: مُنْكَرٌ مُجْمَلِهِ بَعْدَ الْعِلْمِ بِتِلْكَ الْأَحَادِيثِ وَبِصِحَّتِهَا وَبِكَثْرَتِهَا.

وَأَمَّا مُنْكَرُ كَوْنِهِ يَقْطَعُهُ، فَلَيْسَ بِمُبْتَدِعٍ؛ لِأَنَّهُ قَدْ قَالَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِ، وَكَذَلِكَ مَنْ أَنْكَرَهُ عَنِ جَهْلِ بِالْأَحَادِيثِ الْمُثَبَّتَةِ.

وَدَهَبَتْ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ إِلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ مَرَّتَيْنِ: مَرَّةً فِي النَّوْمِ وَمَرَّةً فِي الْيَقْظَةِ، ذَكَرَهُ الشُّهَيْلِيُّ عَنِ نُسْخَةِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ الْعَرَبِيِّ. وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ النَّوَوِيُّ وَأَبُو سَعْدٍ وَأَبُو نَصْرِ ابْنِ الْفُسَيْرِيِّ.

وَأَمَّا الْإِسْرَاءُ مِنَ السَّمَاوَاتِ إِلَى الْجَنَّةِ وَإِلَى الْعَرْشِ، فَقَدْ وَرَدَتْ فِيهِ أَخْبَارٌ آحَادٍ، غَيْرُ مَشْهُورَةٍ، وَالْقَوْلُ الْفَصْلُ فِي هَذَا كُلُّهُ أَنَّ الْإِيمَانَ بِوُقُوعِ الْمُعْجَزَاتِ مِنْ لَوَازِمِ عَقِيدَةِ الْإِسْلَامِ.

وَالْمُعْجَزَاتُ خَوَارِقُ عَادَاتٍ، وَخَوَارِقُ الْعَادَاتِ إِذَا جَوَزْنَاهَا وَأَمَّنَّا بِهَا، فَهِيَ غَيْرُ مُنْخَصِرَةِ الْمِقْدَارِ فِي الْإِسْتِغْرَابِ وَالِاسْتِبْعَادِ. فَلَا تَكُونُ شِدَّةَ مُخَالَفَةِ الْمُعْجَزَةِ لِلنُّظْمِ الْعَادِيَّةِ مُوجِبًا لِإِنْكَارِهَا، وَلَكِنَّا نُؤْمِنُ بِالْمُعْجَزَاتِ عَلَى الْإِجْمَالِ، وَنَعْتَقِدُ تَفَاصِيلَهَا بِحَسَبِ مَا تَقُومُ عَلَيْهَا مِنَ الْأَدَلَّةِ مِنْ صَحِيحِ الْآثَارِ، لَا نَتَجَاوَزُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْبَارِ الضَّعِيفَةِ، وَالْقِصَصِ الْوَاهِيَةِ، إِذْ نَحْنُ مَأْمُورُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ. وَإِنَّ مُعْجَزَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفَضَائِلَهُ غَيْرُ مُتْنَاهِيَةٍ، فَلَا نَسْتَعْظُمُ مِنْهَا مَا هُوَ مِنَ الْعِظَائِمِ فَإِنَّهَا:

تَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمِ

وَقَدْ ثَبَتَ الْإِسْرَاءُ عَلَى الْجُمْلَةِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، وَبِصَحاحِ الْآثَارِ. وَهِيَ كُلُّهَا ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّهُ إِسْرَاءٌ حَقِيقَةٌ بِالْجَسَدِ، كَمَا تَقَدَّمَ، وَظَوَاهِرُهَا مُتَعَاضِدَةٌ، تَقْضِي بِأَنَّهُ إِسْرَاءٌ بِالْجَسَدِ؛ لِأَنَّ كَثْرَةَ الظُّوَاهِرِ تُوجِبُ غَلْبَةَ الظَّنِّ بِإِرَادَةِ ذَلِكَ الظَّاهِرِ، بَلْ رَبَّمَا بَلَغَتْ مَبْلَغَ الْقَطْعِ.

أَمَّا كَيْفِيَّةُ رَفْعِ الْجَسَدِ الشَّرِيفِ إِلَى السَّمَاوَاتِ، فَتِلْكَ كَيْفِيَّةُ قَدْرُهَا وَعِلْمُهَا خَالِقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ.

وَأَنَا قَدْ لَاحَ لِي مِنْ آيَةِ الْإِسْرَاءِ أَدَلَّةٌ لَمْ يَذْكُرْهَا الْمُتَقَدِّمُونَ، أَحْبَبْتُ أَنْ أَعْضِدَ بِهَا:

الْأَوَّلُ: أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١]، إِيْمَاءٌ إِلَى أَنَّ الْإِسْرَاءَ كَانَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ ( لا )<sup>(١)</sup> تُمَكِّنُ مُشَاهَدَتَهَا، فَلِذَلِكَ قَدَّرَ اللَّهُ أَنْ تَبْدَأَ لَيْلًا، لِئَلَّا يُفْتَنَ النَّاسُ بِمُشَاهَدَةِ عُرُوجِ جَسَدِ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى السَّمَاءِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مَشْهُدٌ تَقْصُرُ قُوَاهُمْ عَنْ إِذْرَاقِهِ ... وَلَسَوْلَا هَذِهِ النِّكْتَةَ لَمْ تَظْهَرَ حِكْمَةٌ فِي جَعْلِهِ ﴿ لَيْلًا ﴾، وَلَا فِي التَّصْرِيحِ بِأَنَّهُ وَقَعَ لَيْلًا مَعَ الْإِسْتِغْنَاءِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ أَسْرَى ﴾.

الثَّانِي: أَنَّ الْإِتْيَانَ بِحَرْفِي الْإِبْتِدَاءِ وَالِانْتِهَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ [الإسراء: ١] ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُ تَنْقُلٌ حَقِيقِيٌّ؛ إِذْ لَمْ يُعْرَفْ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ تَحْدِيدُ

(١) إضافة من عندنا حتى يستقيم المعنى.

المَرَاتِي النَّوْمِيَّة بِمَبْدَأٍ وَغَايَةٍ فِي الْمَكَانِ، وَلَوْ كَانَ الْمَقْصُودُ الرُّؤْيَا النَّوْمِيَّةَ، لَقَالَ: سُبْحَانَ  
الَّذِي أَبْدَى لِعَبْدِهِ - فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ - الْمَسْجِدَ الْأَقْصَى.

الدليل الثالث: أَنَّهُ قَالَ: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وَهَذِهِ الْجُمْلَةُ وَاقِعَةٌ  
عَقِبَ الْخَبَرِ بِالْإِسْرَاءِ مَوْقِعَ التَّعْلِيلِ لِلْخَبَرِ، وَيَقْصِدُ إِظْهَارَ إِمْكَانِيَّةِ لِقَوْلِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْقَاهِرِ  
فِي دَلَائِلِ الْإِعْجَازِ: « إِذَا جَاءَ حَرْفُ إِنَّ، الْمَوْضُوعُ لِلتَّوَكِيدِ عَقِبَ كَلَامٍ، وَكَانَ دَاخِلًا عَلَى  
خَبَرٍ لَا شَكَّ فِيهِ، أَفَادَ مُجَرَّدَ الْإِهْتِمَامِ بِالْخَبَرِ، وَأَفَادَ مِنَ التَّعْلِيلِ وَالرَّبْطِ شَيْئًا عَجِيبًا، وَأَغْنَى  
غِنَاءً فَأَيْ التَّعْلِيلِ »، وَمَثَلٌ لَهُ بِقَوْلِ بَشَّارٍ:

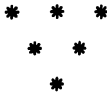
بَكَّرًا صَاحِبِيَّ قَبْلَ الْهَجِيرِ      إِنَّ ذَاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ  
فَكَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: « فَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ».

فَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى «عَبْدٍ»، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ اتِّسَاقِ الضَّمَائِرِ، كَانَ الْمُرَادُ بِالسَّمِيعِ  
وَالْبَصِيرِ قُوَى السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، وَذَلِكَ إِيمَاءٌ إِلَى أَنَّهُ حَيْثُ سَمِعَ مَا سَمِعَ وَرَأَى مَا رَأَى،  
فَقَدْ ثَبَّتَ لَهُ قُوَّةَ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ، إِذْ لَا يُطَبَّقُ رُؤْيَا ذَلِكَ غَيْرُهُ، وَلَوْ كَانَتْ الْمَرْتَبَاتُ  
وَالْمَسْمُوعَاتُ حُلْمِيَّةً لَمَا كَانَ فِي حُصُولِهَا دَلَالَةٌ عَلَى قُوَّةِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ.

وَإِنْ كَانَ الضَّمِيرُ عَائِدًا إِلَى الْاسْمِ الْمَوْصُولِ الصَّادِقِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَانَ الْمُرَادُ مِنْ  
﴿السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الْمُسْمِعَ الْمُبْصِرَ (بصيغة التفعيل) كَقَوْلِ عَمْرٍو بْنِ مَعْدٍ يَكْرِبُ:

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ

أَي: الْمُسْمِعُ. فَتَكُونُ الْجُمْلَةُ دَالَّةً عَلَى تَعْلِيلِ إِمْكَانِ سَمَاعِ وَرُؤْيَا مَا سَمِعَهُ وَرَأَاهُ  
رَسُولَ اللَّهِ فِي الْإِسْرَاءِ، بِأَنَّ ذَلِكَ يَتَكْوِنُ لِلَّهِ، خَالِقِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِرَسُولِهِ حَتَّى رَأَى  
مَا رَأَى، فَيَكُونُ تَأَكِيدًا لِمَعْنَى التَّنْزِيهِ الْمُسْتَفَادِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾  
[الإسراء: ١]، وَلَوْ كَانَتْ الْمَسْمُوعَاتُ وَالْمَرْتَبَاتُ حُلْمِيَّةً لَمَا كَانَ فِي حُصُولِهَا دَلَالَةٌ  
عَلَى عَظِيمِ قَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى.



## المقصد العظيم من الهجرة<sup>(١)</sup>

إِنَّ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، خَاصَّهَا وَعَامَّهَا، دَلَائِلٌ عَلَى أَنَّهُ بِمَحَلِّ الْعِنَايَةِ مِنْ رَبِّهِ تَعَالَى، تُحَقِّقُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] أي: بِمَحَلِّ الْعِنَايَةِ مَنَّا (إِذْ حَقِيقَةُ الْعَيْنِ يَسْتَحِيلُ إِثْبَاتُهَا لِلَّهِ تَعَالَى)، فَتَعَيَّنَ بِحُكْمِ اسْتِعْمَالِ اللَّغَةِ أَنَّ تَكُونَ «الْعَيْنُ» فِي الْآيَةِ مُرَادًا مِنْهَا لِأَزْمٍ لِأَزْمٍ حَقِيقَتِهَا وَهُوَ الْإِعْتِنَاءُ اللَّازِمُ لِمَعْنَى: الْمَشَايِعَةَ، وَالْمَشَايِعَةَ مِنْ لَوَازِمِ النَّظَرِ الْمُرَادِ مِنَ الْعَيْنِ كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ يُخَاطَبُ النِّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ:

رَأَيْتَكَ تَرَعَانِي بَعَيْنٍ بِصِيرَةٍ وَتَبَعْتَ حِرَاسًا عَلِيًّا وَنَاطِرًا

وَمِنْ أَعْظَمِ الشُّؤُونِ الَّتِي عَرَضَتْ لِلرُّسُولِ ﷺ فِي رِسَالَتِهِ شَأْنُ خُرُوجِهِ مِنْ وَطَنِهِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، وَكَانَ فِي ذَلِكَ الشَّأْنِ مِنَ الْمَقَاصِدِ الْإِلَهِيَّةِ الْعَظِيمَةِ مَا لَا يَحِيطُ بِهِ غَيْرُ عَلَّامِ الْغُيُوبِ، فَلَا جَرَمَ أَنْ نَعُدَّ مِنْهَا مَا بَلَغَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ، وَأَلْهَمَهُ الْفَهْمُ فِي هَذَا الْوَقْتِ الْقَصِيرِ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ فِي قَلِيلِهِ تَنْبِيهُ كَثِيرٌ، يَفْتَحُ فَهْمَ النَّاقِدِ الْبَصِيرِ.

الهِجْرَةُ سَنَسَنَةً مِنْ أَحْوَالِ الرُّسُلِ، فَقَدْ هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ وَلُوطٌ وَهُودٌ وَصَالِحٌ وَمُوسَى وَيُونُسُ، وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ، وَكُلٌّ عَلَى هَيْئَةٍ، وَتِلْكَ الشَّنَشَنَةُ هِيَ الَّتِي أَنْبَأَتْ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ بِأَنَّ مُحَمَّدًا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - سَيَسْلُكُ بِهِ رَبُّهُ مَسْلَكَ رَسَلِهِ: ﴿سُنَّةً مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧]. كَانَ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلٍ الْقُرَشِيُّ الْمُتَنَصِّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ تَوَسَّسَ مِنْ بَعَثَةِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنْ يُخْرِجَ أَوْ يُخْرِجَ مِنْ وَطَنِهِ. فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ذَهَبَ إِلَيْهِ بِإِشَارَةِ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - وَقَصَّ عَلَيْهِ رُؤْيَا الْمَلِكِ، وَنَزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ فِي غَارِ حِرَاءَ، قَالَ لَهُ وَرَقَةُ: «هَذَا هُوَ النَّامُوسُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ». قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْ مُخْرِجِي هُمْ؟». قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِمِثْلِ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَئِذٍ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا<sup>(٢)</sup>.

كَانَ خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ نَبْذًا مِنْهُ لِأَهْلِ الشَّرِكِ، وَسُخْطًا عَلَيْهِمْ، وَتَنْزِيهَا

(١) صدر هذا المقال بعنوان: المقصد العظيم من الهجرة، المجلة الزيتونية، عدد (٣)، سنة (١٣٥٨هـ / مارس ١٩٣١م)، (ص ٩٣ - ٩٧).

(٢) أخرجه البخاري في التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا (٦٥٨١) بترقيم ديب البنا.



للدِّينِ عَنِ الْبَقَاءِ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، وَإِعْلَانًا لِسَائِرِ النَّاسِ أَنَّ هَذَا الدِّينَ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْهَيِّنِ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ بِالْفِعْلِ مَعَ الْقَوْلِ أَشَدُّ نَفُوزًا إِلَى النُّفُوسِ مِنْ مُجَرَّدِ الْقَوْلِ، بِحَيْثُ صَارَتْ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حَدِيثًا مُشَاهِدًا وَمُتَحَدِّثًا بِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مَسْمُوعَةً لَا غَيْرَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ هَذَا الْخُرُوجُ هِجْرَةً، مُسْتَقَمَّةً مِنَ الْهَجْرِ، وَهُوَ قَطْعُ الْمُعَاشَرَةِ. وَلَقَدْ كَانَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ لَهُ بِذَلِكَ، حِينَ تَهَيَّأَتِ الْأَسْبَابُ الَّتِي أَرَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى، كَمَا أَنْبَأَ بِهِ حَدِيثُ الْهِجْرَةِ فِي الصَّحِيحِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: «إِنَّ اللَّهَ أَذِنَ لِي فِي الْهِجْرَةِ»<sup>(١)</sup>.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ الْخُرُوجُ فِرَارًا وَخَشِيَّةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ الَّذِي عَصَمَهُ مِنْهُمْ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً وَهُمْ يُؤْذِنُونَهُ بِالْقَوْلِ وَلَا يُقَدِّمُونَ عَلَى الْإِلْحَاقِ الضَّرْرَ بِهِ؛ قَادِرٌ عَلَى إِكْمَالِ عِصْمَتِهِ مِنْهُمْ وَخَاصَّةً بَعْدَ أَنْ كَثُرَ أَتْبَاعُهُ وَاعْتَزَلُوا بِأَقْوِيَائِهِمْ مِثْلَ: عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَحَمْرَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.

وَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، يَعُدُّونَ خُرُوجَهُ غَلَبَةً مَعْنَوِيَّةً عَلَيْهِمْ، فَيُحَاوِلُونَ مَنَعَهُ، فَلِذَلِكَ رَأَى أَنَّ كِتْمَانَ أَمْرِهِ أَعُونُ عَلَى مُرَادِ اللَّهِ مِنْ خُرُوجِهِ، وَرَأَى الْإِحْتِفَاءَ بَعْدَ الْخُرُوجِ ثَلَاثَ لَيَالٍ بِغَارِ ثَوْرٍ أَقْطَعُ لَطْمَاعِيَةَ الْمُشْرِكِينَ فِي الْإِلْحَاقِ بِهِ، وَأَعْجَزُ لَهُمْ فِي طَلْبِهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَسْتَرْجِحُ النَّهَارَ، وَتِلْكَ أَيْضًا عَادَةُ الْعَرَبِ فِي سَيْرِهَا فِي وَقْتِ الْحَرِّ، وَقَدْ كَانَتْ الْهِجْرَةُ فِي زَمَنِ الْحَرِّ.

الهِجْرَةُ: مُفَارَقَةُ الْوَطَنِ عَلَى نِيَّةِ عَدَمِ الرَّجُوعِ إِلَيْهِ، وَأَسْبَابُهَا تَارَةٌ تَكُونُ لِلطَّمَعِ فِي نَفْعٍ يَحْصُلُ لِلْمُهَاجِرِ فِي الْمَوْطِنِ الَّذِي يَتَنَقَّلُ إِلَيْهِ، وَتَارَةٌ مِنْ كَرَاهِيَةِ الْإِقَامَةِ فِي الْوَطَنِ لِإِعْدَاءِ بَيْنِ الْمُهَاجِرِ وَقَوْمِهِ أَوْ لِأَدَى لِحَقِّهِ مِنْهُمْ، وَتَارَةٌ لِشَرِّ دَعْوَةٍ أَوْ إِظْهَارِ فَضِيلَةٍ، أَوْ اسْتِنصَارٍ عَلَى عَدُوٍّ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ، فَهِيَ أَحْصَى مِنَ السَّفَرِ وَمِنَ التَّغْرُبِ؛ لِأَنَّ فِي السَّفَرِ وَالتَّغْرُبِ أَمَلَ الْعُودِ إِلَى الْوَطَنِ.

وَأَيًّا مَا كَانَتْ غَايَتُهَا وَمَنْفَعَتُهَا فَإِنَّهَا شَدِيدَةُ الْمَضَاضَةِ عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّ فِي مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ مُفَارَقَةَ لِأَعْلَقِ الْبِقَاعِ بِالْقَلْبِ مِمَّا شَبَّ فِيهِ الْمَرءُ وَأَلْفُهُ، وَمُفَارَقَةَ قَرَابَتِهِ وَجِيرَانِهِ وَأَحِبَّتِهِ، وَقَدْ قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ وَأَجَادَ:

لَهَا الْمَنَايَا إِلَى أَرْوَاحِنَا سُبُلًا<sup>(٢)</sup>

لَوْلَا مُفَارَقَةُ الْأَحْبَابِ مَا وَجَدَتْ

(١) فضائل الصحابة (١ / ٣٨٨) ح (٥٨٨).

(٢) لها: اسم جمع لهاة، بفتح اللام. وهي الحلق. والمنايا: جمع منية وهي الموت، وقد جمعها باعتبار متعلقاتها، =

وسَمَّاهَا الْقُرْآنُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]. قَالَ الْمَفْسَّرُونَ: أَرَادَ إِخْرَاجَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ بِلَادِهِمْ مَكَّةَ.

ثُمَّ إِنَّ أَسْمَى غَايَةَ يُفَارِقُ الْمَرْءَ لِأَجْلِهَا وَطَنَهُ، وَأَقْوَى سَبَبٍ يَحْدُثُ عَنْهُ الشَّقَاقُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَذَوِيهِ هُوَ الذُّبُّ عَنِ الْإِعْتِقَادِ، إِذَا بَلَغَ عِنَادُ الْمُخَالَفِينَ فِيهِ إِلَى حَدِّ تَحْجِيرِ إِظْهَارِهِ، وَالْمُضَايِقَةَ فِيهِ، وَمُحَاوَلَةَ الْإِرْغَامِ عَلَى تَرْكِهِ وَالتَّظَاهِرِ بِمَا يُخَالِفُهُ، وَإِنَّ الْمَرْءَ لَيُضْجِرُ لَوْ أَعْمِضَتْ عَيْنَاهُ أَوْ سَدَّتْ أذْناً، وَمَا هُمَا إِلَّا بَعْضُ مَظَاهِرِ إِدْرَاكِهِ، فَكَيْفَ بِهِ إِذَا سُدَّ عَلَيْهِ قَلْبُهُ وَعَقْلُهُ وَرَأْيُهُ.

وَإِنَّ أَسْمَى الْعَقَائِدِ وَأَقْدَسَ الْآرَاءِ عَقِيدَةُ الدِّينِ لِتَعَلُّقِهَا بِأَشْرَفِ الْمَوْجُودَاتِ وَلِتَجَرُّدِهَا عَنِ الْغَايَاتِ الْمَادِيَّةِ وَالْمَنَافِعِ الْعَاجِلَةِ الَّتِي تَلْتَمِسُ هِنَاءَ الْمَرْءِ فِي عَيْشِهِ وَ مَسَالِمَةَ دَهْمَاءِ قَوْمِهِ إِيَّاهُ، فَالْإِعْتِقَادُ الدِّينِيُّ اعْتِقَادٌ مَحْبُوبٌ لِأَجْلِ كَوْنِهِ حَقًّا بَحْتًا، وَ لِأَجْلِ كَوْنِهِ يُرْضِي خَالِقَ الْخَلْقِ.

وَ قَدْ كَانَتْ الْهَجْرَةُ فِي اللَّهِ لِلتَّمَكُّنِ مِنْ تَبْلِيغِ شَرَائِعِهِ، وَكَانَ الْأَدَى فِي اللَّهِ لِأَجْلِ ذَلِكَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِ الْمُرْسَلِينَ، فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَقَدِ أُوذِيَ فِي اللَّهِ، وَكَذَلِكَ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ الرُّسُلِ، أَوْ ذُوا وَهَاجَرُوا مَعَهُمْ وَبَدُونَهُمْ.

وَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَأَتَّبَعَهُ مِنْ أَتْبَعِهِ مِنْ قُرَيْشٍ وَتَكَاثَرُوا وَحَاوَلُوا إِظْهَارَ دِينِهِمْ بَيْنَ مُشْرِكِي أَهْلِ مَكَّةَ، لَمْ يَرْضَ الْمُشْرِكُونَ بِذَلِكَ، وَكَشَرُوا لِلْمُسْلِمِينَ عَنْ أَنْيَابِ الْعُدْوَانِ، وَأَخَذُوا يُؤْذُونَ الْمُسْلِمِينَ بِصَنُوفٍ مِنَ الْأَدَى كَانَتْ تَزْدَادُ يَوْمًا فَيَوْمًا، بِمَقْدَارِ رُسُوحِ الْمُسْلِمِينَ فِي الْإِسْتِمْسَاكِ بِدِينِهِمْ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ صَابِرِينَ عَلَى أَدَى الْمُشْرِكِينَ حَتَّى بَلَغَ الصَّبْرُ غَايَتَهُ.

أَذْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي سَنَةِ خَمْسٍ لَطَائِفِيَّةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَضْعَفِينَ وَالْمَقْصُودِينَ بِخَاصَّةِ الْأَدَى بِالْخُرُوجِ مِنْ مَكَّةَ، وَلَمْ يَخْرُجْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَئِذٍ؛ لِأَنَّهُ فِي مَنَعَةٍ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ.

فَخَرَجَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَتِسْعَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، فَتَلَّكَ الْهَجْرَةَ الْأُولَى.

= وهي نفوس الأحياء، وأثبت للمنايا خلقاً لأنه قدر تشبهها بسباع تبتلع الأرواح على طريقة الاستعارة المكنية.

ثم لَمَّا أَسْلَمَ الأوسَ وَالخَزْرَجُ أَذَنَ اللهُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ كُلِّهِمْ بِالهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، دَارِ الْإِسْلَامِ.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ بِاقْتِرَاحِ مِنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، وَرَجَعَ مُهَاجِرَةً الْحَبَشَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَكَانَ حُكْمُ الْهِجْرَةِ مِنْ مَكَّةَ وَاجِبًا عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢]. وَدَامَ ذَلِكَ الْحُكْمُ إِلَىٰ فَتْحِ مَكَّةَ.

كَمْ مِنْ حِكْمَةٍ لِلَّهِ تَعَالَىٰ فِيمَا اشْتَمَلَ عَلَيْهِ حَادِثُ الْهِجْرَةِ مِنَ الْأَحْوَالِ؟ وَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَسَدَّهَا لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ فِي تِلْكَ الْهِجْرَةِ، دَلٌّ عَلَىٰ أَنَّهُ بِمَحَلِّ عِنَايَتِهِ وَأَنَّهُ مُتَمِّمٌ نَوْرَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

### الحكمة الأولى:

صَرَفَهُ أَلْبَابَ قَرِيشٍ وَحُدَّاقَهُمْ عَنَ أَنْ يُفَكِّرُوا فِي قَطْعِ دَابِرِ أَمْرِ الْإِسْلَامِ، قَبْلَ أَنْ يَكْثُرَ أَتْبَاعُهُ، وَيُتَدَبَّرَ لَهُ أَنْصَارُهُ، وَتَشْتَبِهَ رَأْيُهُمْ فِي صَدِّهِ عَنِ الْخُرُوجِ حَتَّىٰ مَكَّنَهُ اللهُ مِنْهُ، وَفِي ذَلِكَ الْيَأْسِ تَهَيُّئَةٌ لَهُمْ نَحْوَ الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ.

### الحكمة الثانية:

أَنْ هَيَّأَ لَهُ أَنْ تَكُونَ هِجْرَتُهُ إِلَى يَثْرِبَ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فِي بَالِهِ أَوَّلَ وَهْلَةٍ، فَفِي الصَّحِيحِ عَنِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَهَاجِرُ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجْرَ، فَإِذَا هِيَ مَدِينَةٌ يَثْرِبَ»<sup>(١)</sup>، فَكَانَ مِنْ تَيْسِيرِ اللَّهِ أَنْ سَاقَ إِلَيْهِ النَّفَرَ السَّتَّةَ الْأَوَّلِينَ مِنَ الْأَوْسِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، فَإِنَّ مَوْقِعَ الْمَدِينَةِ كَانَ وَسَطًا مِنْ أَرْضِ الْعَرَبِ، فَكَانَ بَلُوغُ دَعْوَةِ الْإِسْلَامِ إِلَى بِلَادِ الْعَرَبِ بِانْتِشَارِ شِعَاعِيٍّ، وَهَذَا أَيْسَرُ عَمُومًا مِمَّا لَوْ كَانَتْ دَارُ الْهِجْرَةِ الْيَمَامَةَ أَوْ هَجْرَ فِي الطَّرْفِ الشَّرْقِيِّ الشَّمَالِيِّ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ.

### الحكمة الثالثة:

إِنَّ أَهْلَ يَثْرِبَ كَانُوا أَقْرَبَ الْعَرَبِ لِقَبُولِ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُمْ وَإِنْ كَانُوا قَبْلَ الْإِسْلَامِ مُشْرِكِينَ، يَعْبُدُونَ مَنَاةَ وَغَيْرَهَا إِلَّا أَنَّهُمْ لِشِدَّةِ مُخَالَطَتِهِمْ لِلْيَهُودِ - وَهُمْ أَهْلُ

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤٢٥) بترقيم ديب البغا. ومسلم في الروايات باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم (٢٢٧٢).

كتاب - كانت آذانهم قد اعتادت معالي التوحيد، فكانت نفوسهم مرتاضة إلى ذلك.

### الحكمة الرابعة:

إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ لِلْمُسْلِمِينَ مِنْ أَمِيَّةِ مَوْقِعِ الْمَدِينَةِ مِنْ بِلَادِ الْعَرَبِ سُلْطَانًا عَلَى أَعْدَائِهِمْ مِنْ قَرِيشٍ، أَهْلَ مَكَّةَ، فَإِنَّ قَرِيشًا كَانُوا تُجَارًا، وَكَانَتْ لَهُمْ رِحْلَةٌ فِي الشِّتَاءِ إِلَى الْيَمَنِ لِلتَّجَارَةِ، وَأُخْرَى فِي الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ، سَنَّ لَهُمْ ذَلِكَ هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْفٍ، جَدُّ النَّبِيِّ ﷺ، وَذَلِكَ هُوَ الْمُسَمَّى بِالْإِيلَافِ<sup>(١)</sup>، وَكَانَ مُرُورُهُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَى طَرِيقِ الْمَدِينَةِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ، فَلَمَّا صَارَتِ الْمَدِينَةُ دَارَ إِسْلَامٍ، وَتَبَتَّ الْعَدَاوَةُ بَيْنَ أَهْلِهَا وَبَيْنَ قَرِيشٍ، صَارَتْ قَرِيشٌ تَرْهُبُ الْمُرُورَ عَلَى الْمَدِينَةِ، فَانْقَطَعَتْ تِجَارَتُهُمْ إِلَى الشَّامِ، وَهِيَ أَهْمُ تِجَارَتِهِمْ، وَفِي ذَلِكَ الْمَعْنَى قَالَ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مُهَدِّدًا لِقَرِيشٍ:

دَعَا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا	جِلَادٌ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ <sup>(٢)</sup>
بِأَيْدِي رِجَالٍ هَاجَرُوا نَحْوَ رَبِّهِمْ	وَأَنْصَارُهُ حَقًّا وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكْتَ لِلغُورِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ	فَقُولِ لَهَا: لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ

### الحكمة الخامسة:

انتقال الإسلام من طورٍ إلى طورٍ أكمل منه، هو الذي كان مُقَدِّمَةً كَمَالِهِ الْمُعْلَنَ عَلَيْهِ يَوْمَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣]. مَضَتْ مُدَّةُ إِقَامَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ وَالْإِسْلَامِ حِينَئِذٍ فِي طُورٍ كَانَ فِيهِ مُقْتَصِرًا عَلَى إِصْلَاحِ الْعَقِيدَةِ، وَتَهْدِيبِ نَفُوسِ أَتْبَاعِهِ، وَتَطْهِيرِ أَخْلَاقِهِمْ فِي خُوصِيصَتِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ، وَدَعْوَةِ الْمُشْرِكِينَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاللَّهِ، وَرُسُلِهِ، وَمَا جَاؤُوا بِهِ، وَتَشْهِيرِ فِطَائِعِ أَهْلِ الشَّرْكِ، وَضَلَالِهِمْ وَسَخَافَةَ رَأْيِهِمْ، وَذَلِكَ طُورٌ ابْتَدَأَ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ لِيَنْشَأَ مِنْشَأً سَائِرَ الْكَائِنَاتِ مِنْ طِفُولَةٍ إِلَى شَبَابٍ إِلَى كُهُولَةٍ ﴿كَذَلِكَ لِنُنشِئَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، وَلِتَهَيِّئَةَ قُلُوبِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى تَلْقَى الشَّرَائِعِ وَانْتِظَامِ الْجَمَاعَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ تَطَوَّرَ الْإِسْلَامُ

(١) إيلافٌ مصدرٌ ألف بمعنى ألف الشيء، وقد أشار إليه قوله تعالى: ﴿لِيَلْفِ قُرَيْشٌ﴾ [قريش: ١]. وكان ذلك من خصائص قريش، قال مساور بن هند العبسي يهجو بني أسد ويكذبهم في دعواهم أنهم من نسل أسد بن عبد العزى من قريش:

زَمَنْتُمْ أَنْ إِخْوَانَكُمْ قَرِيشٌ	لَمْ أَلْفُ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلا
أَوْلَانِكُ أَوْمِنُوا جَوْعًا وَخَوْفًا	وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا

(٢) الأوارِكُ التي تأكل الأراك، فيجرح لها أفواها فيسيل منها الدم.

إلى طوره الأشدّ فصار ديناً وجامعاً، وشريعةً وحكومةً.

#### الحكمة السادسة:

استقلال الإسلام وأمنه، وإعلان العبادة فُشِّرِعَ الأذان، وأقيمت الجماعة ونحو ذلك.

#### الحكمة السابعة:

تنظيم الجماعة في الإسلام، من أول الهجرة، بأبْتِنَاءِ الْمَسَاجِدِ وإقامة الأئمة، والقضاء، ومشروعية المواسة بين المسلمين بالزكاة والصدقات، وتنظيم قوانين العائلة من شرع صحيح عقود الزواج، وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة إلخ. وبالاستخلاف في تدبير الأمور وإقامة الأحكام في مغيب الرسول أو في البعد عنه. وأبتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات، ففي الصحيح عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إنما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفضل، بين ذكر الجنة والنار حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام<sup>(١)</sup>.

#### الحكمة الثامنة:

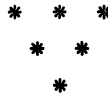
تنظيم الدفاع عن الدين والأمة بالتهيؤ لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم، إذا نوا ذلك، وهم يوشك أن ينووه، إذ هم من قبل قد نووه.

#### الحكمة التاسعة:

إيجاد مال للمسلمين لإقامة مصالحهم، وعدة لنوائبهم مجتمعاً من الزكاة والأوقاف ثم من المغانم والأنفال.

#### الحكمة العاشرة:

مخاطبة ملوك الأرض، ورؤساء الأمم بالدعوة إلى الدخول في دين الإسلام، والاستظلال بالرؤية الإسلامية.



(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (٤٧٠٧) بترقيم ديب البغا.

## الرسول ﷺ والإرشاد (١) (١)

إِنَّ الْكَلَامَ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ نَاحِيَةِ الْإِرْشَادِ هُوَ حَقًّا كَلَامٌ عَلَى الرَّسُولِ مِنْ أَحْصَى نَوَاحِي صِفَاتِهِ بِوصف الرسالة، أو بعبارة أوجَزَ هو كلام على الرسول كَلِّهِ، ولذلك نجد القرآن حَصَرَ الرسول في صفاتٍ مَرَّجِعها إلى الرِّشَادِ حَصْرًا إِضَافِيًّا مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٣]، ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ [هود: ١٢]، ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ [الكهف: ١١٠]، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فكأنَّه لا صفات له غير الصفات الراجعة إلى الإرشاد.

ومما يزيد ذلك بيانًا وتوجيهًا أن جميع ما خصَّ اللهُ به رسوله مُحَمَّدًا ﷺ، من جلائل الصِّفَاتِ وَالخِلَالِ إِنَّمَا خَصَّهُ بِهِ لِإِهْيَئَتِهِ بِهِ إِلَى قَبُولِ صِفَةِ الرَّسَالَةِ الْعُظْمَى، الْعَامَّةِ، الْخَاتِمَةِ.

فَمَنْ ذَا الَّذِي يَطْمَعُ فِي أَنْ يَتَكَنَّهَ كَنَهُ إِرْشَادِ الرَّسُولِ بِاسْتِعَابٍ وَهُوَ إِنَّمَا كَانَ إِرْشَادُهُ تَلْقِينًا مِنْ عَلَامِ الْغُيُوبِ، الْمُحِيطِ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ. فَحَسَبَ الْبَاحِثِ الثَّقِيفِ أَنْ يَلْمَ الْإِمَامَةَ بِمَا يَصِلُ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ تَصَارِيفِ ذَلِكَ الْإِرْشَادِ.

وَلَيْسَ بِنَا أَنْ نَشْرَحَ هُنَا عَمُومَ شَرْيَعَتِهِ لِسَائِرِ الْخَلْقِ وَبِقَائِهَا عَلَى مَمَرِّ الْعُصُورِ، وَإِتْيَانِهَا عَلَى جَمِيعِ مَا سَبَقَهَا مِنَ الشَّرَائِعِ بِالتَّأْيِيدِ لِمَا لَمْ تَقْتَضِ الْحِكْمَةُ نَسْخَهُ، وَالْإِبْطَالِ لِمَا اقْتَضَتْهُ.

فَقَدْ بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ أَجْمَعُهَا عِنْدِي قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨]، فَالْكِتَابُ الْأَوَّلُ هُوَ الْقُرْآنُ وَ«ال» فِيهِ لِلْعَهْدِ، وَالْكِتَابُ الثَّانِي هُوَ أَحَدُ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ وَالتَّعْرِيفُ فِيهِ لِلْجِنْسِ، وَالضَّمِيرُ الْمَجْرُورُ بِ: «عَلَى» عَائِدٌ عَلَى الْكِتَابِ الْمُفَرَّرِ، وَالْمُؤَيَّدِ لِمَا سَبَقَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ، وَمَعْنَى الْمُهَيِّمِ: الْحَاكِمُ وَالرَّقِيبُ الْمُتَصَرِّفُ، وَذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى إِبْطَالِ أَحْكَامِ كَثِيرَةٍ مِنَ الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ.

وَأَنَّ مَنْ يُجِيدُ النَّظَرَ فِي مَعْنَى هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ يَجِدُهُمَا قَدْ جَمَعَهُمَا مَعْنَى وَهُوَ كَمَالٌ

الإرشاد، فإنَّ ما قرَّره الإسلام من الأحكام قد دلَّ بتقريره على أنَّه حُكْمٌ بَلَغَ غاية الهدى والإرشاد. وإنَّ ما أبطله الإسلام من الأحكام قد دلَّ بإبطاله على انتهاء المصلحة الخاصة في تشريعه، وتعقيبها بمصلحةٍ أخرى: عامة، كلية، باقية.

فهذه لَمحة من البَحْث رأينا بها أنَّ مجيء الرسول ﷺ، إنَّما كان لأجل الإرشاد بأكمل معانيه، ولكنْ لَيْسَ بنا أنْ نطرقَ بابَ البحث عن هذا الإرشاد الأكبر التشريعي، فإنَّ ذلكَ بحرٌ لا ساحلَ له، وإنما الغرض من موضوعنا هذا هو الإرشادُ الخاصُّ، أعني الإرشادُ إلى مكارم الأخلاق، وآداب المعاشرة، وأصول انتظام الجماعة مع البحث بوجه العموم أقوى وأكثر إرشادًا عن مكانة الإرشاد وبواعثه ومهيئاته وصفاته ومميزاته.

### قُوَّةُ إرشاد الرسول وسعته:

لا نشكُّ في أنَّ الإرشادَ إلى الخير ينشأ عن الشعور بالنافع وضده، فيكون المرشد أقوى إرشادًا وأكثره، بمقدار قوة شعوره بالمنافع، وفي هذا المضمار تسابقت جهودُ المرشدين على أقدار قُوَى أفهامهم وقرائحهم، إلى الإلمام بأحوال من حولهم من الأمم أو المرشدين، وليس يخلو أحدٌ ولو أُعطي من قُوَّة الملاحظات والشعور، ومن جودَةِ التفكير والنصح من أن تخفى عنه أمورٌ كثيرةٌ، من بواطن وسرائرٍ قَصَرَ عن بلوغ غورها، ومن ظواهر لم يلتفت إليها، أو حُجِبَ عن إدراكها أو عُوِجِلَ عن إتقان استفادتها.

وقد أقام الله تعالى الرُّسُلَ لإرشاد الأمم، وأطلَعهم على ما شاء من طُرُق الإرشاد وموجباته. وأمَرهم بما شاء إظهاره من ذلك في أولئك الأقوام وتلك العصور. وأما الرسول الأعظم الذي بعثه الله إلى الناس كافةً، وجعل شريعته باقيةً إلى انقراض العالم فهو أوسع المرشدين إرشادًا، وأفواهم فيه؛ لأنَّه الذي وهبه الله نفسًا يقظي وفهْمًا نيرًا، وأيدَه بالعصمة من الخطل، وعَضَدَه بالوحي والتنبية إلى دخائل الأقوام والأمم، فهو أقوى المرشدين شعورًا بمسارب الضلال إلى النفوس. وهو لِعصمته من الرضا بإقرارها، أبْلَغَ النَّاسَ مَقْدَرَةً في تقصِّي آثارها واقتلاع أدوائها؛ لأنَّ كمال النفس ويَقْظَةُ العقل يُشعِرانِ صاحِبَهُما بما يجب لذلك، وأنَّ الفِطْرَةَ على حبِّ الكمال للناس والغيرة على الحق تدفعان النفس إلى مُعالِجَةِ النقائص بقدر الاستطاعة.

### تهيؤ نفس الرسول لذلك الإرشاد:

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، فأفاد بذلك أنَّه هيأ - لقبول أشرف الأوصاف في المخلوقات، أعني: صفة الرسالة عن الله - أشرف النفوس لتظهر الملاءمة بين الحالِّ والمحلِّ، والمخويِّ والحاوي. فالرسول - وإن كان مُلقَّنًا من

الله تعالى، ناطقًا من وحي لا عن رأي - فهو مع ذلك محتاج إلى نفس كبيرة، وهمّة عظيمة؛ لأنّ تلقي التلقين الإلهي ليس بالأمر الهين، ولأنه يجب أن يكون الرسول عالمًا بدقائق ما أُوحي إليه، وما يتضمنه من الحكمة؛ كي لا يكون بعض المُبلِّغ إليهم أعلم به من المُبلِّغ. ولأنّ الرسول يُرشد فيما لم يوح إليه فيه بشيء باجتهاده، لا سيما فيما يرجع إلى التربية، وتقويم النفوس، وليس من مراجع التشريع.

وإذا كانت الرسائل متفاوتة السعة فلا جرم أنّ أعظم الرسائل وأوسعها أحوج إلى أكمل نفس قابلة للاضطلاع بأمرها، ناهضة بأعبائها، ولأجل ذلك فُطر أفضل الرُّسل وأكمل المرشدين على صفات وِخلالٍ تُهيئ نفسه الشريفة للشعور بحال كل ما يحف بها من الأحوال، ولإظهار آثار ذلك الشعور في استدعاء الرشد ومُطاردة الضلال.

إنّ خصال الكمال البشرية نوعان: جبليّ وكسبيّ. فأما الجبليّ فهو ما يخلق في المرء من صفات محمودّة في الخلق والجبلة؛ لأنّها توصل إلى كمال نفسيّ أو إلى تمامه، وإلى تأثير فعله.

فالأول: مثل سلامة الحواس وطلاقة اللسان ونباهة العقل.

والثاني: مثل قوة البدن ورباطة الجأش وشرف النسب.

والثالث: مثل جمال الصورة ومهابتها وعزّة القبيلة.

وأما الكسبي: فهو ما تراض عليه النفس من التخلّق بالفضائل التي استعدت لها بما جُبِلت عليه من وسائل قبول تلك الفضائل ونمائها وذلك جميع الآداب البشريّة؛ كالنزاهة والتقوى والمعرفة والحلم والصبر والعدل والشجاعة والتواضع وحبّ الإصلاح وحسن المعاشرة والجود والغيرة على الحقّ. وطريق الارتياض إلى ذلك بالتعليم الإلهيّ أو البشريّ، وفي الحديث النبوي: «أدبني ربّي فأحسن تأديبي»<sup>(١)</sup>، وقال الله: ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، وبمراقبة النفس في أحوالها وخطراتها، وفي الحديث: «إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله كل يوم مائة مرة»<sup>(٢)</sup>، ولكلّ هاته الفضائل الجبليّة والكسبيّة أثرٌ جليلٌ في صدور الإرشاد إلى نفوس مُريديه وسامعيه. وقد أتى الله رسوله من هذه الفضائل بنوعها أقصى ما تقبله النفس البشريّة المُطهرة، حتى قالت عائشة - رضي الله عنها - : « كان خُلُقُه القرآن »، ثم هيّا له قبل

(١) مختصر المقاصد، الزرقاني (٤١).

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه (٢٧٠٢).



مِنْ مُكَمَّلَاتِ الْفَضَائِلِ الَّتِي هِيَ مِنْ أَحْوَالِ غَيْرِهِ مِمَّا لَهُ تَعَلُّقٌ بِهِ، أَفْضَلُ مَا تُهَيِّئُهُ الْعِنَايَةُ الْإِلَهِيَّةُ لِمُعْتَنَى بِهِ مِنَ الْخَلْقِ، فَأَنْشَأَهُ مِنْ أَشْرَفِ الْأَنْسَابِ، وَأَعَزَّ الْقَبَائِلِ، وَأَفْضَلَ الْبَيْتَاتِ وَفِي أَفْضَلِ الْبِقَاعِ، وَأَبْعَدَهَا عَنِ الْعَوَامِلِ الَّتِي تَكْسِبُ الْأَقْوَامَ مَسَاوِيَّ الْأَخْلَاقِ مِنْ: مَدَلَّةَ، وَكُذْبَ، وَخِدَاعَ، فَكَانَتْ نَشَأَتُهُ فِي بَلَدٍ لَمْ تَقْهَرِهِ الْجَبَابِرَةُ، وَلَمْ تَغْزُهُ الْقَبَائِلُ، وَلَمْ تُهِنَّهُ الْمُنَافِسُونَ، وَحَسْبُكَ أَنْ يَقُولَ الْمُفْتَخِرُ فِي فَخْرِهِ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ:

فَأَمَّا النَّاسُ مَا حَاشَا قَرِيئًا      فَإِنَّا نَحْنُ أَفْضَلُهُمْ فِعَالًا

فَكَمَلَتْ لِلرَّسُولِ ﷺ الْفَضَائِلُ الْعَارِضَةُ الْحَافَّةَ، كَمَا زُوِيَتْ لَهُ الْفَضَائِلُ الذَّائِيَّةَ، وَالنَّفْسَانِيَّةَ، وَلَا مَرِيَّةَ فِي أَنْ لَدَيْكَ كُلُّهُ أَثْرًا قَوِيًّا فِي الْإِرْشَادِ، وَقَدْ قَالَ قَوْمٌ شَعِيبٍ لَهُ: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجِمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ [هود: ٩١].

كَمَا أَنَّ الثِّقَةَ بِسَلَامَةِ الضَّمِيرِ وَبِحَقِّيَّةِ النَّصْحِ وَبِعِزَّةِ الصِّدْقِ، كُلُّ ذَلِكَ يَدْفَعُ إِلَى التَّصْرِيحِ بِالْإِرْشَادِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ. وَإِنَّ التَّقْوَى وَالنَّزَاهَةَ لَا يَتْرَكَانِ فِي النَّفْسِ شَيْئًا مِنَ الْإِرْشَادِ مَكْتُومًا.

وَالرَّسُولُ أَقْوَى الْمُرْشِدِينَ فِي ذَلِكَ، أَمَّا فِيمَا أُمِرَ بِتَبْلِيغِهِ فَظَاهِرٌ، وَأَمَّا فِيمَا لَيْسَ مِنَ التَّبْلِيغِ فَلَأَنَّهُ لَا يَقْرَأُ أَحَدًا عَلَى بَاطِلٍ، فَكَانَ تَغْيِيرَ الْمُنْكَرِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ مُنْحَصِرًا فِي التَّغْيِيرِ بِالْفِعْلِ، أَوْ بِالْقَوْلِ دُونَ التَّغْيِيرِ بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَوْضَعُ الْإِيمَانِ، كَمَا رُوِيَ فِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ.

وَقَدْ كَانَ لِلرَّسُولِ ﷺ مِنْ حُسْنِ السَّمْعَةِ مِنْ جَرَاءِ هَذِهِ الْكِمَالَاتِ مَا عُرِفَ بِهِ فِي عَصْرِ الْجَاهِلِيَّةِ قَبْلَ بَعْثَتِهِ، فَكَانُوا يَعُدُّونَهُ وَهُوَ فَتَى أَكْمَلَ مِنْ سَادَاتِهِمْ فَلَقَّبَ بَيْنَهُمْ بِالْأَمِينِ، وَحَكَّمُوهُ فِي أَهْمِّ شَيْءٍ لَدَيْهِمْ، كَادُوا أَنْ يَقْتَتِلُوا لِلتَّنَافُسِ فِيهِ، وَهُوَ وَضِعَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ فِي مَوْضِعِهِ حِينَ جَدَّدَتْ قَرِيشُ بِنَاءَ الْكَعْبَةِ فِي حُدُودِ سَنَةِ ( ١٨ ) قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَحَكَّمَ بِأَنْ يَوْضَعَ الْحَجَرَ فِي ثَوْبٍ وَتَمَسَكَ جَمِيعَ عُرْفَاءِ بَطُونِهِمْ بِأَطْرَافِ ذَلِكَ الثَّوْبِ حَتَّى يَكُونَ شَرْفُ رَفْعِهِ ثَابِتًا لِجَمِيعِهِمْ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ الْمَعْرُوفِ، وَمَا نَازَعَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي أَنْ تَوَلَّى وَضَعَهُ بِيَدِهِ دُونَهُمْ، وَقَدْ قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ لِقَرِيشٍ: قَدْ كَانَ مُحَمَّدٌ فِيكُمْ غَلَامًا حَدِيثًا، أَرْضَاكُمْ فِيكُمْ، وَأَصْدَقَكُمْ حَدِيثًا، وَأَعْظَمَكُمْ أَمَانَةً، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمُ الشَّيْبَ فِي صُدْغِيهِ قُلْتُمْ: سَاحِرٌ، وَقُلْتُمْ: شَاعِرٌ، وَقُلْتُمْ: مَجْنُونٌ، وَوَاللَّهِ مَا هُوَ بِأَوْلَىكُمْ. وَقَدْ عَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ مِتَابَعَةِ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ الَّتِي كَانُوا يَعُدُّونَهَا مُحَاسِنًا وَمَا كَانَتْ يَوْمئِذٍ مُحَرَّمَةً مِثْلَ: الْغَرَامِ وَاللَّهْوِ وَالْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ، وَمَا كَانُوا يَعُدُّونَهَا قَبْلَ

الإسلام إلا مفاخرَ، وقد مُلِكت أشعار شعرائهم من التفاخر بمزاويلها، وذلك لحكمتين:  
أولاهما: أنها نقائص في ذاتها.

والثانية: أن الله عليم أن معظم العرب سَيَتَّبِع الإسلام ورسوله، ويعلمون أنما كانوا عليه إنما هو نقائص فعصم الله رسوله من أن تقع عليه أبصارهم، بغير الإجلال، في الماضي والحال، وليسط هذا مواقع غير ما نحن بصددِهِ.

ثم إن الإرشاد يتوقف تمام نفوذه في نفوس سامعيه على السلامة من كل مُنْفَرٍ يُنْفَرُ عن تلقّيه. وقد علمنا ما فطرت عليه نفس رسول الله ﷺ من الأخلاق الجليلة. وثمة أشياء هي تكملة للسلامة من المنفّرات وهي حسن السمّت والسخاء. فأما حسن السمّت فهو محاسن الخِلقة، وجلالها، وقد اتفقت صفات الواصفين لشمائله بالتفصيل والإجمال، والتّصريح والكناية والتشبيه، على أنه أحسن الناس خلقًا، من رآه بديهته هابه، ومن خالطه معرفةً أحبّه، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وأما الجود والسخاء، فإن للجود في البشر كلّهم تأثيرًا على نفوسهم ولا سيّما العرب، فإنهم أشهر الأمم بتفشي الجود بينهم، وهم أطوع الناس للجود، ومُتتهى الجود عندهم التفضّل مع الحاجة إلى المُتفضّل بجميع ما عند الجواد، قال:

ليس العطاء من الفضول سماحةً      حتى تجودَ وما ليدك قليلُ  
وأحاديث جوده ﷺ مشهورة.

وقد حفّ الله تعالى صفات رسوله بهدّين الوصفين ليكون كماله تامًا، وإرشاده بالغا أغوار النفس. ذلك أن المتلقين للإرشاد مراتب ثلاث:

الأولى: مرتبة خاصّة العقلاء الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. وهؤلاء لا يحول بينهم وبين الاهتداء بهدى المرشد شيء، فهم ينتفعون بالإرشاد بمقدار ما يبلغ إلى أسماعهم، وتعيه قلوبهم مثل أبي بكر الصديق رضي الله عنه، إذ صدّق النبي ﷺ، حينما بلغته الدعوة.

المرتبة الثانية: عقلاء قد حفّ بهم من عوارض أحوالهم وأزمانهم ما يقاعسهم عن قبول الإرشاد، إمّا لحب شهرة، أو تعلق بمألوف أو غير ذلك. وهؤلاء يكرهون سماع الإرشاد ويُلْقون في سبيل المرشد شوك اعتراضهم، ويخشون أن تعلق بذلك الإرشاد نفوس أتباعهم، فهم يصرفون أسماعهم وأتباعهم عنه مثل: عبد الله بن أبي بن سلول، قبل أن يتظاهر بالإسلام، فإن النبي ﷺ مرّ به ومع ابن أبي رجّال، فنزل فسلم عليه، ودعا

إلى الله وتلا القرآن، وعبد الله بن أبي لا يتكلم، فلما فرغ النبي ﷺ من ذلك قال له عبد الله: « لا أحسن مما تقول أيها الرجل، إن كان حقاً فاجلس في بيتك، فمن جاءك فحدّثه، ومن لم يأتك فلا تفتنه به ولا تفتننا به في مجلسنا ». فهؤلاء إذا أعيتهم الحيل من الغص في كمالات المرشد، قد يتذرعون إلى الطعن فيه ببعض العوارض التي لا تغص من حقيقة المرشد، ولكنها قد تخيل إلى العامة نقائص؛ لأن أذهان العامة بعيدة عن إدراك الفرق بين صفات النفس وعوارض الحياة.

المرتبة الثالثة: دهماء العامة، وهم الذين لا يبلغ الإرشاد إلى مداخل نفوسهم إلا بمشقة. فلذلك يهرعون إلى التشغيب على المرشد بسفاسف يعدونها مهمات، وقد قال قوم فرعون لموسى وهارون: ﴿ أَنْتُمْ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٧]، فجعلوا عبودية بني إسرائيل طعناً في رسالة رجلين منهم. وقالت بنو إسرائيل مجيبين نبيهم صمويل إذ أخبرهم أن الله بعث لهم طالوت ملكاً: ﴿ أَتَى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وقال قوم شعيب: ﴿ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ [هود: ٩١].

وقال قيس بن عاصم التميمي يذكر أتباعهم لسجاح بنت المنذر المتنبئة ويعبر عن تحسّر:

أضحت نبيتنا أنثى نطيف بها وأصبحت أنبياء الناس ذكرانا

فأهل هاتين المرتبتين بحاجة إلى صفات في المرشد تُعين على استئزال طائر نفوسهم إلى السكينة في تلقّي الإرشاد، حتى يأخذ قراره من نفوسهم على قدر تفاوت قابليتهم، من أجل ذلك استوفى الله لرسوله، وهو أكمل المرشدين، جميع صفات الكمال، وبرأه من جميع النقائص، وكَمَّلَ له صفات ليست هي المشروطة في تبليغ الدعوة والإرشاد، إذ قد يوجد بعضها في غير المرشدين، وفي دعاة الضلالة، ولكنها تأييد تمهيدٍ ليلبغ الإرشاد إلى نفوس فريقين، فإذا ظهر الحق عقيبها كان ظهوره كالفجر الصادق عقب ظهور ذنب السرحان.

أسلوب إرشاده، وشكله، ونفوذه:

لقد وصف القرآن أسلوب إرشاد الرسول ﷺ، بقوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وبقوله: ﴿ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وهاتان الآيتان تختصان بإرشاد الرسول بما زاد على ما أنزل عليه من القرآن كما هو ظاهر.

وقد وجدنا الناس تُجاه الإرشاد الرّسولي ثلاثة أصناف:

- صنف هم طلابُ حقٍّ، ورغابُ رَشِيدٍ، وهذا الصنف هم الذين أُعدت لهم الحكمة، والموعظة الحسنة، بحسب اختلاف مراتبهم في تأثير الحكمة فيهم أو تأثير الموعظة الحسنة على نفوسهم، أو بحسب اختلاف أحوال الواحد منهم.

- الصنف الثاني: مُنازعٌ مرجوٌّ، مثل أهل الرّأي من المُشركين، ومثل أهل الكتاب؛ لأنهم على آثارٍ من علمٍ، وهذا الصنف هو الذي أُعدت له المُجادلة بالتي هي أحسن؛ لأنّ الله تعالى قال في آية أخرى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال في شأن المُشركين: ﴿ وَقَالُوا أَإِلهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]، فوصف حجاجهم للرسول بأنه جدلٌ.

- الصنف الثالث: جاهلٌ مُكابِرٌ، وهذا الصنف هو الذي أمر بالإعراض عنه بعد إبلاغه الدعوة بقوله تعالى: ﴿ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ [الشورى: ٤٨]، وقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦].

فأمّا أسلوب الحكمة فهو أسلوب جامعٌ لِشُعَبٍ كثيرة؛ لأنّ الحكمة تقتضي أن يكون الإرشاد مناسباً لحال المرشدين وقابليّتهم، ومن هذه الشُعَب ما تقدّم لنا بيأنه من كمال إرشاد الرسول. ومن أجلّ مظاهر أسلوب الحكمة ما تضمته جوامعُ كلامه ﷺ الكثيرة. وتدخل في قسم الحُجج القواطع.

وأما أسلوب الموعظة الحسنة فهو أسلوبُ التّرعيبِ والتّرهيبِ وهو أجلى مظاهر الخطابة؛ إذ الموعظةُ هي التذكير بما يُلينُ القلبَ لِلانفعال بما يأمره الواعظ، ووَصَفَهُ اللهُ تعالى بالحسنة وصفاً أهمل المُفسِّرون العَوَضَ على مقصده، فالحسنة إمّا بمعنى المُناسبَةِ لحال الموعوظ في لينٍ أو شدّةٍ، فحُسْنُهَا باعتبارِ حُصولِ فائدتها. وإمّا أن تكون بمعنى الملاءمة لِطباعِ الناس وهي التي أُخِذَ فيها بِجانِبِ اللين بقدر الإمكان، وهذا الاحتمال أظهر؛ لأنّه أوفق بقوله بعد: ﴿ وَحَدِّلْهُمْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وهذا الحُسْنُ ينبثق منه أفانين كثيرة في الإرشاد مرجعها إلى تَوْخِيّ الحالات التي تكون نفوس السامعين فيها أعلَقَ بالإرشاد، فمن ذلك الإرشاد عند ظهور رقة النفوس وخوفها، كما خطبَ النبي ﷺ في صلاة العيد فأمرَ الناس بالصدقة فقال:

« يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ، تَصَدَّقْنَ »<sup>(١)</sup>، « رَبِّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(٢)</sup>، فَجَعَلَ النِّسَاءَ يُلْقِينَ الْفَتْحَ وَالخَوَاتِيمَ وَالْأَسْحَابَةَ فِي ثَوْبِ بِلَالٍ. وَمِنَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ الْإِرْشَادَ بِطَرِيقِ التَّمَثِيلِ وَالتَّشْبِيهِ لِلتَّحْسِينِ أَوْ لِلتَّقْبِيحِ مِثْلَ الْحَدِيثِ: « أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟ » قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِ وَارِثِهِ. قَالَ: « فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالٌ وَارِثُهُ مَا أَخَّرَ »<sup>(٣)</sup>.

وَانظُرْ هَلْ تَجِدُ فِي إِيقَاطِ النِّفُوسِ إِلَى مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَالْحِرْصِ عَلَى الْإِتْسَامِ بِمَيْسَمِ زَكَاةِ الْفِطْرَةِ أْبْلَغَ وَأَوْجَزَ مِنَ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: « النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَقَّهُوا »<sup>(٤)</sup>.

وَأَمَّا أَسْلُوبُ الْمُجَادَلَةِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَهِيَ مُخْتَصٌّ بِإِرْشَادِ الْمْتَرِدِّ الْمُعَارِضِ، وَمَعْنَى ﴿ يَا أَيُّهَا أَحْسَنُ ﴾: بِالْمُجَادَلَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ، فَحُذِفَ الْمَوْصُوفُ بِدَلَالَةٍ: ﴿ وَجَدِيدُهُمْ ﴾ [النحل: ١٢٥]، وَتَأْنِيبِ الصِّفَةِ عَلَيْهِ، وَالتَّفْضِيلِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] تَفْضِيلٌ عَلَى حُسْنِ الْمَوْعِظَةِ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، عَلَّمَ اللَّهُ رَسُولَهُ أَنَّ مَقَامَ الْمُجَادَلَةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِحْسَانِ مِنْ مَقَامِ الْمَوْعِظَةِ لِمَا أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ لِمُعَارِضِ خِصْمٍ، وَيُفَسِّرُ الْحُسْنَ الْمُفْضَلَ هُنَا بِأَحَدِ الْوَجْهَيْنِ اللَّذَيْنِ فَسَّرْنَا بِهِمَا الْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ. وَقَدْ جَادَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رُؤَسَاءَ قُرَيْشٍ حِينَ كَانَ بِمَكَّةَ. اجْتَمَعُوا عِنْدَ ظَهْرِ الْكَعْبَةِ وَقَالُوا: ابْعَثُوا إِلَى مُحَمَّدٍ فَكَلِّمُوهُ حَتَّى تُعْذِرُوا إِلَيْهِ، فَبَعَثُوا إِلَيْهِ، فَجَاءَ ﷺ مُسْرِعًا، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا وَاللَّهِ مَا نَعْلَمُ رَجُلًا مِنَ الْعَرَبِ أَدْخَلَ عَلَى قَوْمِهِ مَا أَدْخَلْتَ عَلَى قَوْمِكَ، لَقَدْ عَيْبَ الدِّينَ، وَشَتَمَتِ الْأَلْهَةَ، وَسَفَهَتِ الْأَحْلَامَ، وَفَرَقَتِ الْجَمَاعَةَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا جِئْتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ تَطَلُّبُ بِهِ مَالًا، جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تَطَلُّبُ بِهِ الشَّرْفَ فِينَا فَنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكَنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَيْثًا<sup>(٥)</sup> تَرَاهُ قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ، بَدَلْنَا أَمْوَالِنَا فِي طَلْبِ

(١) أخرجه البخاري في الحيض، باب ترك الحائض الصوم (٢٩٨) بترقيم ديب البغا.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب الفقر والزهد والقناعة (٦٩١).

(٣) أخرجه البخاري في الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له (٦٠٧٧).

(٤) أخرجه البخاري في المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعْرًا وَفِئَالًا لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَانَكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣]، ومسلم في البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة (٢٦٣٨).

(٥) كانوا يُسمون التابع من الجن الذي يظهر لأحد ويلزمه ولا يفارقه: ريثًا، بمعنى مرثي، وكانوا يزعمون أن لكل فحل من الشعراء ريثًا، وكان الأعشى يزعم أن رثيه يُسمى: مسحلًا، فقال:

الطَّبُّ لَكَ . فقال لهم رسول الله ﷺ: « ما بي ما تقولون، ما جئتُ بما جئتُ به أطلبُ أموالكم، ولا المُلْكَ عَلَيْكُمْ، ولكنَّ اللّهُ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ رَسُولًا، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَابًا، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، فَبَلَّغْتُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقَبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنْ تَرَدُّوهُ عَلَيَّ، أَصْبِرْ لِأَمْرِ اللّهِ، حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ »<sup>(١)</sup>. ثم اقترحوا عليه أشياء تَصَمَّنَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَنْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبْنُوْعًا ۗ ﴾<sup>(٢)</sup> أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ۗ ﴾<sup>(٣)</sup> أَوْ سُقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِي بِلِلٍّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فَبَيِّنَا ۗ ﴾<sup>(٤)</sup> أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ . قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿ [الإسراء: ٩٠ - ٩٣] .

[ و ] مِنَ الْمُجَادَلَةِ الْحَسَنَةِ مُجَادَلَتُهُ أَهْلَ نَجْرَانَ لَمَّا وَفَدُوا عَلَيْهِ فِي سِتِينَ رَجُلًا، مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ عَشْرٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، وَرُؤَسَاؤُهُمْ ثَلَاثَةٌ إِلَيْهِمْ مَرَجِعُ أَمْرِهِمْ؛ وَهُمْ الْعَاقِبُ أَيُّ: الْأَمِيرِ، وَاسْمُهُ: عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ دُونَهُ وَاسْمُهُ: الْأَيْهَمُ، وَالْأَسْقُفُ عَالِمُهُمْ، وَاسْمُهُ: أَبُو حَارِثَةَ، فَنَظَرُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي شَأْنِ عَيْسَى، فَنَظَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا تَصَمَّنَهُ أَوْلُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، إِلَى نَحْوِ ثَمَانِينَ آيَةً مِنْهَا إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۗ ﴾<sup>(٥)</sup> الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْ مِنَ الْمُكْفِرِينَ ۗ ﴾<sup>(٦)</sup> فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿ [آل عمران: ٥٩ - ٦١] . وَمُجَادَلَاتِ أَهْلِ الْكِتَابِ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ .

وَأَمَّا الْإِعْرَاضُ عَنِ الْمُكَابِرِينَ فَإِنَّمَا يَكُونُ فِي إِرْشَادِ الدَّعْوَةِ بَعْدَ التَّبْلِيغِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَهُ بِالْإِعْرَاضِ بَعْدَ أَنْ أَمَرَهُ بِالتَّبْلِيغِ؛ إِذْ قَالَ: ﴿ فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر: ٩٤] .

وَأَمَّا فِي الْإِرْشَادِ إِلَى حُسْنِ الْأَخْلَاقِ، وَفِعْلِ الْخَيْرَاتِ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُرْشِدُ بَعْضًا، وَيُعْرِضُ عَنْ بَعْضٍ بِحَسَبِ مَا يَرْجُوهُ مِنَ الْقَبُولِ وَالتَّائُرِ . وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْإِعْرَاضِ وَالْإِرْشَادِ فِي كِتَابِهِ إِلَى مُسَيْلَمَةَ بْنِ حَبِيبِ الْحَنْفِيِّ، الْمُلقَّبِ بِالْكَذَّابِ، فَإِنَّ مُسَيْلَمَةَ كَتَبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: « إِنَّ لِي نَصْفَ الْأَرْضِ، وَلَكَ نِصْفُهَا، وَلَكِنْ قَرِيشًا قَوْمٌ يَعْتَدُونَ » . فَكَتَبَ

إِذَا مَسَّحَلُ سَدَى لِي الْقَوْلُ أَنْطَقُ

وهذا الزعم هو الذي عناه المرعي بقوله:

رأوا حسنا عهدوه من صنعة الجن

وقد كان أربابُ الفصاحة كلما

(١) ابن هشام، السيرة النبوية (١ / ٢٩٦) طبعة دار الجليل.

إليه رسول الله ﷺ: « إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ »<sup>(١)</sup>.

وأما شكّل الإرشاد فقد استوعب الإشارة إليه قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، فَعِرَّةٌ عَنَّتِ النَّاسَ عَلَيْهِ مِمَّا يَبْعَثُهُ إِلَى تَعْجِيلِ الْإِرْشَادِ إِلَيْهِمْ، وَإِكْثَارِهِ مِنْهُ فِي كُلِّ مُشَاهَدَةٍ تَقْصِيرٍ أَوْ تَوْقُوعِهِ. وقد وَرَدَ فِي صِفَةِ مَجْلِسِهِ ﷺ أَنَّهُ مَجْلِسٌ حَيَاءٍ وَعِلْمٍ.

وأما صِفَةُ الْحِرْصِ فَهِيَ بَاعِثَةٌ عَلَى تَوَخُّحِي إِبْعَاءِ السَّامِعِينَ كَلَامَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ الْحَدِيثَ، لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ أَحْصَاهُ، وَكَانَ إِذَا تَكَلَّمَ بِالْكَلامِ فِي الدِّينِ وَالْإِرْشَادِ أَعَادَ الْكَلَامَ ثَلَاثًا. وَرَوَى دَاوُدُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: كَانَ فِي كَلَامِ رَسُولِ اللَّهِ تَرْتِيلٌ؛ أَي: تَبْعِيدٌ بَيْنَ الْجُمْلِ فِي النَّطْقِ لِإِعْيَابِ السَّامِعُونَ. وَقَدْ وَرَدَ أَنَّهُ لَوْ شَاءَ أَنْ يَكْتُبَ أَحَدٌ كَلَامَهُ لاسْتَطَاعَ ذَلِكَ. وَمِنْ مَعْنَى الْحِرْصِ عَلَى بَلُوغِ الْإِرْشَادِ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: « نَضَّرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّها كَمَا سَمِعَها، فَرُبَّ حَامِلٍ فَفَهُ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فَفَهُ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِفَقِيهِ »<sup>(٢)</sup>، وَفِي رِوَايَةٍ: « قُرْبٌ مُبْلَغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ »<sup>(٣)</sup>. وَأما نَفْوَذُ الْإِرْشَادِ فِي نَفْسِ الْمُرْشِدِينَ، فَذَلِكَ تَابِعٌ لِنَفَاوَتِ اسْتِعْدَادِهِمْ. وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ [النمل: ٨٠]، وَدُونَ مَا تَضَمَّنَتْهُ هَذِهِ الْآيَةُ مَرَاتِبٌ مُتَكَاثِرَةٌ تَرْجِعُ إِلَى ثَلَاثِ رُتَبٍ.

وَلَمْ أَرْ كَلَامًا أَفْصَحَ وَأَجْمَعَ لِهَذِهِ الرُّتَبِ الثَّلَاثِ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « مَثَلُ مَا بَعْثَنِي اللَّهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَّاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَتَنَعَّ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرَبُوا، وَسَقَوْا، وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيَعَانٌ<sup>(٤)</sup> لَا تَمْسِكُ مَاءً وَلَا تَنْبِتُ كَلًّا، فَذَلِكَ مِثْلُ مَنْ فُقِّهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ مَا بَعْثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمِثْلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسَلْتُ بِهِ »<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢ / ٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود في العلم، باب فضل نشر العلم (٣٦٦٠) طبعة دار الفكر بتحقيق محي الدين عبد الحميد.

(٣) أخرجه البخاري، في العلم، باب قول النبي ﷺ: رب مبلغ أوعى من سامع (٦٧) بترقيم ديب البغا.

(٤) النقيّة الطيبة من الأرض. والكلام مهموز الآخر من دون مدّ هو المرعى الغليظ، والعُشْبُ بضمّ العين، وضمّ الشين: المرعى الرطب الخفيف، فإذا هاج فهو حشيش، والأجاديب بالذال المهملة، جمع جذب بفتح الجيم والذال، وهي الأرض التي تقرّ فيها المياه ولا تنبت شيئاً، والقيعان بكسر القاف جمع قاع، وهو الأرض المستوية التي لا تمسك الماء.

(٥) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (٧٩).

## الرسول ﷺ والإرشاد (٢) (١)

### صفة إرشاد الرسول:

ظَهَرَ فِي الْعَالَمِ مِنْذُ النِّشْأَةِ مُرْشِدُونَ كَثِيرُونَ. مِنْهُمْ الْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ الَّذِينَ كَانَ إِرْشَادُهُمْ عَنْ وَحْيِ إِيَّاهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ فَصَّصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، وَقَالَ: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وَمِنْهُمْ مُرْشِدُونَ عَنْ رَأْيٍ وَحِكْمَةٍ، وَنَظِيرٍ وَتَجْرِبَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، وَأُولَئِكَ هُمُ الْحُكَمَاءُ الْأُمَمُ وَمُرْشِدُوهُمْ، مِثْلُ: لِقْمَانَ وَسُقْرَاطَ وَأَفْلَاطُونَ. وَمِنْهُمْ مُرْشِدُونَ خَلَعُوا ضَلَالَاتِ أَقْوَامِهِمْ وَتَطَلَّبُوا الْحَقَّ، فَبَلَّغُوا إِلَى صِبَابَةٍ مِنْهُ، لَمْ تَرَوْهَا بِهَا نَفْسُهُمْ، بَلْهُ أَنْ يَشْفُؤُوا غَلَّةَ غَيْرِهِمْ، وَهَؤُلَاءِ مِثْلُ مَنْ ظَهَرَ فِي الْعَرَبِ مِنْ طُلَّابِ الْحَقِيقَةِ، مِثْلُ: زَيْدِ بْنِ عَمْرٍو وَبْنِ نُفَيْلٍ، وَأُمِيَّةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ، وَوَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، وَقَسِ بْنِ سَاعِدَةَ. أَمَّا إِرْشَادُ الرَّسُولِ ﷺ فَهُوَ أَشْرَفُ مِنْ إِرْشَادِ أُولَئِكَ كُلِّهِمْ، لِامْتِيَازِهِ بِوَصْفَيْنِ، هُمَا: الْعُمُومُ وَالْكَمَالُ.

أَمَّا عُمُومُ إِرْشَادِهِ، فَهُوَ أَشْرَفُ لِعُمُومِ رِسَالَتِهِ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ بَعْدَ بَعْثَتِهِ إِلَّا وَهُوَ مَدْعُوٌّ بِدَعْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكُلُّهُمْ بِمَعْرُضٍ تَلْقَى الْإِرْشَادَ الدِّينِيَّ وَالْأَخْلَاقِيَّ مِنْ صَاحِبِ الدَّعْوَةِ الْعَامَّةِ. وَلِذَلِكَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَدَّخِرُ عَنْ أَحَدٍ إِرْشَادًا مَدَّةَ حَيَاتِهِ الْمُبَارَكَةِ، ثُمَّ تَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ الْإِرْشَادَ مَا حَوَاهِ الْقُرْآنُ وَصَحِيحُ الْأَثَارِ.

تَصَدَّى الرَّسُولُ لِلْإِرْشَادِ الْعَامِّ بِنَفْسِهِ، فَأَرشَدَ أَهْلَهُ، وَأَهْلَ بِلَادِهِ، وَقَوْمَهُ، وَجَمِيعَ الْعَرَبِ: الْمُضَرِّيَّةَ وَالْقَحْطَانِيَّةَ. وَأَرشَدَ الْأُمَّمَ: مِنَ الْفَرَسِ وَالرُّومِ وَالْحَبْشَةَ وَالْقِبْطَ. وَكَانَ الْعَالَمُ يَوْمَئِذٍ هُوَ مَجْمُوعُ هَذِهِ الْأُمَّمِ، وَمَنْ يَنْدَرِجُ تَحْتَهَا مِنَ الْأُمَّمِ الصَّغِيرَةِ التَّابِعَةِ لَهَا، عَدَا الصِّينَ وَالْهِنْدَ وَالْمَغُولَ، فَقَدْ كَانَتْ أُمَّمًا فِي عِزْلَةٍ عَنِ الْعَالَمِ، فَلَا طَمَعَ فِي مَخَاطَبَتِهَا.

وَأَمَّا كِمَالُ الْإِرْشَادِ النَّبَوِيِّ، فَمَعْنَاهُ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ تَوَلَّى الْإِرْشَادَ بِجَمِيعِ الطَّرِيقِ وَالْكَفِيَّاتِ الَّتِي هِيَ مَطْنَةُ التَّأثيرِ فِي نَفُوسِ الْمُرْشِدِينَ.

(١) ورد هذا المقال بعنوان الرسول والإرشاد، مجلة الهداية، إبريل (١٩٧٥م) (ص ٢٧ - ٣٠). (ويرجع أنه كتب سنة ١٩٣٣م).



فأرشدَ بالقول وبالفعل، وبالتصريح والتعريض، وباللفظ والكتابة والإشارة، وفي حالتي الحضور والسفر، وفي حالتي الصحة والمرض. كل ذلك بنفسه.  
وأرشدَ بالوسائط: بتوجيه المعلمين، والقضاة والمبشرين وإقامة المُسمَّعين.  
\* الإرشادُ بالقول هو أهمُّ طرق الإرشاد. وفيه تظهرُ صفاتُ الرسول ومُميزاته.  
وهو أيضًا أبقى طرق الإرشاد، فإنَّ فيه:

- الإرشادُ بالقرآن، وهو أنفذُ كلام في الإرشاد؛ لأنَّه فاقَ أفضلَ كلام العرب، وكان أدخلَ في نفوسهم من كلِّ كلام بليغٍ حكيم، لما تفرَّدَ به القرآن من غاية حُسن التأليف في نسج الكلام، والتثام الكلم، والفصاحة ووجوه الوعظ والبلاغة، حتَّى بلغ الحدَّ الذي أعجزَ فصحاء العرب وبلغاءهم عن معارضته، مع تحديه إيَّاهم بمعارضته في مُدة علواتهم في الكفر به، وعنادهم في قبول دعوة الإسلام، ودعاهم إلى الإتيان بسورةٍ مثله، وأنذَرهم مع ذلك بأنهم غير فاعلين، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٣، ٢٤].

فأعرضوا عن ذلك عجزًا، مع ما عرفوا به من القدرة الفائقة، وهم فرسان البلاغة، وقالة الأمم، وخطباء العالم، قد ملكوا قياد المعاني، وبرعوا في بدهة التعبير.  
ثم إنَّ الله خصَّه بما يأخذ سامعيه من الروعة والمهابة لسماعه، والجلالة التي تعشى النفس عند قراءته، وأنَّه لا يملُّه قارئه ولا سامعه، وأنَّه لا تنفد معانيه بتكرار التدبر.  
- وإنَّ من الإرشاد بالقول عدا القرآن إرشادًا عظيمًا، وهو أقوال الرسول في خطبه، ونصائحه ومواعظه، ومُحادثاته، ومُجادلاته، في حال الرضا والغضب، ومع الأصحاب ومع الأعداء. وهي مع اختلاف أساليبها وكثرة أعاجيبها، قد اشتركت:

في جِزالة المعاني ووفرتهَا، وفي فصاحة الألفاظ وإيجازها، وقد أتاه الله تعالى من الفصاحة والبلاغة ما هو قريبٌ من بلاغة وفصاحة القرآن، وقد قال ﷺ: «أنا أفصح من نطق بالضاد»<sup>(١)</sup>، وفي رواية: «أفصحُ العرب، بيدَ أنِّي من قريشٍ، واسترُضعت في بني سعدٍ»<sup>(٢)</sup>.  
وكانت لغة أهل الحجاز وتِهامة أفصح لغات العرب، وقريش كانوا أفصح أهل

(١) السخاوي، المقاصد الحسنة (ص ٩٥)، وقال: معناه صحيح، ولكن لا أصل له كما قال ابن كثير. اهـ.

(٢) شرح السنة للبخاري (٤ / ٢٠٢). وفيه «ونشأت في بني سعد».

الحجاز، وهم أهل تهامة على الحقيقة. لِمَا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ لَهْجَاتِ الْعَرَبِ كُلِّهِمْ فِي مَوَاسِمِ الْحَجِّ، فَكَانُوا يَتَّخِضُونَ أَحْسَنَ مَا يَسْمَعُونَهُ، تَرَكَيبَ وَهْجَاتٍ، وَتَفْسُناً فِي أُسَالِيبِ أَدَاءِ الْمَعَانِي.

أما بنو سعد أظأر الرسول ﷺ فهم بنو سعد بن بكر من هوازن، قوم مرضعته حليلة بنت أبي ذؤيب عبد الله بن الحارث. وكانوا من أفصح قبائل العرب، وكانوا ينزلون بالحجاز بين يثرب وعسفان. ولغة بني سعد بن بكر هي إحدى اللغات التي نزل بها القرآن، والتي قيل إنَّها المراد بالأحرف في الحديث: « أنزل القرآن على سبعة أحرف »<sup>(١)</sup>، على أظهر تأويلات ذلك الحديث. وقد قال ﷺ: « أوتيت جوامع الكلم، واختصر لي الكلام اختصاراً »<sup>(٢)</sup>. وليس هذا المقام مقام الإتيان بشيء منها، فعلى المشوق إليها أن يتطلَّبها من مظاهرها.

\* وأما الإرشاد بالكتابة، فقد كتَّب رسول الله ﷺ إلى هرقل وكسرى ونجاشي الحبشة ومقوقس مصر. وكتَّب من ملوك العرب إلى المنذر بن ساوى ملك البحرين وإلى جيفر وعبد ابني الجلندي، ملكي عمان. وإلى هودبة بن علي ملك اليمامة. وإلى الحارث بن شمّر الغساني ملك الشام.

وكان يُرفق كتَّبه برسل يبلغونها إلى من أرسل بها إليه. فأرسل كتاب هرقل مع دحية الكلبي، ووجَّهه إلى هرقل حين حُلُوله ببيت المقدس، سنَّة ست من الهجرة. وأرسل إلى كسرى عبد الله بن حذافة السهمي. وإلى النجاشي أرسل عمرو بن أمية الضمري. وإلى المقوقس صاحب القبط، أرسل حاطب بن أبي بلتعة. والعلاء بن الحضرمي إلى ملك البحرين. وعمرو بن العاص إلى ملكي عمان. وعلي ابن عمرو العامري إلى ملك اليمامة. وشجاع بن وهب إلى ملك الشام.

هذا وقد كتَّب رسول الله ﷺ إلى غير هؤلاء كتباً، في الإرشاد إلى أحكام وإلى نظم مُبَيَّنَّة، مثل كتابه إلى عمرو بن حزم الخزرجي، حين بعَّته إلى بني الحارث بن كعب، سنَّة عشر من الهجرة، بيَّن له فيه الفرائض والسنن، والصدقات والدييات. وكتابه إلى أكيدر، صاحب دومة الجندل<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (٤٧٠٦)، ومسلم في صلاة المسافرين، باب بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه (٨١٨).

(٢) أخرجه الحافظ العسكري في الأمثال عن جعفر بن محمد عن أبيه ﷺ، مُرسلاً.

(٣) دومة الجندل (بضم الدال) أرض ذات ماء ونخيل بين الشام والمدينة، قرب تبوك، وقرب جبلي طي =

ومن تمام الإرشاد بالكتابة كتابته إلى بعض قبائل العرب بلغتهم. فكتب إلى ذي المشعار مالك بن نمط الهمداني، وإلى طهفة بن زهير النهدي، وإلى وائل بن حجر الكندي، وإلى الأشعث بن قيس الكندي، بلغات اليمن. وكتب إلى قطن بن حارثة الغليمي الكلبي كتاباً، بلغة قومه من كلب.

\* وأما الإرشاد بالإشارة، فحين تكون الإشارة أوضح وأجمع، كإشارته في قوله ﷺ: «الفتنة من ههنا» - وأشار إلى المشرق - «... حيث يطلع قرن الشيطان»<sup>(١)</sup>.

وفي الموطأ والبخاري أن الرسول ﷺ كان يُسأل يوم حجة الوداع عن الفعل من أفعال الحج، يُقدّم أو يؤخّر، فيشير بيده للسائل؛ أي: لا حرج<sup>(٢)</sup>.

وفي حديث الفطر: «إذا أقبل الليل من ههنا... - وأشار إلى المشرق - ... أدبر النهار من ههنا... - وأشار إلى المغرب - ... فقد أفطر الصائم»<sup>(٣)</sup>.

وفي الحديث الصحيح: «التقوى ههنا»<sup>(٤)</sup> ويشير إلى صدره. وقال في خطبة الوداع: «وإنّ دماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي هذه»<sup>(٥)</sup>.

وفي حديث معاذ بن جبل عليه السلام: ثم قال رسول الله ﷺ «... ألا أخبرك بملاك ذلك كله...» الإشارة إلى العمل الذي يبعد عن النار، قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه وقال: «كفّ عليك هذا»<sup>(٦)</sup>.

\* وأما الإرشاد بالفعل، فنحو صلواته على المنبر ليراه الناس. وبيانه للحجّ بالفعل. وقوله: «صلّوا كما رأيتموني أصلي»<sup>(٧)</sup>.

وفي الصحيح أنّه جاءت رسول الله ﷺ، امرأة من خثعم في حجة الوداع، وكان الفضل

= وأكيدر - بضم الهزمة وفتح الكاف - صاحبها نصراني من نصارى العرب، وهو الكندي. كان له حصن في دومة مبنى من جندل، فلذلك قيل لها دومة الجندل. أسلم سنة (٩ هـ)، وكتب له الرسول كتاباً في الصلح لقومه.

(١) أخرجه البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق (٦٦٨) بترقيم ديب البغا. ومسلم في الفتن وأشراف الساعة، باب الفتنة من المشرق من حيث يطلع قرنا الشيطان (٢٩٥).

(٢) أخرجه البخاري في الحج، باب الذبح قبل الحلق (١٦٣٥) بترقيم ديب البغا.

(٣) أخرجه البخاري في الصوم، باب متى يحل فطر الصائم (١٨٥٣) بترقيم ديب البغا.

(٤) أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم (٢٥٦٤).

(٥) أخرجه مسلم في الحج، باب حجة النبي ﷺ (١٢١٨).

(٦) أخرجه الترمذي في الإيمان، باب حرمة الصلاة (٢٦١٦)

(٧) أخرجه البخاري في الأذان، باب الأذان للمسافر (٦٥٥) بترقيم ديب البغا.

ابن عَبَّاسٍ رَدِيفَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ الْفَضْلُ رَجُلًا وَضِيئًا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُ وَجْهَ الْفَضْلِ بِيَدِهِ دَفْعًا لِلْفِتْنَةِ بَيْنَهُمَا.

\* وَأُرْسِدَ بِالنَّصْرِیحِ وَهُوَ الْكَثِيرُ.

\* وَأُرْسِدَ بِالتَّعْرِیضِ، حَيْثُ لَا يَكُونُ لِلتَّصْرِیحِ فَائِدَةٌ زَائِدَةٌ، كَقَوْلِهِ: « مَا بَالَ أَقْوَامٌ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ؟ »<sup>(١)</sup> وَقَوْلِهِ: « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَّ بِحَطْبٍ فَيَحْطِبُ فِيحْطِبُ، ثُمَّ أَخْتَلَفَ إِلَى رَجَالٍ فَأَحْرَقَ عَلَيْهِمْ بِيَوْمِهِمْ. وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ يَعْلَمُ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَرَقًا<sup>(٢)</sup> سَمِينًا أَوْ مِرْمَاتَيْنِ حَسَنَتَيْنِ، لَشَهِدَ الْعِشَاءَ مَعَ الْجَمَاعَةِ »<sup>(٣)</sup>.

\* وَالإِرْشَادُ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ بَيِّنٌ:

وَقَدْ سَافَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَجْلِ الإِرْشَادِ، مِثْلَ سَفَرِهِ لِعَرْضِ نَفْسِهِ عَلَى الْقِبَائِلِ، وَمَا الْهَجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ إِلَّا أَكْبَرُ سَفَرٍ لِأَجْلِ الإِرْشَادِ.

\* وَإِرْشَادٌ بِوَسْطَةِ الرُّسُلِ، فَبَعَثَ رَسُولًا مَعَ كُتُبِهِ إِلَى الْمُلُوكِ وَكُبَرَاءِ الْعَرَبِ كَمَا تَقَدَّمَ آنفًا.

وَأَرْسَلَ مُصْعَبَ بْنَ عَمِيرِ الْعَبْدَرِيِّ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ لِيَقْرَأَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ وَالذِّينِ، فَكَانَ مُصْعَبٌ يُسَمَّى بَيْنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِالْمُقْرَى.

وَأَرْسَلَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا وَمَعْلَمًا. وَأَرْسَلَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ لِيُرْشِدَهُمْ فِي فَصْلِ أَشْيَاءَ بَيْنَهُمْ. وَعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ الْيَمَانِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أُبْعَثَ قَوْمًا فِي النَّاسِ مُعَلِّمِينَ، يُعَلِّمُونَهُمُ السَّنَةَ، كَمَا بَعَثَ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْحَوَارِيِّينَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ »<sup>(٤)</sup>، ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي التَّارِيخِ.

وَأَرْسَلَ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ، وَأَوْصَاهُ أَنْ لَا يَدْعَ تَمَثَالًا إِلَّا طَمَسَهُ، وَلَا قَبْرًا مُسْتَمًّا إِلَّا سَوَّاهُ<sup>(٥)</sup>. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَرْسَلَ عَمْرُو بْنَ حَزْمِ الْخَزْرَجِيِّ إِلَى بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ؛ لِيُعَلِّمَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُفَقِّهَهُمْ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الشُّرُوطِ، بَابِ الْمَكَاتِبِ وَمَا لَا يَجِلُّ مِنَ الشُّرُوطِ الَّتِي تَخَالَفُ كِتَابَ اللَّهِ (٢٥٨٤) بِتَرْقِيمِ دَيْبِ الْبَغَا. وَمُسْلِمٌ فِي الْعَتَقِ، بَابِ إِذَا الْوَلَاءُ لِمَنْ أَعْتَقَ (١٥٠٤).

(٢) الْعَرَقُ (بِفَتْحٍ وَسُكُونِ الرَّاءِ) الْعِظْمُ عَلَيْهِ بَقِيَّةُ اللَّحْمِ. يُقَالُ: تَعَرَّقَ الْعِظْمُ إِذَا نَهَشَ أَوْ أَكَلَ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ. وَالْمِرْمَاةُ (بِكَسْرِ الْمِيمِ) مَا بَيْنَ ظَلْفَيْ الشَّاةِ مِنَ اللَّحْمِ.

(٣) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي الْجَمَاعَةِ وَالْإِمَامَةِ، بَابِ وَجُوبِ صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ (٦١٨) بِتَرْقِيمِ دَيْبِ الْبَغَا.

(٤) ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ (٤٤ / ٦٩) طَبْعَةُ دَارِ الْفِكْرِ، بِيْرُوتَ.

(٥) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي الْجَنَائِزِ، بَابِ جَعْلِ الْقَطِيفَةِ عَلَى الْقَبْرِ (٩٦٩). وَفِيهِ: « وَلَا قَبْرًا مُشْرَفًا ».

في الدين، وذلك سنة عشر من الهجرة.

ومن لواحق الإرسال للإرشاد: إقامة المُسْمِع بالإرشاد. فقد وردَ في صحيح الآثار، أن رسول الله ﷺ لما خطب يوم الحج الأكبر خطبته الجامعة في حجة الوداع، أقام ربيعة ابن أمية بن خلف يصرخ في الناس بقول رسول الله ... يقول رسول الله: أيها الناس كذا وكذا، فيقول ربيعة: إن رسول الله يقول كذا وكذا.

ومن هذا أيضًا إرساله عليًا ؑ مع أبي بكرٍ ؑ في حجة أبي بكر، سنة تسع، وعليّ ينادي في الناس بسورة براءة، ثم ينادي: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان<sup>(١)</sup>.

وأرشد رسول الله ﷺ في حال صحته، وهو أكثر ما جاء من إرشاده، وأرشد في حال المرض، فلم يدع من أوقات حياته المباركة وقتًا إلا أرشد فيه.

ففي الصحيح، أنه قال في مرضه: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ»<sup>(٢)</sup>، يُحَدِّثُ مِمَّا صَنَعُوا. وَذَكَرَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي نِسْوَةٍ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ، كَنِيسَةً رَأَتْهَا فِي بِلَادِ الْحَبَشَةِ، فَذَكَرْنَ حُسْنَهَا وَصُورَافِيهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُولَئِكَ قَوْمٌ إِذَا مَاتَ فِيهِمُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ جَعَلُوا لَهُ صُورَةً، ثُمَّ عَبَدُوا تِلْكَ الصُّورَةَ، وَأُولَئِكَ شِرَارُ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

وعن أنس بن مالك، ورواه صاحب الجامع الكبير، كان آخر ما أوصى به النبي ﷺ أن قال: «الصَّلَاةُ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»، حَتَّى جَعَلَ يُعْرِغُ بِهَا فِي صَدْرِهِ، وَمَا يَكَادُ يَفِيضُ بِهَا لِسَانُهُ<sup>(٤)</sup>. وَكَذَلِكَ أَمْرُهُ ﷺ فِي مَبْدَأِ مَرَضِهِ بِأَنْ يَأْمُرُوا أَبَا بَكْرٍ لِيَصِلِيَ بِالنَّاسِ<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الحج، باب لا يطوف بالبيت عريان ولا يحج مشرك (١٥٤٣) بترقيم ديب البغا.  
(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ وأبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - (١٣٢٤) بترقيم ديب البغا، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٥٣٠).  
(٣) أخرجه البخاري في أبواب المساجد، باب الصلاة في البيعة (٤٢٤) بترقيم ديب البغا، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد (٥٢٨).  
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٢١٦٩) بترقيم مؤسسة الرسالة وتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين.  
(٥) أخرجه البخاري في كتاب الجماعة والإمامة، باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة (٦٤٦) بترقيم ديب البغا، ومسلم في الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض وسفر وغيرهما من يصلي بالناس (٤٢٠).

## الرسول ﷺ والإرشاد ( ٣ ) (١)

هذه الحلقة هي الثالثة والأخيرة من مقال كان أعدّه منذ حوالي أربعين عامًا شيخُ علماء تونس، العلامة المرحوم الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

لقد وجدنا في هذا المقال الجليل كنزًا من المعارف الإسلامية، وذخيرة من السيرة النبوية الشريفة، انتخبنا منها لِقْرَأَتِنَا الأكارم في أول عددٍ أصدرناه من « الهداية » بضع صفحات، وعدنا إليها فنشرنا منها في فرصة ثانية صفحاتٍ أخرى، ثم عَزَّ عَلَيْنَا أَنْ نُضِنَ بما بقي من صفحاتها على القُرَّاء، خصوصًا وهو يتماشى مع مُناسَبَةِ صدور عددنا هذا، بمناسبة المَوْلِدِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَى صَاحِبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، فَأَثَرْنَا نَشْرَهَا، مُنْهِينَ بِهَا مَقَالَ الشَّيْخِ، رَحِمَهُ اللَّهُ وَنَفَعَ بِهِ.

### خواصُّ الإرشاد النبوي:

بلوغُ الإرشادِ النَّبَوِيِّ غَايَةَ الكَمَالِ والعُموم، وما تَفَرَّعَ عَن ذَلِكَ، يُعَدُّ من خَوَاصِّه لَا مَحَالَةَ. ولكنَّ العَرَضَ من بَحْثِنَا هنا عن خَوَاصِّ أوصافه التي لا يُدَانِيهِ غَيْرُهُ في أَصْلِهَا، بَلْ نِهَائِيَّتِهَا وتلك هي: العِصْمَةُ من الخَطَأِ فِيهِ، وتناولُهُ لما سَيَقَعُ في الزَّمانِ المُسْتَقْبَلِ.

فَالعِصْمَةُ عَن الخَطَأِ من تَوَابِعِ صِفَةِ الرِّسَالَةِ. وَلَمَّا كَانَ الإرشادُ كُلُّهُ دائِرًا بَيْنَ تَبْلِيغِ الشَّرِيعَةِ وَبَيْنَ ما يُكْمَلُ ذَلِكَ مِن تَهْذِيبِ النُّفُوسِ وإِصْلاحِهَا، وَهَذَا النَّوعُ لَهُ مَزِيدُ اتِّصَالٍ بالإرشادِ التَّشْرِيعِيِّ؛ لِأَنَّ تَطْهِيرَ النُّفُوسِ أَوَّلَ عَوْنٍ عَلَى قَبُولِ الإرشادِ التَّشْرِيعِيِّ، وَعَلَى دَوَامِ العَمَلِ بِهِ، وَكَانَ مُكْمَلًا لَهُ، لَزِمَ أَنْ يَثْبُتَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ما ثَبَّتَ لِأَصْلِهِ، لِئَلَّا يَعودَ عَلَى أَصْلِهِ بِالنَّقْصِ أو بِالنَّقْضِ.

فَعَلَى الأَصْلِ الثَّابِتِ في الشَّرِيعَةِ، وَهُوَ أَصْلُ عِصْمَتِهِ ﷺ مِنَ الخَطَأِ في التَّبْلِيغِ، وَهُوَ أَصْلٌ قَدْ أَجْمَعَ عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الأُمَّةِ قَاطِبَةً، نَبِيٌّ أَصْلَنَا الَّذِي نُقَرَّرُهُ هنا، وَهُوَ عِصْمَتُهُ ﷺ مِنَ الخَطَأِ في الإرشادِ، غَيْرِ الرَّاجِعِ إِلَى التَّبْلِيغِ وَالتَّشْرِيعِ؛ لِأَنَّهُ - حَيْثُ كَانَ العَرَضُ مِنْهُ إِصْلاحِ النُّفُوسِ - وَجِبَ أَنْ تَثْبُتَ لَهُ العِصْمَةُ فِيهِ مِنَ الخَطَأِ؛ إِذِ الخَطَأُ في إِصْلاحِ النُّفُوسِ يُؤوِلُ إِلَى فَسادِهَا فَتَتَبَاعَدُ عَن الحَقِّ، وَذَلِكَ يَتَّبَعُ بِهَا عَنِ العَمَلِ بِالحَقِّ، المَنَافِي

(١) صدر هذا المقال بعنوان: الرسول ﷺ والإرشاد، في مجلة الهداية، مارس (١٩٧٧م) (ص ١٢ - ١٥).

لِمَوْقِفِ الْمُشْرِعِ. وَقَد رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْتُبُ كُلَّ مَا أَسْمَعُ عَنْكَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: فِي الرِّضَا والغَضَبِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، فَإِنِّي لَا أَقُولُ فِي ذَلِكَ كَلِمَةً إِلَّا حَقًّا»<sup>(١)</sup>.

وَتَنَاوَلُ الإِرْشَادَ النَّبَوِيَّ لِمَا سَيَقَعُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ هُوَ مِنْ تَوَابِعِ صِفَةِ النَّبَوَّةِ؛ إِذْ هُوَ لَا يَكُونُ إِلَّا عَن وَحْيٍ، وَهَذَا النَّوْعُ هُوَ أَقْلُ أَنْوَاعِ الإِرْشَادِ.

وَحِكْمَةٌ تَقْلِيلُهُ التَّادِبُ مَعَ عَلَامِ الْغُيُوبِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾<sup>(٢)</sup> إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ ﴿[الجن: ٢٦، ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

فَإِذَا أُوحِيَ إِلَيْهِ بِغَيْبٍ لِيَعْلَمَهُ، اقْتَصَرَ عَلَى عِلْمِهِ، وَإِذَا أُذِنَ لَهُ فِي إِبْلَاغِهِ أَبْلَغَهُ بِمِقْدَارِ الْحَاجَةِ وَالتَّحْذِيرِ. وَهَذَا الإِرْشَادُ مِنْهُ يَعْزَمُ الْأُمَّةَ كُلَّهَا. وَمِنْهُ مَا يَخْتَصُّ بِبَعْضِهَا.

فَمِنَ الْأَوَّلِ قَوْلُهُ فِي خُطْبَةِ حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا مِنِّي أَبِينُ لَكُمْ، فَإِنِّي لَا أُدْرِي لَعَلِّي لَا أَلْفَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هَذَا»<sup>(٣)</sup>، فَصَدًّا لِحُثِّهِمْ عَلَى تَلَقِّي الدِّينِ وَالهُدَى، مَا دَامُوا مَعَهُ.

وقوله: «وَيُنَلِّدُ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدْ اقْتَرَبَ، فَتُفْتَحُ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ هَكَذَا»<sup>(٤)</sup>، وَعَقْدُ تَسْعِينَ، يُنَبِّئُ الْعَرَبَ لِحُطْرَةِ فِتْنَةِ الْمَغُولِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَلِذَلِكَ شَوَاهِدٌ كَثِيرَةٌ لَا تُطِيلُ بِاسْتِقْصَائِهَا مِنْ كُتُبِ السَّنَةِ.

وَمِنَ الثَّانِي، مَا خَصَّ بِهِ بَعْضَ أَصْحَابِهِ مِنَ الْبَشَرِ، فَفِي الصَّحِيحِ عَن حُدَيْفَةَ قَالَ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ وَفِيهِ دَخْنٌ». قُلْتُ: وَمَا دَخْنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هُدًى، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنَكِّرُ». قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاءٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «هُمُ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟

(١) أخرجه بنحوه الإمام أحمد في المسند (٧٠٢٠) بترقيم مؤسسة الرسالة وتحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرين.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي، ح (١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب اقتراب الفتن وفتح ردم يأجوج ومأجوج (٢٨٨٠).

قَالَ: « تَلَزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ ». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ؟ قَالَ: « فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرْقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُذْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ »<sup>(١)</sup>.

وَلَمَّا سَأَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ أَهْلَ مَجْلِسِهِ: أَيُّكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ مَوْجَ الْبَحْرِ؟ قَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّكَ عَلَيْهِ - أَي: عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - لَجَرِيٌّ.

وَقَالَ لَهُ حُذَيْفَةُ: إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُغْلَقًا. قَالَ عُمَرُ: يُكْسَرُ أَمْ يُفْتَحُ؟ قَالَ: يُكْسَرُ. قَالَ عُمَرُ: إِذَنْ لَا يُعْلَقُ أَبَدًا. فَلَمَّا رَوَى حُذَيْفَةُ هَذَا بَعْدَ قَتْلِ عُمَرَ، سَأَلُوهُ عَنِ الْبَابِ فَقَالَ: هُوَ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ: أَكَانَ عُمَرُ يَعْلَمُ الْبَابَ؟ قَالَ: نَعَمْ، كَمَا يَعْلَمُ أَنْ دُونَ عَدِ لَيْلَةَ، وَذَلِكَ أَنِّي حَدَّثْتُهُ حَدِيثًا لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ.

لَمحة من تاريخ الإرشاد النبوي:

يَبْتَدِئُ تَارِيخُ الْإِرْشَادِ النَّبَوِيِّ بِابْتِدَاءِ الْبَعِثَةِ النَّبَوِيَّةِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَاعْظَا وَلَا خَطِيْبًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكَلِمَةُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [ الشورى: ٥٢ ].

وَقَدْ كَانَتْ الْبَعِثَةُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ سِتْمِائَةِ وَعِشْرِينَ مِنْ مَوْلِدِ الْمَسِيحِ، وَهِيَ سَنَةٌ ثَلَاثَ عَشْرَةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ. فَدَعَا وَأَرْشَدَ خَدِيجَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - ثُمَّ دَعَا النَّاسَ، فَأَمَّنَ أَبُو بَكْرٍ، وَعَلِيٌّ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ. فَكَانَ جَمَلُهُ مِنْ تَلَقُّوْا فِي مُدَّةِ شَهْرٍ: نَيْفًا وَخَمْسِينَ، بَيْنَ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ.

وَكَانَتْ الدَّعْوَةُ وَالْإِرْشَادُ فِي سِرٍّ وَخَفَاءٍ، ثُمَّ أَمَرَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِإِعْلَانِ دَعْوَتِهِ فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ: ﴿ فَاصْبِرْ بِمَا تَوَمَّرُ ﴾ [ الحجر: ٩٤ ]، وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ مِنَ الْبَعِثَةِ، فَجَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ. وَأَوَّلُ مَنْ جَهَرَ بِالْقُرْآنِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَظَهَرَتْ قُرَيْشٌ مُنَاوَأَةً دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ. وَكَانَ أَبُو طَالِبٍ يَذُودُ قُرَيْشًا عَنْ أَدَى الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ. وَلِحَقِّ أَذَى قُرَيْشِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَأَذِنَ النَّبِيُّ ﷺ لَهُمْ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، سَنَةَ خَمْسٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ.

ثُمَّ ابْتَدَأَ الْإِسْلَامُ يَفْشُو، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ، وَرَأَوُا تَعَرُّضَ أَبِي طَالِبٍ لَهُمْ فِي

(١) أخرجه البخاري في الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة (٦٦٧٣) بترقيم ديب البغا.



أَنْ يَنَالُوا رَسُولَ اللَّهِ بِسُوءِ إِتْمَارِهِمْ، وَتَعَاقدُوا عَلَى قِطْعَةِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، وَكَتَبُوا فِي ذَلِكَ كِتَابًا وَعَلَّقُوهُ فِي بَطْنِ الْكَعْبَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى : بِصَحِيفَةِ الْقِطْعَةِ.

وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ سَنَةَ ثَلَاثٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فَعَرَّضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ عَلَى بَعْضِ قِبَائِلِ الْعَرَبِ، لِيَنْصُرُوهُ مِنْ قُرَيْشٍ، حَتَّى يُبْلَغَ أَمْرَ اللَّهِ، فَابْتَدَأَ بِثَقِيفٍ فِي بَلَدِهِمُ الطَّائِفِ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُمْ خَيْرًا، ثُمَّ عَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَى كِنْدَةَ وَكَلْبٍ وَبَنِي حَنِيفَةَ وَبَنِي عَامِرٍ، حِينَ يَلْقَاهُمْ فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، فَكَلَّمَهُمْ هَابُوا قُرَيْشًا.

وَعَرَّضَ نَفْسَهُ عَلَى نَفَرٍ مِنْ سَادَةِ الْعَرَبِ مِثْلَ : الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيقِ الثَّقَفِيِّ، وَسُهَيْلِ بْنِ عَمْرِو الْعَامِرِيِّ، وَالْمُطْعَمِ بْنِ عَدِيِّ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَسُوَيْدِ بْنِ الصَّامِتِ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ، إِلَى أَنْ قَيَّضَ اللَّهُ لِنُصْرَةِ الرَّسُولِ أَهْلَ الْمَدِينَةِ، يَثْرِبَ، حِينَ لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْسِمِ سَنَةِ ثَلَاثٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، سِتَّةَ رِجَالٍ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَالْأَوْسِ، فَدَعَاهُمْ وَأَرْشَدَهُمْ، فَاقْبَلُوا وَوَعَدُوا بِإِبْلَاحِ قَوْمِهِمْ.

وَفِي الْعَامِ الْقَابِلِ، أَيِ : عَامِ اثْنَيْنِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، وَفِي مَوْسِمِ الْحَجِّ، قَدِمَ اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا، مِنَ الْخَزْرَجِ وَالْأَوْسِ وَأَحْلَافِهِمْ. فَلَقُوا الرَّسُولَ بِالْعَقَبَةِ، وَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، وَأَرْسَلَ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرِ الْعَبْدَرِيِّ، الْقُرَشِيِّ، لِيُقْرِئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُفَقِّهَهُمْ فِي الدِّينِ، فَكَانَ مُصْعَبٌ يَلْقُبُ فِي الْمَدِينَةِ بِالْمُقْرِئِ. وَكَانَ ذَلِكَ مَبْدَأَ بَثِّ الْإِرْشَادِ فِي الْأَمَاكِنِ النَّائِيَةِ عَنِ الْمُرْشِدِ الْأَكْبَرِ.

وَتُسَمَّى هَذِهِ الْبَيْعَةُ « بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الْأُولَى ». ثُمَّ كَانَتْ « بَيْعَةُ الْعَقَبَةِ الثَّانِيَةِ » فِي الْعَامِ الْمُوَالِي، عَامٍ وَاحِدٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ، فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ. وَجُمْلَةٌ مِّنْ شَهَدَ هَذِهِ الْبَيْعَةَ الثَّانِيَةَ ثَلَاثَةٌ وَسَبْعُونَ رَجُلًا وَأَمْرَاتَانِ.

وَأُذِنَ لِلَّهِ لِرَسُولِهِ وَالْمُؤْمِنِينَ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ. وَبِالْهِجْرَةِ أَصْبَحَ الْإِرْشَادُ خَالِصًا مِنْ تَنْكِيدِ الْأَعْدَاءِ، إِلَّا مَا بَقِيَ مِنْ مَكْرِ الْمُنَافِقِينَ وَالْيَهُودِ بِالْمَدِينَةِ.

وَأَقِيمَ لِلْإِرْشَادِ مَسْجِدُ قُبَاءَ، وَمَسْجِدُ بَنِي سَالِمٍ، ثُمَّ مَسْجِدُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَزَادَ فِي الْإِرْشَادِ طَرِيقَ الْخَطَابَةِ.

وَأُذِنَ لِلَّهِ لِرَسُولِهِ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الدِّينِ، لِيَدْفَعَ عَنْهُ تَهْدِيدَ الْأَعْدَاءِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَأَحْلَافِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٣٩]. إِلَى قَوْلِهِ : ﴿ وَبِاللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

فَبَثَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَايَا فِي الْجِهَاتِ الْمُجَاوِرَةِ، وَقَمَعَ حِدَّةَ قُرَيْشٍ بِيَوْمِ بَدْرٍ. وَصَارَ الْإِسْلَامُ يَنْمِي يَوْمًا فَيَوْمًا، وَالْأَمْنُ يَتَسَّعُ مَكَانًا بَعْدَ مَكَانٍ، وَالْإِرْشَادُ يَشِيْعُ تَبَعًا لِذَلِكَ النَّمَاءِ وَالِاتِّسَاعِ، حَتَّى فُتِحَتْ مَكَّةُ فِي رَمَضَانَ سَنَةِ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَخَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَرشَدَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَعَادَ الْإِرْشَادُ صَادِرًا مِنْ مَنَبِعِهِ الْأَوَّلِ. وَتَسَامَعَتِ الْعَرَبُ بِفَتْحِ مَكَّةَ وَأَنْهَزَامِ قُرَيْشٍ، وَكَانُوا فِي نَظَرِ الْعَرَبِ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُهْزَمُوا، فَعَظُمَ أَمْرُ الْإِسْلَامِ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَأَنْشَرَحَتْ صُدُورُ كَانَتْ فِي حَرَجِ التَّرَدُّدِ فِي أَمْرِ اتِّبَاعِ الْإِسْلَامِ، وَسُقِطَ فِي أَيْدِي قَوْمِ أَعْمَاهُمُ التَّعَصُّبُ وَالْمُكَابِرَةُ، فَأَنَالَتْ قِبَائِلُ الْعَرَبِ بَعْدَ الْفَتْحِ ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]، وَيَتَقَلَّبُ مَاءَ ضَمَائِرِهِمْ عَذْبًا، وَكَانَ أَجَاجًا.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْرَةَ أَصْحَابِهِ إِلَى جِهَاتِ الْعَرَبِ مُعَلِّمِينَ وَمُرْشِدِينَ، فَبَعَثَ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ إِلَى أَهْلِ نَجْرَانَ، وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ مِمَّنْ مَضَى ذِكْرُهُمْ، فَعَمَّ الْإِرْشَادُ بِلَادَ الْعَرَبِ، وَتَهَدَّبَتْ أَخْلَاقُهُمْ، وَعَلِمُوا أَنَّهَمْ كَانُوا فِي عَمَايَةٍ، فَأَصْبَحُوا فِي اسْتِنَارَةٍ.

وَلَقَدْ أَعْجَبَ أَبُو ذُرَيْبٍ الْهُدَلِيُّ إِذْ عَبَّرَ عَنْ حَالِ تَغْيِيرِ أَخْلَاقِهِمْ بِالْإِسْلَامِ فِي مَعْرِضِ الْغَزَلِ:

فَلَيْسَ كَعَهْدِ الدَّارِ يَا أُمَّ مَالِكٍ      وَلَكِنْ أَحَاطَتْ بِالرَّقَابِ السَّلَاسِلُ  
وعَادَ الْفَتَى كَالْكَهْلِ لَيْسَ بِقَائِلٍ      سَرَى الْعَدْلُ قَوْلًا فَاسْتَرَاحَ الْعَوَائِلُ

ثُمَّ جَاءَتْ وَفُودُ الْعَرَبِ مُطْبِعِينَ مُسْتَرشِدِينَ، وَحَصَلَ مِنْ لِقَاءِ عَظَمَائِهِمْ وَمُحَاوَرَاتِهِمْ بَيْنَهُمْ، بِمَحْضَرِ الرَّسُولِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ الْأَوَّلِينَ، رَشْدٌ كَثِيرٌ، وَعِلْمٌ غَزِيرٌ، وَتَوَافُقٌ وَتَقَارُبٌ، عَقِبَ مَا كَانَ مِنْ تَنَافُرٍ وَتَبَاعُدٍ.

وَتَهَيَّأَ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إِلَى أَكْبَرِ إِرْشَادٍ، بِأَنْ يَحْضُرَ بِنَفْسِهِ فِي مَوْسَمِ الْحَجِّ، فَجَهَّزَ قَبْلَ ذَلِكَ بَعَامٍ، أَبَا بَكْرٍ ﷺ لِيَحْجَّ بِالنَّاسِ سَنَةَ تَسْعٍ، وَأَرَادَ أَنْ يُطَهَّرَ ذَلِكَ الْمَوْسَمَ مِنْ بَقَايَا الْمُشْرِكِينَ، وَيُنَزِّهَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ مِنْ آثَارِهِمْ، فَأَمَرَ عَلِيًّا أَنْ يُنَادِيَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ: أَنْ لَا يَحْجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ. وَنَزَلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٧]، وَأَعْلَمَ النَّاسَ بِأَنَّهُ قَادِمٌ فِي الْحَجِّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ.

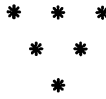
وَحَضَرَ الرَّسُولَ ﷺ بِنَفْسِهِ إِلَى الْحَجِّ سَنَةَ عَشْرِ، فَخَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي شَهْرِ ذِي الْقَعْدَةِ، وَتَوَارَدَتْ رُكْبَانُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ حَذْبٍ، فَكَانَ جُمْلَةً مَنِ حَضَرَ مَعَهُ تِلْكَ الْحَجَّةَ نَحْوَ الثَّمَانِينَ أَلْفًا، وَقِيلَ: أَكْثَرُ. وَقِيلَ: أَقْلُ. وَبَثَّ فِيهِمْ إِرْشَادًا عَظِيمًا، وَأَجْمَعُهُ مَا تَضَمَّنَتْهُ خُطْبَةُ حَجَّةِ الْوَدَاعِ الَّتِي هِيَ أَطْوَلُ خُطْبَةٍ. وَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمْتَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وَرَجَعَ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَقِيَ يَنْصَحُ الْأُمَّةَ، وَيُرْشِدُ إِلَى الْخَيْرِ.

وَأَحْسَبُ أَنَّ آخَرَ إِرْشَادِ حُفِظَ عَنْهُ ﷺ مَا رُوِيَ فِي الصَّحِيحِ عَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، فَقَالَ: وَعَظَّنَا رَسُولُ اللَّهِ مَوْعِظَةً وَجِلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقَلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةٌ مُودَّعٌ فَأَوْصِنَا. قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ﷻ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ. وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»<sup>(١)</sup>.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ آخَرَ مَا أَوْصَى بِهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، الصَّلَاةَ وَالْعَبِيدَ. وَذَلِكَ تَمَامُ الْإِرْشَادِ. وَقَدْ قَالَ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ أَخَذْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي»<sup>(٢)</sup>، وَفِي بَقَائِهِمَا دَوَامُ الْإِرْشَادِ لِلْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ.

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ.



(١) أخرجه أبو داود في السنة، باب في لزوم السنة (٤٠٦٧) طبعة دار الفكر بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) أخرجه البيهقي في الكبرى (١٠ / ١١٤) (٢٠٨٣٤).

## وفود العرب في الحضرة النبوية (١) (١)

إنَّ أحسنَ طريقةٍ تُدَوَّنُ بها السيرة النبوية أن يُصاغَ تحريرها على أسلوبِ الجَمعِ بينَ ذِكْرِ الحوادثِ واستِخلاصِ ما فيه دلالةٌ على الأخلاقِ النبويةِ المحمديةِ الكاملةِ، فْتَبَرَّرُ السيرةَ بذلكَ كأنَّها سبيكةٌ ذهبيةٌ مُرَصَّعةٌ بمختلفِ الجواهرِ النفيسةِ؛ إذ ليس بكافٍ في تعرُّفِ فضائلِ النبي ﷺ أن يُلقَّنها المسلمون بطريقةِ التقريرِ والحكايةِ، فيقال: كانَ ﷺ بحالٍ كذا وبحالٍ كذا، بل الأفضلُ أن يُمزَجَ ذلكَ بشواهدِهِ ودلائلِهِ، حتَّى يكتسبَ المُطَّلِعُ عليها خبرةً تُشبهُ الخبرةَ الحاصلةَ عن المعاينة.

ولا شكَّ أن العلمَ بشمائلِ الرسولِ ممَّا يلتحقُ بالعقائدِ. فلذلكَ، فنحنُ كما طوَلنا بأن نعرفَ صفاتِ الله بأدلتها، كذلكَ يكونُ علمنا بشمائلِ الرسولِ بدلائلها. ولقد كنت أنصحُ لمن يرتادون دروسي في مناسباتٍ فأقول لهم: إنَّ الاطلاعَ على الحديثِ والسَّيرِ ممَّا يزيدُ العالمَ به يقيناً بعظمةِ هذا الرسولِ الكريمِ، والاطلاعَ على الأوفرِ فالأوفرِ من كمالته يفوقُ ما يكتسبه المتلقي لِجَمَلِ صفاته بطريقةِ الجمعِ والسرِّ، وتُحصلُ من ذلكَ غايةٌ شريفةٌ وهي زيادةُ تَمَكُّنِ حُبِّ النبيِّ في نفسِ المؤمنِ.

فإذا كانَ الصَّحابةُ قد فازوا بمشاهدةِ الأنوارِ النبويةِ التي اخترقت قلوبهم في مُتَجَدِّدِ الأيامِ، طوليلها وقصيرها، فنالوا تلكَ المزيةَ الثابتةَ لهم بحديث: «لَوْ أَنفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدًّا أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»<sup>(٢)</sup>، فالمُطَّلِعُ على الحديثِ والسيرةِ الصحيحةِ يشاركهم في سماعِ أخبارِ تلكَ المشاهداتِ تفصيلاً في مواقعٍ مُتَعَدِّدةٍ؛ إذ في كلِّ حالٍ من أحوالِ الرسولِ ﷺ دلائلُ صادقةٌ على نُبُوَّتِهِ، واصطفائه وتأييده من عندِ الله تعالى.

ولأنَّ في استمطارِ الشيمِ النبويةِ الزكيةِ من خلالِ بُروقها الباهرة التي ظهرت في مجامعِ الوفودِ دليلاً بيِّناً على أنَّ العربَ قد علِّموا تلكَ المنزلةَ الساميةَ النبويةَ، وشمائلها الطاهرةَ، بتواترِ الأخبارِ المُفيدِ للقطعِ، فَحَصَلَ التَّمائِلُ بينَ بلوغِ دعوةِ الرسولِ وبيِّنِ شُيُوعِ فضائلِهِ؛ لأنَّ الوفودَ تشتملُ غالباً على عددٍ يَسْتَحِيلُ تَواطُؤُهُم على الكذبِ، فإخبارهم عن

(١) وردَ المقالُ في مجلةِ الهدايةِ، العدد (٤) السنة (٥) مارس (١٩٧٨م).

(٢) أخرجه البخاري في فضائلِ الصحابةِ، باب قولِ النبي ﷺ: لو كنت متخذاً خليلاً (٣٤٧٠) بترقيمِ ديبِ البغاءِ،

ومسلم في فضائلِ الصحابةِ، باب تحريمِ سبِ الصحابةِ ﷺ، رقم (٢٥٤٠).

مشاهداتهم وسماعهم يُفيد اليقين.

ولأنهم لما كانوا مُوجهين من أقوامهم، ومَجْعولين عِيَّة أسرارهم، ومُسْتَوَدَع ثقتهم، يكون ما يُسَلِّغونَه إليهم من الأخبار هم أشدُّ به ثَقَّةً وَيَقِينًا مما يبلغه أيُّ مُبَلِّغٍ آخر، كما قال الفقهاء في العَدَل الذي يُوجِّهه القاضي نائِبًا عنه: إِنَّه لا مَطْعَنَ فيه، وأصلُه من الحديث قوله ﷺ: «واغْدُوا أنيسَ على زوجة هذا، فإن اعترفت فارجمها»<sup>(١)</sup>.

ولذلك لم تَتَرَيَّتْ قبائلُ العرب عن الدخول في الإسلام بعد عَوْدَةِ وفودها إليها. فَبِذَلِكَ يَتَبَيَّنُ أنَّ شمائل الرسول وخصاله قد اخترقت في سائر الأذان بوجه لا يقبل شكًا. ومن شواهد ذلك ما وَرَدَ في الصَّحيح: أنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بن عديَّ بن الحِيار قال لعثمان ابن عفان ﷺ في كلام جرى بينهما: «وقد صحبت رسول الله، ورأيتُ هَدْيَه». فقال له عثمان: «أدركت رسول الله؟».

قال عبيد الله: «لا، ولكن خلص إلي من علمه ما يخلص إلى العذراء في خدرها». على أن يُمنَ هذه الوفود قد بدا جليًا فيما نشأ عنها من دخول قبائل في الإسلام، بواسطة ما أبلَّغهم وفودهم من تعداد فضائله. ولقد أفصح عن ذلك عباس بن مرداس ﷺ، يشكر وفد بني سليم، ويُخَلِّدُ أسماءهم، بقوله:

لا وَفَدَ كَالْوَفْدِ الْأَلَى عَقَدُوا لَنَا      سَبَبًا بِحَبْلِ مُحَمَّدٍ لَا يُقْطَعُ  
وَفَدَّ أَبُو قَطَنِ حُرَابَةٌ مِنْهُمْ      وَأَبُو الْغَيْوِثِ وَوَأَسِعُ وَالْمُقْنَعُ

ما يَتَجَلَّى في لقاء الوفود من عظيم الصفات النبوية:

من أكبر مظاهر أصالة الرأي، وأبهر دلائل عظيمة النفس، وعلو الهمة، وكمال الخلق والخلق، اقتحام المجامع، ومجاوبة الخطباء، ومحاوره هنات السائلين، وإقناع شُبه المُنتقدين، وإسكان غيظ الناقمين، ومُقابله كلِّ ما يَسْتَحِقُّه وَيَسْتَأْهله.

وقد كان لقاء الوفود عند العرب من أشدِّ مآزق أهل الرأي، وأدقِّ معايير الإصابة والبداهة، فلذلك قال لبيد مُفتخرًا:

إنَّا إِذَا التَقَّتِ المِجَامِعَ لَمْ يَزَلْ      مَنَا لِرِزَاؤِ عَظِيمَةٍ جَسْمُهَا

(١) أخرجه البخاري في الحدود، باب الاعتراف بالزنى (٦٤٤٠)، ومسلم في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنى (١٦٩٧، ١٦٩٨).

ثم قال :

وَكثيرةٌ غُرباؤها مَجْهولةٌ      تُرَجى نَوافِلُها ويُخشى ذامُها  
أُنكرتُ باطلُها وبُوتُ بحَقِّها      عندي ولم يَفخرْ عليَّ كِرامُها

ذلك أن اجتماع طائفة من قبيلة تجتمعها جوامع كثيرة، في الأخلاق والعقائد والعبادات، يُكسب جميع أفراد تلك الطائفة قوة في جميع اللّاحال النفسية التي تنطوي عليها ضماير أولئك الأفراد، بحيث تتألف من تشاركهم في ذلك الاجتماع قوى نفسية، مثلما تتألف من اتّصال بعضهم ببعض قوة ذاتية، وهي في الأمرين قوة الكثرة والمضاعفة، فإذا كان اجتماع أولئك لأجل عرضٍ مُعيّن زادت قواهم النفسية اتحادًا، للتسلط على نوال الغرض الذي لأجله اجتمعوا، وهذا مغزى مجيء الوفود في شتى الأغراض.

ومن المعروف أن قد كان في نفوس سائر العرب نجابة دعوة الإسلام تجافٍ ونفورٌ وبُغضةٌ وخلافٌ وحسدٌ، على تفاوتٍ بينهم في ذلك. فإذا كان ذلك مستقرًا في نفس كل واحد منهم، وكان دعاء الإسلام واحدًا منهم أشدّ شيء على داعية، فما ظنك بموقف الداعي إذا كان يدعو عددًا ملتئمًا من خيرة قبائلهم، من سادتهم وكبرائهم وأولي الذبّ عن حوزتهم، وأهل الفطنة منهم، الذين أكبرُ مناهم أن يُقضى على أيديهم نصر قومهم ودينهم، وأن يرجعوا إلى أوطانهم مملوئي الحقائق، بنوال الرغائب. وإنك لتجد الواحد من أهل الرأي قد يتهيأ للنظر الصحيح وتتأهب نفسه لقبول الحجة، فإذا اقتحم بين جماعة من قومه ووجدهم يابون الخضوع للحق، أخذته العزة القومية، وثقلت عليه مخالفة بقاءه رفقاءه من جهة، وخفّ عليه، من جهة أخرى، نَبذ الحق والحجة، لحلول امتناع العزة والحين إلى الإلف القديم محلّ الاعتراف بالحق والاقتراب من خلع المألوف من أجل ذلك التأثير الحاصل من توجيه جماعة لإقناع ممتنع، أو إرضاء مُغضب، أو استصفاح حقيق، أشدّ وقعًا من تأثير توجّه الواحد في ذلك الغرض ما كان هذا الواحد واضح المقدرة، أصيل الرأي، دَمَتْ الأخلاق، وقد قال الله تعالى: ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [يس: ١٤].

وحضور الوفود لدى الرسول ﷺ يكون لغرضين، وفي حالتين:

فتارة يكون لأجل المناظرة والمُحاجة والمشاكسة، مما يؤوّل إلى مناقشة في حق مزعوم، أو تقاضٍ لطلب.

وتارةً يكون لأجل تلقي الدين، أو تعرّف أحكامه.

وفي كلتا الحالتين يُوجد من بين الوافدين أفهامٌ ذكيّة، ونفوسٌ أبيّة، تمّاحٌ للذّب عن بلدٍ أو دينٍ أو مالٍ، أو تساءل لمعرفة كُنْه ما دُعيت إليه من التزام الإسلام وأحكامه، أو تقترح وتبدل بمطالب وترخيصاتٍ.

وتوجد أيضًا جفأةٌ تنفر من صَفير الصافر، ولا تعرّف مغفرة غافرٍ، فيجد الرّسول نفوسًا مختلفة المدارك، مُستبَكّة المسالك، تَتَجَسَّم تَرَكَ ما أَلْفَتْ وتَتَقَحَّم اعتيادًا ما لم تكن عَرَفَتْ، وتَتَفَهَّم ما لم يسبق لها تفهم مثله؛ لِيُنذِرَ قَوْمًا ما أتاهم من نذير قبله.

إذن فملاقاة الرسول للوفود على اختلاف قيم رجالها وغاياتها، يجمع كلّ مصاعب ما يعرض للحكماء والعظماء والفُصحاء في ملاقاتة الرجال، ومُناصَلَة الأبطال، ومُجاوَبَة الحوار والمقال، في حالةٍ هي أجدَرُ بأن تكونَ مِصادق قول أبي الطيّب:

وكانّه ما لا تشاء عُدّاته      مُتمّلاً لوفوده ما شاؤوا

فلا جرّم أن يكون علم ذلك من أنفذ الكوى التي يطّلع منها المؤمن على فضائل هذا الرسول الكريم، ويُشاهد منها دلائل نبويّة، وإحاطة العناية الربانيّة به فيلتحق بعض الالتحاق بالذين شاهدوا تلك المقامات عن عيانٍ.

#### الوفود:

الوَفْد: اسمٌ جمعٍ لوافِدٍ، مثل ركب لراكب، وصَحْبٍ لصاحبٍ.

والوافِد هو رَسول القوم، يبعثونه في أمرهم ليأتيهم بجليّة فيه. وسُمِّيَ وافِدًا لأنه يتقدّم القوم ثم يلحقون به. كان هذا في غالب الأحوال في سفارات الحروب والمصالحات والشّفاعات، ثم أطلق على رسول القوم في مهمّ بدون انتظار لحاقهم به، بعلاقة الإطلاق عن التقييد.

وقد قالت سَفّانة بنت حاتم الطائي حين أتى بها في السبي: «يا رسول الله، هلك الوالد، وغاب الوافِد»، تُريدُ عَيَبَة أخيها عديّ ببلاد الشام، فلا تجد من يفد لفدائها، والشّفاة للمَنّ عليها.

وفي المثل: «إن الشقيّ وافد البراجم».

وقد يُطلق اسم الوَفْد على الرّجل الواحد إذا اكتفوا به عن الجماعة.

وَقَدْ كَانَ الْعَرَبُ يُوفِدُونَ لِلْمَلُوكِ، مِثْلَ كِسْرَى وَمُلُوكِ لَحْمٍ وَمُلُوكِ غَسَّانَ، كُلَّ سَنَةٍ لِيُظْهِرُوا طَاعَتَهُمْ لِلْمَلِكِ، وَدَوَامَ الْإِتِّصَالِ بِهِ.

ويوفدون لقضاء حاجاتهم، والوساطة في الصلح، أو تعيين وقت الحرب. وقد أوفد بنو أسد عشرة من شيوخهم إلى امرئ القيس، للتكلم معه في دية أبيه حُجْر، الذي قتله بنو أسد.

ووفد العرب إلى الحضرة النبوية جرى على سنتهم المعروف، فكانوا يوفدون في أغراض شتى، وأهمها: الوفادة للدخول في الإسلام أو لتعرف أحكامه.

وكان المسلمون منهم يوفدون كل سنة من يبلغهم ما حدث في الإسلام من الأحكام. يدلُّ لذلك قول وفد عبد القيس لرسول الله ﷺ: «إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ كُفَّارٌ مُضِرٌّ، وَإِنَّا لَا نَصِلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِجَمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ نَأْخُذُ بِهَا، وَنَدْعُو إِلَيْهَا مِنْ وَرَاءِنَا».

ويدلُّ لذلك أيضًا: ما في الصحيح عن أبي موسى الأشعريّ أنّه كان بالمدينة مع وفد الأشعريين حين وفدت بنو تميم، مع أن الأشعريين وفدوا سنة (٧)، وبنو تميم وفدت سنة (٩)، فدلنا ذلك على أنهم كانوا يوفدون كل سنة.

ويدلُّ لذلك أيضًا وصية رسول الله ﷺ عند وفاته: «وأجيزوا الوفد كما كنت أجيزهم»<sup>(١)</sup>، فدلَّ على أنهم سيأتون لخليفته.

وبالتنبية لهذا تنجلي عدة إشكالات وقعت لشراح الحديث، واضطرابات وقعت لبعض أهل السير في ترتيب الوفود.

### وَرُودُ الْوَفُودِ:

مُعْظَمُ الْوَفُودِ وَفَدُوا بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَقَدْ وَفَدَ بَعْضُ مِنْهُمْ قَبْلَ الْهَجْرَةِ. وَأَكْثَرُ وَرُودِ الْوَفُودِ كَانَتْ فِي سَنَةِ تِسْعٍ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ سَنَةُ الْوَفُودِ.

وذلك أن العرب كانوا يتربصون بإسلامهم ما يظهر من أمر قريش مع المسلمين؛ إذ كانت قريش قدوة العرب وإمامهم، وسدنة كعبتهم، لا ينكر فضلهم على القبائل أحد من العرب. وحسبك من ذلك قول الشاعر في فخره على بقية العرب:

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب جوائز الوفد (٢٨٨٨) بترقيم ديب البغا، ومسلم في الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي (١٦٣٧) كلاهما بلفظ: «بنحو ما كنت أجيزهم».



فَأَمَّا النَّاسَ مَا حَاشَا قَرِيْشًا فَإِنَّا نَحْنُ أَفْضَلُهُمْ فِعَالًا  
 فَلَمَّا فُتِحَتْ مَكَّةُ، وَدَانَتْ قَرِيْشٌ بِالإِسْلَامِ، عَرَفَتْ الْعَرَبُ أَنَّ أَمْرَ الدِّينِ قَدْ ظَهَرَ، وَأَنَّ هُمْ  
 لَا طَاقَةَ لَهُمْ بَعْدَاوَتِهِ وَلَا بَحْرَبِهِ، فَدَخَلُوا فِي الدِّينِ أَفْوَاجًا. وَذَلِكَ مَا وَعَدَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِقَوْلِهِ:  
 ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ  
 بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ [النصر: ١ - ٣].

فكان رسول الله بعد فتح مكة ودخول العرب في الإسلام أفواجًا يقول في سجوده  
 أو ركوعه: « سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي »، يتأول القرآن<sup>(١)</sup> كما ورد  
 في الصحيح.

### إجازة الوُفد:

إِجَازَةُ الْوُفْدِ عَطِيَّةٌ يُعْطِيهَا الْمُؤَفَّدُ إِلَيْهِ لِرِجَالِ الْوُفْدِ، وَتُسَمَّى أَيْضًا: الْجَائِزَةُ، وَتُسَمَّى:  
 الْحِبَاءُ.

وَيُقَالُ: أَجَازَهُ وَجَوَّزَهُ.

وهي من توابع سنة إكرام الضيف.

فَفِي حَدِيثِ الْمُوطَّأِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ  
 ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ؛ يَوْمٌ وَلَيْلَةٌ. وَالضَّيْفَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ »<sup>(٢)</sup>.

قال علماءنا: يدخل في إجازة الوُفد ضيافة الرسل وإقطاعات الأعراب ورُسومهم.  
 وقد كان من عادة ملوك العرب إجازة الوُفد، وكانت لهم عطايا معتادة، بعضها لعامة  
 الوُفد، وبعضها لساتته وتُسمى: الحباء.

وقد كان النعمان بن المنذر يحب الوُفد، وكان ممن ينفد عليه في وفد عبس رجل اسمه  
 شقيق، فمرض عنده ومات، فلمَّا حبا النعمان الوُفد أمر أن يوضع حباء شقيق على قبره،  
 ثم يرسل بعد ذلك إلى أهله، فمدحه النابغة بقوله:

وَأَبْقَيْتَ لِلْعَبْسِيِّ فَضْلًا وَنِعْمَةً  
 وَمَحْمَدَةَ مِنْ بَاقِيَاتِ الْمُحَامِدِ

(١) أخرجه البخاري في صفة الصلاة، باب التسييح والدعاء في السجود (٧٨٤) بترقيم ديب البغا، وأخرجه مسلم  
 في الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤٨٤).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره (١٥٤٣) بترقيم ديب  
 البغا.

حِبَاءٌ شَقِيقٍ فَوْقَ أَحْجَارِ قَبْرِهِ      وَمَا كَانَ يُحِبُّ قَبْلَهُ قَبْرٌ وَافِدٌ  
أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ حِبَاءً وَنِعْمَةً      وَرُبَّ امْرِيٍّ يَسْعَى لِآخِرِ قَاعِدِ

فالقصد من الجائزة إظهار كرامة الوفد عند الموفود عليه، والتلطف للوفد بقطع النظر عن ابتهاج الوفد، وانتفاعه بذلك: فذلك أمر تابع غير مقصود، ولذلك سن رسول الله ﷺ إجازة الوفد.

وقد أجازهم بجوائز مختلفة، وغالب ما ذكره أهل السير كونها خمس أواق من فضة لكل واحد من رجال الوفد، واثنتي عشرة أوقية ونشاً<sup>(١)</sup> لرئيسهم، وربما أعطى كل واحد عشر أواق. وأحسب أن ذلك حين كثر المال. يدلُّ لذلك: أن بلاً لَمَّا دفع جائزة وفد سلامان خمس أواق، لكل واحد منهم، اعتذر لهم بأن ليس عندنا مال اليوم.

وكان يزودهم من التمر ما يكفيهم في طريقهم.

وكان من الجوائز إعطاء البرود كسوة للوفد.

وكان منها إعطاء بعض ما ينتجُه الحجاز، كالأراك للاستواك به. وكان من الجائزة إعطاء

الرواحل لمن هزلت راحلته أو ماتت. وكان الذي يُبلِّغ الجوائز بلال بن رباح.

### مَنَازِلُ الْوُفُودِ:

مِنْ حَقِّ الضِّيَافَةِ أَنْزَالَ الضِّيْفَ. وَالْعَرَبُ فِي الْبَادِيَةِ يُنْزِلُونَ الضِّيُوفَ فِي بِيُوتِهِمْ. وَلَكِنَّ الْوُفُودَ تَضِيْقُ عَنْهُمْ الْبِيُوتُ، وَهَمْ شُؤُونَ تَسْتَدْعِي سَعَةَ الْمَكَانِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُنْزِلُ الْوُفُودَ فِي دِيَارِ أَصْحَابِهِ غَالِبًا. أَمَّا الْوُفُودُ الَّتِي وَرَدَتْ مِنْ طَرُقِ الْغَزَوَاتِ، مِثْلَ: وَفْدِ سَلِيمٍ، وَوَفْدِ هَوَازِنَ، كَذَلِكَ بَعْضُ الْوُفُودِ، مِثْلَ: وَفْدِ عَامِرٍ فَضْرِبُوا رِحَالَهُمْ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، وَوَفْدِ نَجْرَانَ، فَإِنَّهُمْ أَقَامُوا فِي رِحَالِهِمْ، أَي: فِي خِيَامٍ جَعَلُوهَا لِأَنْفُسِهِمْ، إِذْ جَاؤُوا تَامِي الْعُدَّةِ، وَوَفْدِ ثَقِيفٍ ضُرِبَتْ لَهُمْ قَبَّةٌ مِنْ أَدَمٍ حَوْلَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَغَيْرِ هَؤُلَاءِ أَنْزَلُوا فِي دِيَارِ الصَّحَابَةِ بِالْمَدِينَةِ.

وكان منزل الوفود في الغالب دار رملة بنت الحرث<sup>(٢)</sup>، ويقال: ابنة الحراث، تصحيفاً أو نسبةً إلى جدّها. وهي من بني النجّار، زوج معاذ بن عفراء، وكانت دارها واسعة وفيها نخل.

(١) النش: نصف أوقية وهو بفتح النون وتشديد الشين المعجمة.

(٢) ورد في أسد الغابة، والبداية والنهاية، والمفصل في تاريخ العرب، وفتح الباري: (رملة بنت الحارث)، يقول الواقدي: (رملة بنت الحدث) بفتح الدالة المهملة بغير الألف قبلها، كذا في الإصابة والطبقات الكبرى لابن سعد.

ونَزَلَ بعض الوفود بدار المغيرة بن شعبة، وبعضهم عند رويغ بن ثابت البلوي، وبعضهم في دار سعد بن عباد، وبعضهم عند المقداد بن الأسود.

### القَرَى:

هو إطعام الضيف وافتقاد شؤونه. وكان الوفود يطعمون من عند رسول الله ﷺ، إلا وفد صداء فقد رغب سعد بن عباد أن ينزلهم عنده ويموئهم، وكذلك وفد بلي، نزلوا عند رويغ بن ثابت البلوي، برغبته. وكان بلال هو الذي يذهب بالطعام منه. وأرسل له رسول الله ﷺ حملاً من تمر يستعين به على ضيافته للوفود غالباً. وكان خالد بن سعيد بن العاص الوساطة بين الرسول وبين وفد ثقيف.

### قبول الوفود و التهيؤ لذلك:

كان الوفود إذا أقبلوا يتلقاهم بعض أصحاب رسول الله ﷺ من له مزيد صلة بالقوم. فقد تلقى المغيرة بن شعبة وفد ثقيف.

وتَلَقَى عمر بن الخطاب وفد عبد القيس.

وتلقى رويغ بن ثابت وفد بلي.

وتَلَقَى سعد بن عباد وفد صداء.

وتَلَقَى كعب بن مالك وفد بني كلاب.

وتَلَقَى المقداد بن الأسود وفد بهراء.

وقد يقدم الوفد دون مُتَلَقِّ كوفد عُذْرَة.

وكانوا إذا دخلوا على رسول الله ﷺ، سَلَّمُوا عليه بتحية الإسلام، وكان رسول الله يفاتحهم بقوله: « مَرْحَبًا بكم وأهلاً وسهلاً »، أو: « مَرْحَبًا بالوفد، غَيْرَ خَزَايَا<sup>(١)</sup> ولا نَدَامَى »، إذا لم يسبق تعريفه لهم من القوم مثل وفد عذرة.

وكان الوفود يجيئون رسول الله بتحية الإسلام، إلا وفد ثقيف ووفد عذرة، فإنهم حَيَّوْهُ بتحية الجاهلية، وهي عِمَّ صباحًا، وهي تحية الملوك، ورسول الله يجيئهم بما يجيب به الوفود.

(١) خزاياء جمع خزيان، وندامى هنا جمع نادم على غير قياس نادمون؛ لأن أصل ندامى أنه ندمان بمعنى المنادم، ولكن عدل عن القياس لأجل مشاكلة قوله: خزاياء، ونظيره ما وقع في حديث سؤال القبر فيقال: لا دريت ولا تليت، أي تلوت.

ويظهر من كلام البخاري أنّ رسول الله كان يلبس للوفود أحسن ثيابه. فقد ترجم في صحيحه في كتاب الجهاد، وفي كتاب الأدب بباب التجميل للوفود، وأخرج في ذلك حديث عمر بن الخطاب أنّه رأى حلة من إستبرق لعطارد بن حاجب بن زرارة، وكانت حلة أهداها كسرى إلى حاجب بن زرارة، فقال عمر: يا رسول الله، اشتر هذه فالبسها للوفود، إذا قدموا عليك إلخ...

وفي الحديث أنّ رسول الله كره شراءها لأجل صفة الحلة، ولم ينكر على عمر قوله: فالبسها للوفد.

ويحرّر، إذ الظاهر أن كلام عمر لا يدل إلا على إشارة بذلك، وبأنه يدل على الجواز، أما كونه سنة فلم يظهر.

وأخذ البخاري من ذلك أنّ عمر علم أنّ التجميل للوفد سنة، وأن رسول الله ﷺ أقره على كلامه.

وكان خطيب رسول الله عند حضور الوفود: ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري. وشاعره في ذلك: حسان بن ثابت.

#### رُجوع الوفود:

كانوا يأتون لوداع رسول الله. وكان يوصيهم أن يبلغوا من وراءهم، كما جزم بذلك البخاري في صحيحه أن يبلغوا من وراءهم.

فترجم بقوله: باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم.



## وفود العرب في الحضرة النبوية ( ٢ ) (١)

قَبْلَ دُخُولِ الشَّيْخِ فِي صَمِيمِ مَوْضِعِهِ، قَدَّمَ لَهُ بِعَرَضِ مَوْضِعَاتٍ مُفِيدَةٍ، نَشَرْنَاهَا فِي الْعَدَدِ الْمَاضِي. وَهَذِهِ عَنَاوِينُهَا بَعْدَ الْمَدْخَلِ إِلَيْهَا: مَا يَتَجَلَّى فِي لِقَاءِ الْوُفُودِ مِنْ عَظِيمِ الصِّفَاتِ النَّبَوِيَّةِ - الْوُفُودُ - وَرُودُ الْوُفُودِ - إِجَازَةُ الْوُفْدِ - مَنَازِلُ الْوُفُودِ - الْقِرَى - قَبُولُ الْوُفُودِ وَالتَّهَيُّؤُ لِدَلِكْ - رُجُوعُ الْوُفُودِ.

وَهَذَا أَوَّلُ حَدِيثِهِ عَنِ الْوُفُودِ ذَاتِهَا:

تَعْدَادُ الْوُفُودِ:

الْوُفُودُ قَبْلَ الْهَجْرَةِ:

لَمْ يَصَحَّ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَبْلَ الْهَجْرَةِ غَيْرَ وَفْدِي الْأَنْصَارِ (٢):

الْوَفْدُ الْأَوَّلُ: فِي سَنَةِ اثْنَتَيْنِ قَبْلَ الْهَجْرَةِ، فِي عَقَبَةِ مَنَى، فِي مَوْسِمِ الْحَجِّ. وَفَدَا اثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَوْسِ وَالخَزْرَجِ، فَبَايَعُوهُ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالشُّرُوطِ، مِثْلَ شُرُوطِ بَيْعَةِ الْمُؤْمِنَاتِ، الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ الْمُؤْتَحِنَةِ. وَتُسَمَّى هَذِهِ الْبَيْعَةُ بَيْعَةَ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ مَعَهُمْ مُصْعَبَ بْنَ عَمِيرِ الْعَبْدَرِيِّ؛ لِيُقَرِّئَهُمُ الْقُرْآنَ، وَيُؤَمِّمَهُمْ بِهِمْ، إِذْ كَانَ الْأَوْسُ وَالخَزْرَجُ يَوْمَئِذٍ يَكْرَهُ بَعْضُهُمْ أَنْ يَوْمَهُ الْبَعْضُ الْآخَرُ.

الثَّانِي: وَفَدَا الْأَنْصَارُ فِي سَنَةِ إِحْدَى قَبْلَ الْهَجْرَةِ، بِالْعَقَبَةِ أَيْضًا.

وَكَانَ الْوَافِدُونَ اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ رَجُلًا وَأَمْرَاتَيْنِ، وَبَايَعُوا عَلَى مِثْلِ بَيْعَةِ الْعَقَبَةِ الْأُولَى، وَزِيَادَةِ سِتَّةِ شُرُوطٍ، وَهِيَ:

١ - عَلَى أَنْ يُجَارِبُوا مَعَهُ الْأَسْوَدَ وَالْأَحْمَرَ.

٢ - وَعَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ.

(١) صدر هذا المقال بعنوان: وفود العرب في الحضرة النبوية، في مجلة الهداية، العدد الخامس، السنة الخامسة، مايو (١٩٧٨م) (ص ٥١ - ٥٤).

(٢) ذكر بعض أهل السير وفد الدارين قبل الهجرة بمكة وهم سبعة رجال من بني الدار بطن من لخم وكانوا نصارى. وفيهم تميم الداري، ولم يسلموا، وأمنهم طلبوا من الرسول أن يكتب لهم إقطاعاً من الأرض التي ستفتح له وأنه كتب لهم كتاباً... وذلك لم يثبت. وعلى تقدير ثبوته فليس قصدهم الوفاة ولكنهم مروا بمكة فالتقوا بالنبي. وإذا سألوه الإقطاع فإنها هو تجربة لا انتظار ظهور أمره. وذكروا أيضاً أنه وفد عشرون رجلاً بمكة من نصارى نجران، وأمنهم الذين أنزل فيهم قوله تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُهُ...﴾ [المائدة: ٨٢]. والصحيح أن ذلك نزل فيمن أسلم من الحبشة كما قال ابن شهاب.

٣ - وَعَلَى الْأَثَرَةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ.

٤ - وَعَلَى أَنْ لَا يُنَازِعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ.

٥ - وَعَلَى أَنْ يَقُولُوا بِالْحَقِّ أَيُّنَمَا كَانُوا.

٦ - وَعَلَى أَنْ لَا يَخَافُوا فِي اللَّهِ لَوْمَةً لَائِمًا.

فَأَمَّا مَنْ وَرَدَ رَسُولَ رَجُلٍ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِمَّنْ جَاءُوا يَتَعَرَّفُونَ الْإِسْلَامَ، فَلَا يُعَدُّونَ مِنَ الْوُفُودِ، مِثْلَ مَجِيءِ أَنَسِ بْنِ جِنَادَةَ، أَخِي أَبِي ذَرٍّ، وَإِفْدَاءِ عَنِ أَخِيهِ لِيَعْلَمَ عِلْمَ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ مَبْعَثِهِ، وَكَذَلِكَ مَجِيءِ الرَّجُلَيْنِ الْمُؤَفَّدَيْنِ مِنْ أَكْثَمِ بْنِ جُبَيْرٍ، كَمَا ذُكِرَ ذَلِكَ فِي تَفْسِيرٍ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، مِنْ تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ.

الْوُفُودُ بَعْدَ الْهَجْرَةِ:

أَوَّلُ الْوُفُودِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ - عَلَى الصَّحِيحِ - وَفَدُّ نَصَارَى نَجْرَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى التَّقْرِيبِ؛ لِأَنَّ صَدْرَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ نَزَلَ فِيهِمْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وَسُورَةُ آلِ عِمْرَانَ هِيَ ثَانِي سُورَةٍ نَزَلَتْ بَعْدَ الْبَقَرَةِ، قَبْلَ سُورَةِ الْأَنْفَالِ الَّتِي نَزَلَتْ فِي وَاقِعَةِ بَدْرٍ. هَذَا الْوَفْدُ جَاءَ قَاصِدًا الْمَدِينَةَ لِمَلَاقَاةِ النَّبِيِّ، وَكَانُوا سِتِّينَ رَجُلًا وَرَأْسُهُمْ عَبْدُ الْمَسِيحِ، الْمُلَقَّبُ بِالْعَاقِبِ، وَتَحْتَهُ الْأَيَّهْمُ وَيُلَقَّبُ بِالسَّيِّدِ وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ أَمْرَ الْوَفْدِ، وَفِيهِمُ الْأَسْقُفُ وَهُوَ أَبُو حَارِثَةَ بْنِ عَلْقَمَةَ الْبَكْرِيِّ. فَتَزَلُّوا الْمَدِينَةَ وَدَخَلُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ إِثْرَ صَلَاةِ الْعَصْرِ، وَعَلَيْهِمْ جُبُّ وَأَرْدِيَةٌ جَبْرَةَ، مُتَخْتَمِينَ بِخَوَاتِمِ الذَّهَبِ، فَدَخَلُوا الْمَسْجِدَ وَمَعَهُمْ هَدِيَّةٌ وَهِيَ بُسْطٌ، فِيهَا تَمَائِيلٌ وَمُسُوحٌ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا الْبُسْطُ فَلَا حَاجَةَ لِي بِهَا». وَأَمَّا الْمُسُوحُ فَأَخَذَهَا، وَحَضَرَ وَقْتُ صَلَاتِهِمْ فَرَامُوا أَنْ يُصَلُّوا، وَرَأَى الْمُسْلِمُونَ مَنَعَهُمْ. فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُوهُمْ». فَصَلُّوا إِلَى الْمَشْرِقِ وَقَرَأَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ أَحْكَامَ الْإِسْلَامِ.

وَتَكَلَّمَ الْحَبْرَانُ: الْعَاقِبُ وَأَبُو حَارِثَةَ، فَقَالَا: نَحْنُ قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ، فَقَالَ: «يَمَعَكُمْمَا مِنَ الْإِسْلَامِ ادْعَاؤُكُمْ لِلَّهِ وَلِدَا، وَعِبَادَتُكُمْ الصَّلِيْبِ، وَأَكْلُكُمْ الْخِنْزِيرِ».

قَالَ: فَمَنْ أَبُو عَيْسَى؟

فَقَرَأَ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عَيْسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ...﴾ [آل عمران: ٥٩].

فَقَالُوا: نَحْنُ لَا نَرْضَى بِاتِّبَاعِكَ إِلَّا أَنْ تَقُولَ أَنَّ عَيْسَى إِلَهٌ.

فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ...﴾ [المائدة: ٧٢] الآية.

ثُمَّ لَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُمْ مُكَابِرَةً فِي الْإِسْلَامِ دَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ، أَيْ: الْمُلَاعَنَةِ، حَسَبَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾ [آل عمران: ٦١] الآية، فَتَرَدَّدُوا فِي الْمُبَاهَلَةِ، ثُمَّ امْتَنَعُوا مِنْهَا خَشِيَةَ أَنْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ مِنَ اللَّهِ، فَصَالَحُوا النَّبِيَّ عَلَى أَلْفِي حَلَّةٍ، وَأَلْفِي أَوْقِيَّةٍ فِضَّةً ( ٨٠٠٠ درهم ) فِي كُلِّ سَنَةٍ، يَدْفَعُونَ نِصْفَهَا فِي صَفَرٍ وَنِصْفَهَا فِي رَجَبٍ. وَطَلَبُوا مِنَ الرَّسُولِ أَنْ يَبْعَثَ مَعَهُمْ أَمِينًا يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي أَشْيَاءِ اخْتَلَفُوا فِيهَا مِنْ أَحْوَالِهِمْ، فَأَرْسَلَ مَعَهُمْ أَبَا عُبَيْدَةَ ابْنَ الْجَرَّاحِ، فَبَقِيَ بَيْنَهُمْ زَمَانًا<sup>(١)</sup>.

\* \*

#### وَفْدُ الْأَشْعَرِيِّينَ، مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ:

سَنَةَ سَبْعٍ، أَيَّامَ غَزْوَةِ حَيْبَرَ، وَفَدَّ جَمَاعَةٌ، نَحَوَ الْخَمْسَةَ أَوْ السَّتَةَ، فِيهِمْ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ، وَأَخُوهُ أَبُو رَهْمٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: « أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرْقُ أَفْتَدَةٌ وَالْيَمَنُ قَلْبِيًّا بِالْإِيمَانِ، وَالْحِكْمَةُ بَيَانِيَّةٌ »<sup>(٢)</sup>. وَأَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ خَمْسَ دَوْدِ عَرِّ الدُّرَى.

#### وَفْدُ عَبْدِ الْقَيْسِ:

وَهُمْ مِنْ عَرَبِ الْبَحْرَيْنِ، وَحَاضِرَةُ بِلَادِهِمْ مَدِينَةُ جُوَاثِي، قَرَبَ عُمَانَ<sup>(٣)</sup>. وَكَانَ وَفُودُهُمْ سَنَةَ ( ٨ ) قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ. وَكَانُوا سِتَّةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَقِيلَ: عَشْرِينَ، وَقِيلَ: أَرْبَعِينَ، وَرَأْسُ الْوَفْدِ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَوْفِ بْنِ الْأَشَجِّ. وَفِيهِمُ الْجَارُودُ بْنُ عَمْرٍو، وَكَانَ مِنْ قَبْلِ نَصْرَانِيًّا. وَفِيهِمُ الْأَشَجُّ، وَهُوَ الْمُنْذَرُ بْنُ عَائِدِ، وَيُلَقَّبُ: الشَّيْخُ عَبْدُ الْقَيْسِ.

وَتَلَقَّاهُمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ خَارِجَ الْمَدِينَةِ، وَدَخَلُوا مَعَهُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغُوا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ، قَالَ لَهُمْ عُمَرُ: هَذَا صَاحِبُكُمْ الَّذِي تُرِيدُونَ. فَرَمَى النَّاسُ بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ رِكَائِهِمْ بِيَابِ الْمَسْجِدِ وَهُمْ بِثِيَابِ سَفَرِهِمْ، وَتَبَادَرُوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يُقْبَلُونَ يَدَهُ. فَقَالَ لَهُمْ: « مَرْحَبًا بِالْوَفْدِ، غَيْرَ خَزَائِيَا وَلَا نَدَامِي » ( أَيْ: وَلَا نَادِمِينَ ).

ثُمَّ إِتَمَّ لَمَّا أَزْمَعُوا الرَّحِيلَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ كَفَّارٍ مُضْرَّ،

(١) سيرة ابن هشام ( ١ / ٥٧٣ ) طبعة دار الجليل.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان فيه ورجحان أهل اليمن فيه ( ٥٢ ).

(٣) لهذه المدينة مزية، هي أنها أول مدينة أقيمت بها صلاة الجمعة بعد مدينة الرسول ﷺ.

وَأَنَا لَا نَصُلُ إِلَيْكَ إِلَّا فِي شَهْرِ حَرَامٍ، فَمُرْنَا بِجَمَلٍ مِنَ الْأَمْرِ نَأْخُذُ بِهَا وَنَدْعُو إِلَيْهَا مَنْ وَرَاءَنَا. فَقَالَ: « أَمْرُكُمْ بِأَرْبَعٍ: وَأَنْهَاكُمُ عَنِ أَرْبَعٍ: أَمْرُكُمْ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ شَهَادَةً أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامَ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَأَنْ تُؤَدُّوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمْسَ ( لَمْ يَكُنِ الْحَجُّ مَفْرُوضًا وَقَتْنِدٌ )، وَأَنْهَاكُمُ عَنِ الدُّبَاءِ وَالْحَنْتَمِ وَالنَّقِيرِ وَالْمُزَفَّتِ (١)، وَأَخْبَرُوا بِهِنَ مَنْ وَرَاءَكُمْ ».

وَقَالَ لِلْأَشْجِيِّ: « إِنَّ فِيكَ لَحَصَلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ » (٢).

وَفَدَّ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ:

وَفَدَّ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ السَّعْدِيِّ عَنِ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ مِنْ هِوَاظِنَ، وَبَنُو سَعْدِ هُمْ أَضَارُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ إِذْ مِنْهُمْ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَالظَّاهِرُ أَنَّ وَفُودَهُ كَانَ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ الَّذِي أَسْلَمَ بَعْدَهُ جَمِيعَ هِوَاظِنَ. وَحَدِيثُ هَذَا الْوَاوِدِ جَمِيلٌ.

فِي الصَّحِيحِ، عَنِ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ، ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ مُتَّكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ. فَقَالُوا: هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَّكِيُّ.

فَقَالَ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ: « قَدْ أَجَبْتِكَ ».

قَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُشَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدُ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ.

فَقَالَ: « سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ ».

فَقَالَ: أَسَأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلِكَ، أَللَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟

قَالَ: « اللَّهُمَّ نَعَمْ ».

قَالَ: أَنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصَلِيَ الصَّلَوَاتِ الْخُمْسَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟

قَالَ: « اللَّهُمَّ نَعَمْ ».

قَالَ: أَنْشِدُكَ بِاللَّهِ، أَللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟

قَالَ: « اللَّهُمَّ نَعَمْ ».

(١) أي أنهاكم عن جعل النيذ في هذه الأربع؛ لأنه يسرع إليه الاختيار، أي الإسكار. والدباء: القرع، والحنتم: جمع حنتمة، وهي جرة مطلية بطلاء أخضر، والنقير: ما ينقر في أصل النخلة فيوعى فيه، والمزفت: الإناء المطلي بالزفت.

(٢) أخرجه البخاري في الإبان، باب أداء الخمس من الإبان (٥٣) بترقيم ديب البغا.



قال: أنشدك بالله، الله أمرك بأن تأخذ هذه الصدقة من أغنيائنا فترُدّها على فقرائنا؟ فقال النبي ﷺ: « اللهم نعم ».

فقال الرجل: آمنتُ بما جئتُ به، وأنا رسولٌ من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بني سعد بن بكر<sup>(١)</sup>.

قال عمر بن الخطاب: ما رأيت أحدا أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة.

وفد بني سليم:

وفدوا قبل فتح مكة، فأسلموا، وبايعوا رسول الله بالأخشبين<sup>(٢)</sup>، في طريقه إلى فتح مكة، والتحقوا بجيش الفتح في ألف فارسي، وفيهم عباس بن مرداس. وهذا الوفد لم يذكره أهل السير في عداد الوفود، وخبره في ذكر الفتح، وفي شعر ابن مرداس الذي يقول:

لا وفد كالوفد الألى عقدوا لنا      سببا بحبل محمد لا يقطع

وفد هوازن:

وفدوا بعد غزوة حنين سنة ( ٨ )، مسلمين ومُستشفعين فيما أصابه المسلمون من سببهم وأموالهم يوم حنين، وفدوا على رسول الله بالجرعانة وسألوه أن يردّ عليهم سببهم وأموالهم، فقال لهم: « أحبّ الحديث إليّ أضدقّه، فاختاروا إحدى الطائفتين: إمّا السبّي وإمّا المال، وقد كنت استأثيتُ بكم »<sup>(٣)</sup>.

فقالوا: نختار سبينا.

فقام رسول الله فخطب في الناس وقال: « إن إخوانكم هؤلاء قد جاؤونا تائنين<sup>(٤)</sup>. وإنني قد رأيت أن أردّ إليهم سببهم. فمن أحبّ أن يُطيب بذلك فليُفعل، ومن أحبّ أن يكون على حظّه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليُفعل ».

فقال الناس: قد طيبنا ذلك، فقال رسول الله ﷺ: « إنا لا ندرِي من أذن منكم في ذلك مِمَّنْ لم يَأْذَنْ، فارجعوا حتّى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم »، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنّهم قد طيبوا وأذّنوا<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب ما جاء في العلم وقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (٦٣) بترقيم ديب البغا.

(٢) الأخشبان: جبلان تحت عقبة منى.

(٣) أي: انتظرتكم بضع عشرة ليلة.

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب قول الله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُرُوءُكُمْ فَلَمْ تَغْنَمْ عَنْكُمْ

سَيِّئًا وَمَسَاكَةً عَلَيْكُمْ الْآنَ لِمَ اصْبَحْتُمْ مُمَدِّيرِينَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٢٥ - ٢٧]

(٥) (٤٠٦٤) بترقيم ديب البغا.

### وفود العرب في الحضرة النبوية (٣) (١)

#### وفد بني ثعلبة:

وفد منهم أربعة مقرّين بالإسلام، سنة (٨)، بعد مرجع رسول الله من الجعرانة، بعد وفد هوازن.

وبعد أن سلّموا على رسول الله قالوا: قد قيل لنا إنك تقول لا إسلام لمن لا هجرة له. فقال رسول الله ﷺ: «حيثما كنتم واتقيتُم الله فلا يضركم».

ولمّا ودّعه قال لبلال: «أجزهم، أعط كل واحد خمس أواق فضة» (٢).

#### وفد ثقيف:

هم عرب الطائف، وهم بقية من العرب البائدة من ثمود. وفدوا على المدينة في رمضان سنة (٩)، وكانوا أعداء لرسول الله عقب فتح مكة، وحاصرهم واستعصموا بحصونهم، وقاتلوا رسول الله. أخذ سادتهم عروة بن مسعود الثقفي.

ثم جاؤوا راغبين في الإسلام، وتلقاهم المغيرة بن شعبة خارج المدينة. ولمّا دخلوا أعلم بهم أبا بكر الصديق، فسأله أبو بكر أن يسمح له أن يبشّر بهم رسول الله، فبشّر بهم أبو بكر، وعلمهم المغيرة تحية الإسلام ليحيّوا بها النبي ﷺ، فأبوا إلا أن يحيّوه بتحية ملوك الجاهلية، وهي «عم صباحاً»، ولم يُنكرها عليهم رسول الله.

ونزل بعضهم في دار المغيرة بن شعبة، وبعضهم في قبة ضربها لهم رسول الله في ناحية المسجد. وجعل الوسطة بينه وبينهم خالد بن سعيد بن أبي العاص. وكانوا فوجين خيفة من المسلمين، فكانوا لا يأكلون من الطعام الذي يرد عليهم من رسول الله حتى يأكل منه خالد بن سعيد. ثم عرضوا على الرسول أن يسلموا على شروط أربعة: أن لا يكلفهم بالصلاة. وأن يترك لهم صنمهم اللات ثلاث سنين من وقت تقدمهم. وأن يرخص لهم في الزنى، وفي شرب الخمر. فأبى الرسول أن يجيبهم إلى شيء من ذلك. فسألوه أن لا يكلفهم كسر أصنامهم بأيديهم، فأسعفهم بهذا خاصة. ثم سألوه ورجعوا

(١) صدر هذا المقال في مجلة الهداية، سبتمبر (١٩٧٨م) (ص ١٧ - ٢١).

(٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى (٢ / ٦٣) طبعة دار صادر تحقيق إحسان عباس، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠٤ / ٥).

إلى قومهم، فأسلمَ قومهم، وأرسل رسول الله المغيرة بن شعبة وأبا سفيان بن حرب لهدم اللات.

وفد بني تميم:

بنو تميم من أكبر قبائل العرب. وقد أسلمَ منهم حيي: هُم بنو كعب بن العنبر. ولعلَّ إسلامهم كان في سنة تسع، ولعلَّهم وفدوا إلى رسول الله ولذلك بعث إليهم بشير ابن سفيان يقبض صدقاتهم، فمَنَعهم بنو العنبر من أن يُخرجوا شيئاً من الإبل، فبعث رسول الله عيينة بن حصن الفزاري لقتال بني العنبر، فقاتلهم، وأسر منهم رجالاً ونساءً وصبياناً، وكان ذلك سبب وفود بني تميم على النبي ﷺ، وبقي بقيتُهم، فوفدوا على رسول الله ﷺ في سنة الوفود.

وكان وفدُهم أعظم وفود العرب، فقد نسقوه على ما كانوا يفدون على كسرى. فأتوا فيه بساداتهم وخطبائهم وشعرائهم.

فمن ساداتهم عطارد بن حاجب بن زرارة، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابس، وعمرو بن الأهتم، وقيس بن عاصم المنقري (المضروب المثل بحلمه) وكانوا حين وفدوا مشركين، فلم يكن منهم مسلماً إلا الأقرع بن حابس.

والظاهر أنهم نزلوا في رحالهم، ودخلوا المسجد النبوي، فنادوا في باب الحجرة النبوية: أن اخرج إلينا يا محمد.

وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحجرات: ٤]، فخرج إليهم، وجلس في صحن المسجد. فقالوا: نحن ناس من تميم، جئنا بشاعرنا وخطيبنا، لنشاعرك ونفاخرك. فإن مدحنا زين ودمنا شين، نحن أكرم العرب.

فقال لهم رسول الله ﷺ: « كذبتُم، بل مدح الله الزين، وشتمه الشين. وأكرم منكم يوسف بن يعقوب ».

قالوا: فأذن لشاعرنا وخطيبنا.

فقال: « لَم أَبْعَثْ بالشعر، ولم أومر بالفخر، ولكن هاتوا »<sup>(١)</sup>.

(١) ذكره برهان الدين الحلبي في السيرة الحلبية ( ٢١٧/٣ )، وجاء بنحوه في المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ( ٥٥٩/١ )، وجمع الوسائل في شرح الشبائل ( ٤٦ / ٢ ) .

وأحضرَ لهم رسول الله ثابت بن شماس، وحسان بن ثابت. فخطب عطارد بن حاجب في مفاخر قومه، وأجابه ثابت بن شماس في مفاخر الإسلام والمهاجرين والأنصار. وأنشد الزبرقان بن بدر قصيدة في الفخر، فأجابه حسان في فخر الإسلام. ثم أنشد الأقرع بن حابس شعرًا كذلك فأجابه حسان كذلك بأبيات منها:

هَبَلْتُمْ عَلَيْنَا تَفْخَرُونَ وَأَنْتُمْو      لَنَا خَوْلٌ مِنْ بَيْنِ ظُهُرٍ وَخَادِمٍ  
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ لِلْأَقْرَعِ: «لَقَدْ كُنْتَ فِي غَنَى يَا أَخَا بَنِي دَارِمِ أَنْ تَذَكَرَ مَا كُنْتَ تَرَى أَنَّ النَّاسَ  
قَدْ نَسَوْهُ»<sup>(١)</sup>.

فكانت هاته الجملة البليغة أشدَّ عليه من شعر حسان.

وفي هذا الوفد، قال رسول الله ﷺ كَلِمَتَهُ الْجَامِعَةَ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا»<sup>(٢)</sup>.

وفد بني عامر: سنة ( ٩ )، ( مرتين ):

ورئيسهم عامر بن الطفيل، ومن سادتهم: أربد بن قيموس، وجبار بن سلمى، وكان عامرٌ هذا سيّدًا عظيمًا من سادة العرب، وهو الذي تافرّ علقمة بن علاثة لدى هرم بن سنان. فعرض عامرٌ على الرسول أن يجعل له الأمر من بعده، فقال رسول الله: «ليس ذلك لك ولا لقومك»، فقال: فيكون لي الوبرُ ولكَ المدرُ<sup>(٣)</sup>. فقال رسول الله ﷺ: «لا».

قال عامر، فما لي إذن إن أسلمتُ؟ قال: «لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم».

فقال عامر: أما والله يا محمد لأملأنّها عليك خيلاً جردًا ورجالًا مردًا ( يريدُ شبانًا ) أقوىاء.

فقال: «يَمْنَعُكَ اللَّهُ، اللَّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرًا وَاهْدِ بَنِي عَامِرٍ»<sup>(٤)</sup>.

وكان عامرٌ قد دبّرَ مع أربد أن يغتالاً رسول الله ﷺ، فَمَنَعَهُ اللَّهُ منهما، برِوعَةٍ أصابت أربدًا، كما هو مذكور في السيرة.

ورجع الوفد على غير طائل، فأصيب عامرٌ في طريقه بالطاعون ومات. وبلغ أربد إلى قومه، فصدهم عن الإسلام، ثم أصيب بصاعقة. ولم يؤثر عن جبار شيء، ولكنه أسلم

(١) تاريخ دمشق (٩ / ١٩٠) طبعة دار الفكر، بيروت.

(٢) أخرجه البخاري في الطب، باب إن من البيان لسحرا (٥٤٣٤) ومسلم في الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة (٨٦٩).

(٣) أي لعامر أهل الخيام، وللرسول أهل المدن والقرى.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٣١٢) (١٠٧٦٠).

بعد ذلك. ولَعَلَّهُ هو الذي حَرَّصَ قومه على الإسلام. فَوَفَدُوا بعد ذلك على رسول الله، بعد غَزْوَةِ بَيْتِ مَعُونَةَ.

أَخْرَجَ أَبُو دَاوَدَ عن عبد الله بن الشخير العامريِّ، قَالَ: انطَلَقْتُ في وفد بني عامر إلى رسول الله، فقلنا: أَنْتَ سَيِّدُنَا. فقال: «السيد الله»، فقلنا: وأفضلنا فضلاً، وأعظمنا طولاً، فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم، لا يستجربنكم الشيطان»<sup>(١)</sup>.

وفد طيئ وعدي بن حاتم:

وَفَدَ طَيِّئٌ سَنَةَ (٩) وعليهم زيد الخيل بن مهلهل، وقبيصة بن الأسود، ووزر ابن سدوس النبهاني. فقال رسول الله ﷺ لزيد الخيل: «ما ذُكِرَ لي رَجُلٌ بِفَضْلِ إِلَّا رَأَيْتُهُ دُونَ مَا قِيلَ فِيهِ غَيْرِكَ». وَأَسْلَمَ الْوَفْدُ كُلَّهُمْ إِلَّا وَزْرَ بْنَ سَدُوسٍ، فَإِنَّهُ عَانَدَ الْإِسْلَامَ، وَفَارَقَ قَوْمَهُ. وكان عدي نصرانياً، فدخل على رسول الله، وعرفه بنفسه، فذهب به رسول الله إلى بيته، فأدخله وقدم إليه وسادة من آدم ليجلس عليها، ثم قال له الرسول: «أنا أعلم بدينك. ألسنت رُكُوسِيًّا<sup>(٢)</sup>؟» فقال: بلى.

فقال: «ألم تكن تسير في قومك بالمرباع<sup>(٣)</sup> وذلك لا يحل لك في دينك؟»<sup>(٤)</sup>.

ثم أسلم عدي، وصار في عداد أصحاب رسول الله ﷺ.

وفد كندة، من أهل اليمَن:

وَفَدُوا في ثمانين ركباً، وعليهم الأشعث بن قيس، فدخلوا المسجد، وقد جاؤوا مسلمين، وكانوا في أحسن هيئة. قال الأشعث: يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار<sup>(٥)</sup>، وأنت ابن آكل المرار. فَتَبَسَّسَمَ وقال: «ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب وربيعة

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في كراهية التداخ (٤٨٠٦) طبعة دار الفكر، بتحقيق محيي الدين عبد الحميد، (ولا يستجربنكم الشيطان) أي: لا يتخذنكم جرباً - بفتح الجيم وكسر الراء وتشديد التحتية - أي: كثير الجري في طريقه ومتابعة خطواته. عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣ / ١١١).

(٢) الرُكُوسِي نسبة إلى الرُكُوسية وهي دين بين النصرانية والصابئة.

(٣) المرباع: أن يأخذ سيد القوم ربع الغنيمة في الحروب والغارات وهو حرام في النصرانية؛ لأن الغنائم لا تحل إلا للمسلمين كما في حديث: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ غيري»... إلخ.

(٤) ذكره ابن حبان في الصحيح (٢٢٨٠).

(٥) أكل المرار هو حجر بن عمرو وهو جد امرئ القيس. وقيل: هو جد جده.

والمرار (بضم الميم) نبت تأكله الإبل فتقلص شفاهاها؛ لقب به حجر لأنه كان في شفتيه تقلص.

ابن الحارث<sup>(١)</sup>. لا، نحن بنو النضر بن كنانة، لا نَقْفُو أُمَّنَا، ولا نَنْتَفِي من أبينا<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>. ومَكَثَ الوفد بالمدينة أيامًا، ينحرون العُجْر، ويُطعمون النَّاسَ.

وفد تُجيب: ( قَبِيلَةٌ من كِنْدَةَ )<sup>(٤)</sup>:

وَفَدَّ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا من تُجيب قَبْلَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، وساقوا مَعَهُمُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، فَسَرَّ بِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَكْرَمَ مَثْوَاهُمْ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا بِصَدَقَاتِهِمْ فَيَرُدُّوْهَا عَلَى فُقَرَائِهِمْ. فَقَالُوا: مَا قَدِمْنَا عَلَيْكَ إِلَّا بِمَا فَضَّلَ. وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا قَدِمَ عَلَيْنَا وَفَدَّ مِنْ الْعَرَبِ مِثْلَ هَذَا الْوَفْدِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « الْهُدَى بِيَدِ اللَّهِ، فَمَنْ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا شَرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ »<sup>(٥)</sup>.

وَجَعَلُوا يَسْأَلُونَ عَنِ الْقُرْآنِ، وَأُمُورِ الْإِسْلَامِ، فَازْدَادَ رَسُولُ اللَّهِ فِيهِمْ رَغْبَةً، وَأَجَازَهُمْ بِمِثْلِ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوَفُودَ بِوَسْطَةِ بِلَالٍ.

وفود ملوك حمير:

وَقَدَّمَ مَالِكُ بْنُ مُرَّةَ الرَّهَاطِي سَنَةَ ( ٩ ) رَسُولًا عَنِ مَلُوكِ حِمِيرٍ، وَهُمْ: الْحَارِثُ ابْنُ عَبْدِ كِلَالٍ، وَنُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ كِلَالٍ، وَالنَّعْمَانُ، قَيْلُ ذِي رَعِينٍ، وَمَعَاوِرُ وَهَمْدَانُ، وَمَعَهُ كِتَابٌ مِنْ أَوْلِيَاءِ الْمُلُوكِ بِأَنَّهُمْ أَسْلَمُوا وَأَسْلَمَ قَوْمُهُمْ. وَأَجَابَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِكِتَابٍ حَمَدَ اللَّهُ فِيهِ لَهُمْ عَلَى أَنْ هَدَاهُمْ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ بِأَوَامِرٍ، وَأَوْصَاهُمْ بِأَقْوَامِهِمْ.

وفد فزارة:

جَاءَ بِضِعَّةَ عَشْرَةَ رَجُلًا فِيهِمْ مِنْ سَادَتِهِمْ: خَارِجَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَابْنُ أَخِيهِ الْحُرُّ ابْنُ قَيْسٍ، مُقَرَّرِينَ بِالْإِسْلَامِ.

وَكَانُوا فِي سَنَةِ قَحْطٍ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ أَنْ يَسْتَقِي لَهُمْ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبِرِ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ، فَدَعَا اللَّهَ، فَتَكَوَّنَ سَحَابٌ مِثْلَ الْجِبَالِ، فَزَلَّ الْمَطَرُ أَسْبُوعًا كَامِلًا إِلَى أَنْ جَاءَهُ

(١) لأن العباس وربيعه كانا تاجرَيْن في أنحاء العرب، فكانا إذا أوغلا في البلاد فستلا من هما، قالوا: نحن بنو أكل المرار؛ ليهاجها العرب.

(٢) يعني أن كون بعض أمهاته ﷺ من كندة، وهي هند بنت سريير - وجاء في الروض الأنف: دعد بنت سريير، وفي سبل الهدى والرشاد: دعد بنت شريد - أم كلاب بن مرة، لا يجعله من بني أكل المرار، إذ النسب يتبع الأب.

(٣) السيرة الحلبية (٣ / ٢٦١) طبعة دار المعرفة، بيروت.

(٤) بفتح التاء وكسر الجيم. ويجوز ضم التاء وفتح الجيم.

(٥) السيرة الحلبية (٣ / ٢٦٥) طبعة دار المعرفة، بيروت.

في الجمعة القابلة أعرابي<sup>١</sup>، فقال: يا رسول الله، تَهَدَّمُ البناء، وعرَّقَ المَال، فادعُ اللهَ لنا، فرَفَعَ يَدَيْهِ، وقال: « اللهمَّ حَوَالِينَا وَلَا عَلَيْنَا، اللهم على الآكام والظراب ويطون الأودية ومنابت الشَّجَرِ »<sup>(١)</sup>، فانجابت السحابة انجياب الثوب. وهذه معجزة من معجزاته.

وَقَدْ مُحَارِبٌ:

وَقَدْ عَشْرَةٌ مِنْهُمْ، فِيهِمْ خَزِيمَةُ بْنُ سُوَادَةَ. وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، حِينَ عَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ فِي عُكَاظٍ لِيَنْصُرُوهُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، أَدَامَ النَّظَرَ فِيهِ فَقَالَ لَهُ: « قَدْ رَأَيْتَكَ ». فَقَالَ: إِيَّيَ وَاللَّهِ، لَقَدْ رَأَيْتَنِي، وَكَلَّمْتَكِ بِأَقْبَحِ الْكَلَامِ وَرَدَدْتِكِ بِأَقْبَحِ الرَّدِّ بِعُكَاظٍ، وَأَنْتِ تَطُوفُ عَلَى النَّاسِ. وَمَا كَانَ فِي أَصْحَابِي أَشَدَّ عَلَيْكَ يَوْمئِذٍ وَلَا أَبْعَدَ عَنِ الْإِسْلَامِ مِنِّي، فَأَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ حَيَّيْتُ حَتَّى صَدَقْتَ بِكَ، وَلَقَدْ مَاتَ أَوْلَئِكَ النَّفَرُ الَّذِينَ كَانُوا مَعِيَ عَلَى دِينِهِمْ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: « إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ بِيَدِ اللَّهِ »، فَقَالَ الْمُحَارِبِيُّ: اسْتَغْفِرْ لِي مِنْ مُرَاجَعَتِي إِيَّاكَ. فَقَالَ: « إِنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُفْرِ »<sup>(٢)</sup>. ثُمَّ أَجَازَ الْوَفْدَ، وَرَجَعُوا.

وَقَدْ بَلِي:

وَقَدْ جَمَعَ مِنْهُمْ بَرْنِاسَةَ أَبِي ضَيْبٍ، وَتَلَقَاهُمْ رُوَيْفِعُ بْنُ ثَابِتِ الْبَلَوِيِّ، فَدَخَلَ بِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهُوَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: هُوَ لَاءَ قَوْمِي. فَقَالَ لَهُ: « مَرَحَبًا بِكَ وَبِقَوْمِكَ »<sup>(٣)</sup>.

وَأَسْلَمُوا، وَنَزَلُوا عِنْدَ رُوَيْفِعٍ بِرَغْبَةٍ مِنْهُ. فَأَرْسَلَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ حَمَلًا مِنْ تَمْرٍ لِيَسْتَعِينَ بِهِ عَلَى ضِيَاغَتِهِمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ أَجَازَهُمْ وَانصرفوا.

وَقَدْ نَهَدَ ( مِنْ عَرَبِ الْيَمَنِ ):

وَقَدُوا سَنَةَ ( ٩ ) مُقَرَّرِينَ بِالْإِسْلَامِ، وَفِيهِمْ: طَهْفَةَ أَوْ طَهِيَةَ بْنُ أَبِي أَزْهَرَ. فَخَطَبَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ بِلُغَةِ قَوْمِهِ. وَأَجَابَهُ رَسُولُ اللَّهِ وَدَعَا لَهُمْ بِلُغَتِهِمْ. وَلَوْلَا خَشْيَةُ الْإِطَالَةِ، لَاحْتِيَاجِ ذَلِكَ إِلَى تَفْسِيرِ الْمَفْرَدَاتِ، لَأَثَبْتُ هُنَا الْخِطَابَ وَالْجَوَابَ.

(١) أخرجه البخاري في الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد ( ٩٦٧ ) بترقيم ديب البغا، ومسلم في صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء ( ٨٩٧ ).

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ( ٢ / ٢٨٥ ).

(٣) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء ( ٢ / ٢٧٩ ).

## وفود العرب في الحضرة النبوية ( ٤ ) (١)

الأناة:

الأناة: التدبُّر في عاقبة الفعل عندما تدعو النفس إليه، بحيث لا يُقدَّم عليه إلا بعد التأمل. وكان أهل الجاهلية يُعدُّون الإقدام مُطلقاً فضيلةً لتغاليهم في حبِّ الشجاعة والتَّبَرُّؤ من رائحة الجُبْن. قال الحماسيُّ:

إذا همَّ ألقى بينَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ      وَنَكَبَ عَنْ ذِكْرِ الْعَوَاقِبِ جَانِبَا

ومن شواهد ذلك في الوفود قوله للأشج وهو المنذر بن عائد في وفد عبد القيس: « إنَّ فيكَ حَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ ». وفي حديث وفد هوازن: « وقد كنتُ استأْنَيْتُ بكم ».

البشاشة:

هي إظهارُ السُّرور بالوفاد ودَوَامُ اللطف مع العَشيرة. وفي حديث عليٍّ في صفة رسول الله ﷺ: « وأكثرهم عِشْرَةً، قَدْ وَسَّعَ النَّاسَ بِشْرُهُ وَخُلِقَهُ، يُعْطِي كُلَّ جَلْسَائِهِ نَصِيحَةً حَتَّى لَا يَحْسَبُ جَلِيسَهُ أَنَّ أَحَدًا أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْهُ، دَائِمُ الْبِشْرِ، لَيْنُ الْجَانِبِ، يَتَغَافَلُ عَمَّا لَا يَشْتَهِي، وَيَتَبَسَّمُ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ ».

وفي الصحيح أنَّه كان أكثرَ الناسِ تَبَسُّمًا، إلا إذا نزل عليه القرآن، أو وعظ أو خطب. ومن شواهد ذلك، حسنُ لقائه الوفودَ وترحيبه بهم.

ولمَّا استأذن عليه عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ الْفَزَارِيِّ - وكان من الجُفَاة - قال: « ائذَنُوا لَهُ، بِشْرِ أَخُو الْعَشِيرَةِ ». فلمَّا دخل عليه، انبَسَطَ إِلَيْهِ، فلمَّا خرج قالت عائشة: رأيتك حين رأيت الرجلَ قلتُ ما قلتُ، ثمَّ تَلَطَّفْتَ في وجهه، فقال: « متى عَهِدْتَنِي فَحَاشَا؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ أَتَقَاهُ النَّاسُ لِشَرِّهِ » (٢).

التواضع:

التَّوَاضَعُ: هو تَفَاعُلٌ مِنَ الْوَضْعِ وَالضَّعْفَةِ، وهي إنزالُ الشَّيْءِ عن ارتفاعِ إلی انخفاضٍ.

(١) وردَ المقال في مجلة الهداية، تحت عنوان: وفود العرب في الحضرة النبوية، العدد (٣) السنة (٩) (يناير - فبراير ١٩٨٢م).

(٢) أخرجه مالك في الموطأ، كتاب الجامع (٣٣٥٣) طبعة مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان. تحقيق محمد مصطفى الأعظمي.



فالتواضع تكلف الصَّعَة فهو صفةٌ بمعنى نزول الرفيع عن رفعتِه وتَظَاهُرِه بِدونها، فلا يُعَدُّ التواضع تواضعاً إلا من رفيع المنزلة، وإلا كان من وضع النَّفس في موضعها، فالرفيع إذا تواضع كان الناس موقنين برفعتِه، والوضيع إذا تواضع لم يشعر الناس بأنه مُتواضع، وقد أبدع المَعريُّ في قوله:

عَلَوْتُمْ فَتَوَاضَعْتُمْ عَلَى ثِقَةٍ لَمَّا تَوَاضَعَ أَقْوَامٌ عَلَى غَرَرٍ

وقد كان التواضع خلقَ رسولِ اللَّهِ ﷺ. أخرج أبو داود عن أبي أمامة الباهلي، قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُمْنَا لَهُ، فَقَالَ: «لَا تَقْوَمُوا كَمَا تَقْوَمُ الْأَعَاجِمُ، يُعْظَمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»<sup>(١)</sup>. وقد وَقَعَ في وفد بني عامر الثاني لَمَّا قالوا له: أنت أفضلنا فضلاً وأعظمتنا طولاً. فقال: «قولوا بقولكم أو بعض قولكم»<sup>(٢)</sup>، فجمع بين التواضع وتعليم حق الرسول لأُمَّتِه.

الأدب مع الله تعالى:

إذا ذُكِرَ الأدبُ مع الله في شمائلِ رسوله فالمعني به ملازمته لإعلان ذلك في كل مناسبة؛ لأنَّ الأدب مع الله عند تعيينه، أمر لا يخلو عنه مؤمن به، ولكن للقلوب غفلات وللمناسبات قُرب وبعُد مداخل الضلالة عنها.

هُدِيَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَى الدَّأْبِ عَلَى إِظْهَارِ عَظْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَاضْمِحْلَالِ كُلِّ رِفْعَةٍ تُجَاةَ عَظَمَتِهِ سَبْحَانَهُ. فَكَانَ الْمُسْلِمُونَ بِسَبَبِ ذَلِكَ أَبْعَدَ الْأُمَمِ عَنِ الْإِشْرَاقِ وَعَنِ الضَّلَالِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى. وَهَذَا شَيْءٌ خَصَّ اللَّهَ بِهِ هَذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ. وَكَانَ يَقْصِدُ أَنْ يُظْهِرَ هَذَا الْأَدْبَ فِيمَا يَرْجِعُ إِلَى شَخْصِهِ الْكَرِيمِ لِيُعَلِّمَ سَائِرَ الْأُمَّةِ أَنَّ أَعْظَمَ الْمَخْلُوقَاتِ وَأَشْرَفَهَا قَدْ سَاوَى بَقِيَّةَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي الْعِبُودِيَّةِ، فَلَا يَكُونُ لِلشَّيْطَانِ مَدْخُلٌ إِلَى نَفْسِهِمْ بَوْسَاوَسِ الْحُلُولِ وَالنَّبُوءَةِ أَوْ تَعَدُّدِ الْأَلْهَةِ أَوْ الْإِسْتِغْنَاءِ بِرَسُولٍ مُقَرَّبٍ عَنِ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وقد قال لخطيب بعض الوفود لَمَّا قال: مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشِدَ، وَمَنْ يَعْصِمُهُمَا فَقَدْ غَوَى: «بَسَّ حَظِيْبُ الْقَوْمِ أَنْتَ»<sup>(٣)</sup>، أَنْكَرَ عَلَيْهِ الْجَمْعَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِضْمِيرٍ يَسْتَوِي فِي ظَاهِرِ لَفْظِهِ الْمُعَادَانِ، فَيَفْتَحُ فِي قُلُوبِ قَرِيبٍ عَهْدُهَا بِشْرِكٍ، مَنَافَذَ

(١) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في قيام الرجل للرجل (٥٢٣٠) طبعة دار الفكر بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٢) أخرجه أبو داود في الأدب، باب كراهية التمدح (٤٨٠٦) طبعة دار الفكر بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، مذيلاً بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء (١ / ٢١).

لاعتقاد مُدانة بعض المخلوقات للخالق سبحانه. وحسبك في أدب رسول الله مع ربه أنه اختار أن يكون شعاره وصف العبودية له، فإنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً، أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً.

وفي خبر وفد بني عامر الثاني أنهم قالوا: يا رسول الله، أنت سيدنا، فقال: « السيد هو الله ». وفي خبر وفد فزارة، لما سأله الاستسقاء، ثم سأله الدعاء برفع المطر قال: « اللهم حوّلنا ولا علينا » إلخ. فلم يسأل الله رفع شيء، كان أصله نعمة أنعمها عليه، أجب بها دعاءه، بل سأل صرف تلك النعمة إلى جهات أخرى.

**التسامح:**

لقب اصطلاح عليه، يُعبر عن حُسن المعاملة الإسلامية مع أهل الأديان الأخرى، فيما لا يضر بالإسلام. وقد اكتسب المسلمون هذا الخلق من أخلاق رسولهم حتى صار ذلك شعاراً لهم، شهد لهم به المنصفون من حكماء ومؤرخي الأمم. ومن شواهد ذلك في أخبار الوفود ترخيصه لنصارى وفد نجران أن يصلوا صلاتهم حين وجب وقتها في مسجده. وإعفاؤه وفد ثقيف من تكسير أصنامهم بأيديهم، واستمع مفاخر وفد تميم بجاهليتهم؛ إذ كان قد أعد لهم من الرد عليهم ما يدفع تطاولهم على الإسلام.

**الجلالة والمهابة:**

كل تلك الأخلاق اللينة اللطيفة قد كان محفوفاً بجلالة قدسيّة وعظمة نفسيّة، جلل الله بها رسوله ﷺ، فكان يحصل لرائيه عند رؤية ذاته الشريفة روعة ومهابة له، فقد ورد في الحديث أنه دخل عليه رجل فأصابته رعدة فقال له: « هوّن عليك، فإني لست بمليك »<sup>(١)</sup>. وأنه دخلت عليه قبلة العنزّة فلما رآته أرعدت من الفرق فقال لها: « يا مسكينة، عليك السكينة »<sup>(٢)</sup>؛ أي: الأمن. وقد جاء في حديث وفد عبد القيس أنهم لما رأوا رسول الله، رموا بأنفسهم عن ركائبهم بباب المسجد وتسابقوا إليه. وفي حديث وفد بني عامر أن عامر بن الطفيل وأربد بن قيس كانا تمالأ من قبل الدخول على النبي على أن يكلمه أحدهما، ويقتله الآخر. فلما لقياه ألقى عليهما روعة صرفتهما عن مرأهما. ولقد صدق كعب بن زهير إذ حكى في قصيدته كيف تهيب لقاء الرسول بقوله:

(١) أخرجه ابن ماجه في الأطلعة، باب القديد (٣٣١٢).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٧ / ٢٥)، وابن سعد في الطبقات الكبرى (١ / ٣١٩) طبعة دار صادر، تحقيق إحسان عباس.

لَقَدْ أَقَوْمٌ مَقَامًا لَوْ يَقُومُ بِهِ      أرى وَأَسْمَعُ مَا لَوْ يَسْمَعُ الْفَيْلُ  
لَظَلَّ يَرْعُدُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ      مِنَ الرَّسُولِ بِإِذْنِ اللَّهِ تَنْوِيلُ

### الشجاعة:

والشجاعة الثبات أمام ما يُخشى منه تَلَفُ النَّفْسِ أو الجسم. وهي صفة النفس من أباة الضيم والثقة بالغناء، واستخفاف المتألف، ومحبة المحمودة. فهي من أجل الصفات لما تُنبئ عنه من الأخلاق السامية. ولذلك كانت نادرة في البشر. وأشهر الأمم بالاتصاف بها الأمة العربية لرسوخ تلك الأخلاق الأربعة في نفوسهم، فلما أضيف إلى تلك الأخلاق الإيمان المشيت للحياة الخالدة زادت تلك الصفة تمكناً في نفوس من أسلم من العرب، ولا شك أن سيد المسلمين يكون أعظمهم حظاً من الاتصاف بهذه الصفة الجليلة. وكيف لا وقد عرّف الحقيقة بكنهها وعلم معنى القضاء والقدر حق العلم. وقد ثبت في الصحيح عن البراء بن عازب وسلمة بن الأكوع والعباس وأنس بن مالك وعبد الله بن عمر وعلي وعمران بن حصين: كان رسول الله أشجع الناس، وأولهم في التقدم إلى العدو، وقد فر المسلمون يوم حنين ولم يثبت للمشركين إلا رسول الله وهو هاجم عليهم يقول:

«أنا النبي لا كذب      أنا ابن عبد المطلب»<sup>(١)</sup>

وقد تعود رسول الله في دعائه من الجبن كما في الصحيح، فدل هذا التعود على أنه قد برأه الله من شائبة هذه الصفة براءة تامة. وحسبك من شجاعته ﷺ لقاءه للوفود ذوي العدد مع كونهم في أقرب عهد من الكفر به وعداوته أو مستمرين على ذلك، فلم يلقهم بسلاح ولا بحذر ولا خشية غيبتهم. وقد وقف للناس في منصرفه من حنين وقد أحاطوا به يسألونه فلم يحذرهم.

نعم، قد كان يحترس في أوقات الغفلات تأدباً مع الله تعالى، وتلبساً بمظهر من مظاهر الخدمة في تبليغ الرسالة قبل أن يتلقى من ربه الإذن بالتوكل عليه في ذلك أيضاً.

ففي سنن الترمذي عن عائشة قالت: كان رسول الله يُحرس (أي: يحرسه أصحابه في أوقات نومه وغفلته، يتناوبون ذلك) حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]، فأخرج رسول الله رأسه من القبة (أي: قبة كان نائماً بها قبل نزول الآية

(١) أخرجه البخاري في الجهاد والسير، باب من قال: خذها وأنا ابن فلان (٢٨٧٧) بترقيم ديب البغا. ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة حنين (١٧٧٦). ذكر ابن حجر في فتح الباري: «أنه خرج موزوناً ولم يقصد به الشمر».

وَيَحْرُسُهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ( فَقَالَ : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، أَنْصِرُوا عَنِّي ، فَقَدْ عَصَمَنِي رَبِّي » <sup>(١)</sup> . وَكَانَ مِمَّنْ حَرَسَهُ بِهَا فِيمَا أَحْصَيْتُ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، كَمَا فِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ ، وَسَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ ، وَأَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، وَالْأَدْرَعُ السَّلْمِيُّ ، وَخَشْرَمٌ <sup>(٢)</sup> بَنُ الْحُبَّابِ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَالزَّبِيرُ ، وَعَبَادُ بْنُ بَشْرٍ ، وَالضُّحَّاكُ بْنُ سَفْيَانَ الْكَلَابِيِّ الَّذِي كَانَ يَقُومُ عِنْدَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ مُتَوَشِّحًا سَيْفَهُ ، فَلَقَّبُوهُ سَيْفَ رَسُولِ اللَّهِ .

### الشدة في الدين:

أَيُّ الشَّدَةِ فِي إِقَامَتِهِ وَحِفْظِ قَوَاعِدِهِ ، فَقَدْ وَرَدَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ إِذَا أَنْتَهَكَ حُرْمَةَ الدِّينِ ، لَا يَقُومُ لِغَضَبِهِ أَحَدٌ . وَقَدْ قَالَ لِمُسْلِمَةَ فِي وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ : « لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا السَّوْطَ مَا أُعْطَيْتَكَ » <sup>(٣)</sup> ؛ أَيُّ : إِذَا كَانَ عَلَى شَرْطِ جَعْلِ الْأَمْرِ لِمُسْلِمَةَ . وَقَدْ غَضِبَ مِنْ شَفَاعَةِ أَسَامَةَ فِي إِقَامَةِ حَدِّ السَّرْقَةِ عَلَى الْمَخْزُومِيَّةِ .

### الصدق:

الصَّدْقُ مِنَ الْخِصَالِ الْجَلِيلَةِ ؛ لِأَنَّهُ يُؤْذَنُ بِشِجَاعَةِ النَّفْسِ وَغِنَاهَا عَنِ الضَّعْفِ وَبَشْرَفِ الضَّمِيرِ وَطَهَارَتِهِ بِحَيْثُ لَا يَرَى حَاجَةً إِلَى كِتْمِ شَيْءٍ أَوْ تَغْيِيرِ شَيْءٍ مِمَّا يَرِيدُ الْإِخْبَارَ عَنْهُ أَوْ الْوَعْدَ بِهِ . وَقَدْ وَصَفَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ فَقَالَ : ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ ﴾ [ الزمر : ٣٣ ]

يَعْنِي : النَّبِيَّ ﷺ . وَلَا يَخْفَى عَلَى الْمُتَصَلِّعِ مِنَ الْعَرَبِيَّةِ مَا فِي الْبَاءِ مِنْ مَعْنَى مُلَابَسَةِ الصَّدْقِ لَهُ حَتَّى لَا يُفَارِقَهُ كَقَوْلِهِ فِي الزَيْتُونَةِ : ﴿ تَبْتُ بِالْذَّهْنِ ﴾ [ المؤمنون : ٢٠ ] ، وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ : ( كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً ) . وَقَدْ قَالَ لَوْفِدِ هَوَازِنَ : « أَحَبُّ الْحَدِيثِ إِلَيَّ أَصْدَقُهُ » <sup>(٤)</sup> . وَقَالَ : « مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةٌ الْأَعْيُنِ » <sup>(٥)</sup> ؛ أَيُّ : الْإِشَارَةُ بِالْعَيْنِ لِتَحْصِيلِ مُرَادِهِ بَدُونَ كَلَامٍ ؛ لِأَنَّهُ ضَرَبُ مِنَ الْمَوَارِبَةِ وَإِبْطَانُ خِلَافِ الظَّاهِرِ .

### الجود:

الْجُودُ حُبُّ إِعْطَاءِ الْمَالِ اخْتِيَارًا دُونَ مَسْأَلَةٍ وَعَنْ غَيْرِ تَفْضِيلٍ . قَالَ سَقْرَاطُ : « الْجَوَادُ هُوَ

(١) أخرجه الترمذي في التفسير، باب سورة المائدة (٣٠٤٦).

(٢) ورد في أسد الغابة والاستيعاب « خشرم بن الحباب » .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب قصة الأسود العنسي (٤١١٨) بترقيم ديب البغا. وفيه: « لو سألتني هذا القضيبي » .

(٤) أخرجه البخاري في الخمس، باب ومن الدليل على أن الخمس لنواب المسلمين (٢٩٦٣) بترقيم ديب البغا.

(٥) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب قتل الأسير ولا يعرض عليه الإسلام (٢٦٨٣) طبعة دار الفكر بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

الذي يُعطي بلا مسألة ليصون المعطى عن ذل السؤال . فإذا كان كذلك لزم منه أن يكون أتم الجود ما كان مع عدم تفضل المعطي عما أعطاه، قال الله تعالى: ﴿ وَنُؤْتِرُوكَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر: ٩]، وقال الشاعر:

لَيْسَ الْعَطَاءُ مِنَ الْفُضُولِ سَمَاحَةً      حَتَّىٰ تَجُودَ وَمَا لَدَيْكَ قَلِيلُ

وكذلك كان جوده ﷺ، ففي الحديث الصحيح عن جابر وأنس وسهل بن سعيد: ما سئل رسول الله شيئاً فقال: لا<sup>(١)</sup>. وقال ابن عباس: كان رسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة<sup>(٢)</sup>. وقد فطر الله رسوله على هذا الخلق العظيم من قبل بعثته، ففي الحديث الصحيح في البخاري وغيره أن خديجة - رضي الله عنها - حين أخبرها رسول الله بما رأى أول وحي، وخشي أن يكون من الشيطان، علمت أنه رؤية الملك بقولها: إنك لتحمل الكُلَّ، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق<sup>(٣)</sup>. وقد رد رسول الله على هوازن سببهم وكان ستة آلاف نفس بين نساء وذرية، وتحمل ذلك للمسلمين الذين وقع السبي في مقاسمهم بأن يعضهم إياه من أول ما يفيء الله عليه. ومعلوم أن الفياء من حقه. وفي صحيح الترمذي أن رجلاً سأل النبي فقال: « ما عندي شيء، ولكن ابتع عليّ - ( أي اشتر بالنسيئة ما تحتاجه وأحل البائع عليّ ) - فإذا جاءنا شيء قضيناها ». فقال له عمر: ما كلفك الله ما لا تقدر عليه! ففكرة رسول الله ذلك، فقال له رجل من الأنصار: يا رسول الله، أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالاً. فتبسّم رسول الله وعرف البشر في وجهه، وقال: « بهذا أمرت »<sup>(٤)</sup>. وفي صحيح البخاري: عن سهل بن سعيد قال: جاءت امرأة إلى رسول الله بريدة، فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه؛ فأخذها رسول الله محتاجاً إليها، فلبسها فأراها عليه رجل من أصحابه ( قيل: هو عبد الرحمن بن عوف، وقيل: سعد بن أبي وقاص ) فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه البردة، فاكسنيها. فقال: « نعم ». فأعطاه إياها، فلما قام رسول الله، لأمه الناس فقالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي، أخذها محتاجاً إليها ثم سألته إياها، وقد علمت أنه لا يرُدُّ سائلاً، فقال: رجوت بركتها، لعلي أكفن فيها فكانت كفنه<sup>(٥)</sup>.

- (١) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه ( ٢٣١١ ).
- (٢) أخرجه البخاري في التفسير، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ ( ٤٧١١ ) بترقيم ديب البغا.
- (٣) أخرجه البخاري في التفسير، باب تفسير سورة العلق ( ٤٦٧٠ ) بترقيم ديب البغا، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ( ١٦٠ ).
- (٤) شئائل الترمذي ( ٣٥٦ ).
- (٥) أخرجه البخاري في الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل ( ٥٦٨٩ ) بترقيم ديب البغا.

### الثقة بالله:

أي الثقة بأن ما وعده الله من التأييد والنصر واقع لا محالة، فقد ثبتت الله نفسه بقوله: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩]، من أجل ذلك لم يكن يتألف الناس بشيء من التنازل في حقوق الله تعالى، وذلك شأنه مع عامر بن الطفيل في وفد بني عامر، ومع مسلمة في وفد بني حنيفة، ومع ثقيف، وكان وهو في حال ضعف الإسلام يوم بيعة وفد الأنصار بالعقبة الثانية، أخذ عليهم العهد بالإسلام، مع شروط خمسة شرطها عليهم، ولم يراقب خشية نفورهم. ومن ثقته بالله أن كتب للدارين الذين وفدوا بمكة قبل الهجرة كتاباً أقطعهم به أرضاً من بلادهم مما فتح عليه بعد مدة طويلة.

وفي الصحيح أن خباب بن الأرت قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة في ظل الكعبة، وقد لقينا من المشركين شدة، فقلت: ألا تدعو الله؟ ففعد وهو محمراً وجهه، فقال: « لقد كان من قبلكم يوضع المنشار على مفرق رأسه فيشق باثنين ما يصرفه ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ما يخاف إلا الله »<sup>(١)</sup>.

### صدق الفراسة:

فراسته ﷺ نور إلهي من إلهام روعي في غير باب التشريع ولا التعليم، جعلها الله تعالى مشكاة لرسوله، يطلع بها على ما في نفوس الوفود وغيرهم، كقوله في وفد الأشعريين: « أتاكم أهل اليمن هم أرق أفئدة »، وقوله في بعض وفد عبد القيس: « إن فيك خصلتين يحبهما الله ورسوله: الحلم والأناة ».

### سياسة الأمة:

لا حاجة بي إلى الإطالة في بيان ما أسداه هذا الرسول الكريم - عليه أفضل الصلاة والتسليم - لهذه الأمة من تدبير مصالحتها، وتأسيس هيكل مستقبلها على أساس متين الدعائم، فقد أغناني عن ذلك أن صفة الرسالة تجمع كل معاني السعي لخير الأمة في العاجل والآجل.

ولكني أحببت أن أنبه إلى حرص رسول الله على بث المصالح ودأبه على ذلك في كل مناسبة، فقد رأيت ما كان في وفد البيعة الأولى بالعقبة، وهم طائفة استجابت له من غير قومه، فقد كان له في استثمار هذه الفرصة لنفع الدين مسلكان: أحدهما أن يتخذ

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٣٤١٦) بترقيم ديب البغا.

من ذلك إعلاتنا لتأييد دعوته وتظاهراً على أعدائه من أهل مكة، وذلك بأن يستصحب رجال ذلك الوفد، فيدخل بهم مكة، فيغيظ بهم المشركين ويُرهبهم أنه إن عدم نصرته جمهرتهم، فإن الله عوّضه أنصاراً من غيرهم. والمسلك الثاني أن يعمد إلى هذا التوفيق الذي وُفِّقَه الأنصار، فيجعله لمصلحتهم أنفسهم، وهو ما سلكه إذ أمرهم بالرجوع إلى مدينتهم وأصحابهم مصعب بن عمير، ليعلمهم ويؤمّمهم جمعاً لكلمتهم. وقد قال للمسلمين يوم وفد هوازن: «إننا لا ندري من أذن منكم ممن لم يأذن، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاًؤكم أمركم». فعلمهم نظاماً جليلاً ما كانوا يعرفونه هو نظام النيابة في نواب الأمة ومصالحها.

### الرأفة بالأمة:

الرأفة وجدان نَفْسَانِيٍّ مخلوط من محبة وخوفٍ فهي مَحَبَّةٌ للمرؤوف به مع خوف عَنَتِهِ أو أَلَمِهِ. فهي تستلزم الفكر في إيجاد الخَيْرِ بطرق سالمة من المشقة أو الإعنات واختيار أَوْضَمِّ الوَسَائِلِ لحصول هذا الغرض، فهي أخصُّ من الرَّحْمَةِ من وجه؛ لأنَّ الرَّحْمَةَ إيصالُ العَوَثِ إلى المَرْحُومِ في وقت الحاجة بقطع النظر عن التدبير في دفع ما يعتريه من الحرج، ولذلك فالرحمة تَتَوَجَّهُ إلى المَرْحُومِ في وقت الاحتياج، والرأفة تَتَوَجَّهُ إليه قَبْلَ الاحتياج، وفي وقت الاحتياج. وأثر الرَّحْمَةِ هو دَفْعُ حَاجَةِ الْمُضْطَرِّ. وأثر الرَّأفَةِ صَدُّ الضَّرَرِ عنه، ولذلك وَقَعَ الجَمْعُ بَيْنَهُمَا في وَصْفِهِ ﷺ، في قوله تعالى:

﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي حديث مالك بن الحويرث الليثي: أتيت النبي في وفد من قومي، ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين ليلةً، وكان رحيماً رقيقاً، فلما رأى أننا اشتهينا أهلنا قال: «ارجعوا إلى أهليكم»<sup>(١)</sup>... الحديث.

وقد كان رسول الله يفرح لإسلام من يُسلم، ولتوبة من يتوب، حتى إن أبا بكرٍ بشره بوفد نقيفٍ حين جاؤا مسلمين؛ إذ علم أن رسول الله مُتَكَدِّرٌ من تأخر إسلامهم عن إسلام أهل مكة، فاستمنح المغيرة بن شعبة أن يؤثره بالسبق بهاته البشارة كما تقدم. وقد كتب لملوك حمير مع وفدهم يوصيهم بأقوامهم رأفة بقومهم من أن يلقوا من ملوكهم بعد الإسلام ما كانوا يلقونه فيهم من الشدة والجبروت. وقد كان يوصي الوفود بأن يُبلغوا

(١) أخرجه البخاري في الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٥٥٧٦) بترقيم ديب البغا.

الإسلام والشريعة لِمَنْ وَرَاءَهُمْ.

وفي الحديث الصحيح: « لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ، وَقَدْ اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ »<sup>(١)</sup>.

صلى الله عليه وسلم، وِجَازَاهُ أَحْسَنُ مَا جَازَى بِهِ رَسُولًا عَنْ أُمَّتِهِ وَبِمَا هُوَ أَهْلُهُ. وَهَذَا قُلٌّ مِنْ كَثِيرٍ، وَقَطْرَةٌ مِنْ بَحْرٍ، صَدَرَتْ عَلَى قَدَرِ قَرِيحَةِ النَّازِرِ، وَاقْتَضَبَتْ مِنْ بَيْنِ أَعْدَاقِ رَدَاحٍ فِي رَوْضِ النُّبُوَّةِ النَّاصِرِ، وَكَيْفَ يَطْمَعُ عَقْلٌ لَهُ حُدُودٌ مَحْصُورَةٌ فِي نِظَامِ الْعُقُولِ أَنْ يَبْلُغَ مَعْرِفَةَ غَايَةِ فَيُوضَاتِ إِلَهِيَّةً عَلَى أَفْضَلِ رَسُولٍ؟! وَرَحِمَ اللَّهُ الْحَسَنَ الْحَكِيمِيَّ إِذْ يَقُولُ:

أَيُّرُومَ مَخْلُوقٍ مَدِيحَكَ بَعْدَمَا      أَثْنَى عَلَى أَخْلَاقِكَ الْخَلَّاقُ

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب لكل نبي دعوة مستجابة ( ٥٩٤٥ ) بترقيم ديب البغا، ومسلم في الإيمان، باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأُمَّتِهِ ( ١٩٨، ١٩٩ ).



## الشائِل المحمدية<sup>(١)</sup>

لا أحسبُ مُسَلِّماً يُخَيَّرُ في أيِّ الأمانِي أحبُّ إليه أن يُحَصَّلَ - بعد تعدادها - ثمَّ لا يَكُونُ مُخْتَاراً منها أن يَرى ذاتَ نَبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ. وإذا كان رَسولُ اللَّهِ قد تَمَنَّى أن يَرى مَنْ يَجِيءُ بَعْدَهُ مِنَ المُسَلِّمِينَ لِمَحَبَّتِهِ أُمَّتِهِ، كما في المُوطَأ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «وَدِدْتُ أَنِّي قد رأيتُ إِخواننا». فقال لَهُ أَصحابُهُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا بِإِخوانِكَ؟ قال: «بَلْ أَنْتُمْ أَصحابِي، وإِخواننا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ... وَأَنَا قَرظُهُمْ عَلى الحَوْضِ»<sup>(٢)</sup>، فَكَيْفَ لا تَكُونُ شِدَّةَ حُبِّ الأُمَّةِ نَبِيَّها مَبَعَثَ تَمَنِّيهِمْ أن يَرَوْهُ؟.

فلئن فاتهم إمكان رؤية ذاته الشريفة، فلهم في التعلق بصفاتهِ سَلوَى كما قال البوصيري:

فَتَنَزَّرَ في ذاتِهِ وَمَعانِيهِ  
إِستِماعاً إِنْ عَزَّزَها اجْتِلاءً

ولأجل هذا، تَنافَسَ السَّلَفُ الصَّالِحُ الَّذِينَ لَمْ يُشاهِدُوا ذاتَ النَّبِيِّ ﷺ أو لَمْ تَعَلَّقْ تفاصيل صفاتِهِ المُبارَكَةِ بِمُخَيَّلَاتِهِمْ؛ لِصِغَرِ سَنَّتِهِمْ حينَ رَأوهُ، دائِبِينَ عَلى طَلَبِ تَعَرُّفِ صفاتِهِ، عَساهُمْ أن يَتَحَمَّلُوا مِنَ تلكَ الصِّفَاتِ مَلامِحَ ذاتِهِ المُبارَكَةِ، فَقد سَأَلَ الحَسَنُ والحُسَيْنَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما - خالَهُما هَندُ بنُ أَبِي هالَةَ<sup>(٣)</sup> - وكانَ وَصافاً - عَن صَفَةِ رَسولِ اللَّهِ. وسَأَلَ الحُسَيْنَ أباهَ عَلِيًّا - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما - ثُمَّ حَدَّثَ بِها أَخاهُ الحَسَنَ، وَقَدِ اسْتَشعَرَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحابةِ أَهميَّةَ جَمعِ صفاتِ رَسولِ اللَّهِ، لِمن يَأْتِي مِنَ أُمَّتِهِ، فَظَهَرَ مِنْهُمُ حِرصٌ عَلى تَحديثِ النَّاسِ بِذلكَ، فَكانَ أَبُو هُرَيْرَةَ ﷺ إِذا رَأى أَحداً مِنَ الأَعْرابِ، أو أَحداً لَمْ يَرِ النَّبِيَّ ﷺ، يَقولُ لَهُ: أَلَا أَصِفُ لَكَ النَّبِيَّ؟ ثُمَّ يُفِيضُ في وَصْفِ شَمائِلِهِ.

وجاءَ رَجُلٌ مِنَ بَنِي عامِرٍ إِلى أَبِي أَمامَةَ الباهليِّ، فَقالَ لَهُ: يا أبا أَمامَةَ، إِنَّكَ رَجُلٌ عَرَبِيٌّ، إِذا وَصَفْتَ شَيْئاً شَفِيتَ مِنْهُ. فَصَفَ لي رَسولَ اللَّهِ كَأَنِّي أَراهُ. فَأَفاضَ أَبُو أَمامَةَ

(١) صدرَ هذا المقال بعنوان « الشائِل المحمدية »، بالمَجَلَّةِ الزيتونيَّة، عدد (٩) سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٢٩م) ص (٤٥٢ - ٤٥٦).

(٢) أخرجه مسلم في الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتججيل في الوضوء (٢٤٩).

(٣) هَندُ بنُ أَبِي هالَةَ، أُمُّ حَديجة بنت خويلد - رَضِيَ اللَّهُ تَعالَى عَنْها - فَهُوَ رَبيبُ رَسولِ اللَّهِ ﷺ، وَأخو فاطمة لأمها، فلذلك دَعاهُ الحَسَنُ والحُسَيْنَ خالَهُما، تُوفِّيَ يَومَ الجُمُعَةِ سنة (٣٦) مع جندِ عَلِيٍّ ﷺ.

في ذكرِ شَمائلِهِ ﷺ، فَصَارَ مَثَلُ الْمُسْلِمِينَ فِي ذَلِكَ كَمَثَلِ قَوْلِ بَشَّارٍ:

قَالُوا بِمَنْ لَا تَرَى تُعْنَى فَقُلْتُ: لَهُمْ الْأُذُنُ كَالْعَيْنِ تَوْتِي الْقَلْبَ مَا كَانَا

وإنَّ مَحَبَّةَ الدَّاتِ تَقْتَضِي مَحَبَّةَ ذِكْرِ صِفَاتِهِ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّةَ ذِكْرِ الصِّفَاتِ تَقْتَضِي مَحَبَّةَ مَنْ صَاحِبِ الصِّفَاتِ، بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ حَدِيثُ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - فِي الصَّحِيحِينَ، أَنَّ رَجُلًا كَانَ يَقْرَأُ لِأَصْحَابِهِ فِي صَلَاتِهِمْ، فَيَخْتِمُ بِ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: « سَلُوهُ لَأَيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذَلِكَ؟ » فَسَأَلُوهُ فَقَالَ: لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحَبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: « أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ »<sup>(١)</sup>.

وَلَقَدْ يَسَّرَ اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ أَلْهَمَهُمُ الْبَحْثَ عَنِ شَمَائِلِ رَسُولِ اللَّهِ، قَبْلَ انْقِرَاضِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ؛ لِيَبْقَى مِنْهَا أَثَرٌ قَائِمٌ لِمَنْ يَأْتِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي سَائِرِ الْعُصُورِ وَالْأَجْيَالِ، يُرَدُّ عَلَى قُلُوبِهِمْ رَوْحًا يَهْبُتُ عَلَى لَهَيْبِ أَشْوَاقِهِمْ إِلَى ذَاتِ نَبِيِّهِمْ. فَانْبَرَى الْمَسْلُومُونَ فِي آخِرِ عَصْرِ الصَّحَابَةِ إِلَى تَقْيِيدِ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمُبَارَكَةِ، كَمَا يُنْبِئُنِي بِذَلِكَ وَجَدَانَا مُعْظَمَ أَحَادِيثِ شَمَائِلِهِ ﷺ مَرْوِيًّا عَنِ الْمُعَمَّرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ مِثْلَ مَا يُرَوَى عَنِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَسَهْلِ ابْنِ سَعْدٍ، وَأَبِي الطُّفَيْلِ عَامِرِ بْنِ وَائِلَةَ، آخِرِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ وَفَاءً، أَوْ عَمَّنْ تُبَتَّتْ لَهُمُ الصُّحْبَةُ بِالْمَوْلِدِ، الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ بِخَاصَّةِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ اتِّصَالٌ مِثْلَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فِيمَا رَوَاهُ عَنْ أَبِيهِمَا - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ - أَوْ عَنِ خَالِهِمَا هِنْدِ بْنِ أَبِي هَالَةَ ؓ. وَقَدْ كَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ إِذَا رَأَوْا رَجُلًا يُشْبِهُ رَسُولَ اللَّهِ، اهْتَزَّتْ أَنْفُسُهُمْ إِلَيْهِ، شَوْقًا إِلَى شَبِيهِهِ، فَقَدْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ إِذَا رَأَى الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، يَقُولُ: « بِأَبِي شَيْبَةَ النَّبِيِّ، لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيِّ »<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ كَابِسُ<sup>(٣)</sup> بِنُ رُبَيْعَةَ يُشْبِهُ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَانَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ إِذَا رَأَاهُ بَكَى.

وَبَلَغَ خَبْرُهُ إِلَى الْخَلِيفَةِ مُعَاوِيَةَ ؓ ( وَهُوَ مِنْ أَعْرَفِ النَّاسِ بِصِفَةِ رَسُولِ اللَّهِ؛ إِذْ كَانَ صَاحِبُهُ وَصَهْرُهُ وَكَاتِبَ وَحِيهِ )، فَأَرْسَلَ مُعَاوِيَةَ فِي أَنْ يُوجِّهَ إِلَيْهِ كَابِسُ، مِنْ الْبَصْرَةِ

(١) أخرجه البخاري في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٦٩٤٠) بترقيم ديب البغا، ومسلم في صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٨١٣).

(٢) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب الحسن والحسين - رضي الله عنهما - (٣٥٤٠) بترقيم ديب البغا.

(٣) كابس - بكاف في أوله - ابن ربيعة، من بني سامة بن لؤي، من أهل البصرة، تابعي.

إلى دِمَشْقَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، قَبَّلَ مُعَاوِيَةَ بَيْنَ عَيْنَيْ كَابِسٍ وَأَقْطَعَهُ.  
وكانوا يُحْصُونَ الصَّحَابَةَ الَّذِينَ يُشْبَهُونَ رَسُولَ اللَّهِ فِي كَثِيرٍ مِنْ شَمَائِلِهِ، وَيُحْصُونَ  
مَنْ كَانَ يُشْبَهُهُ مِنَ التَّابِعِينَ، فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ قَوْلِ الشَّيْخِ ابْنِ الْفَارِضِ:

وَأَبَيْتُ سَهْرَانًا أَمْثَلُ طَيْفَهُ  
لِلْعَيْنِ كَيْ أَلْقَى خَيْالَ خَيْالِهِ

ثُمَّ انْقَرَضَ عَصْرُ الصَّحَابَةِ فَغَفَلَ النَّاسُ عَنْ مَعْرِفَةِ مَنْ يُشْبَهُ الَّذِينَ يُشْبَهُونَ رَسُولَ اللَّهِ؛  
لَأَنَّ الْمُشَابَهَةَ فِي مَلَامِحِ الذَّاتِ لَا يَتَوَسَّمُهَا إِلَّا الَّذِي عَرَفَ الذَّاتَ، فَتَحْصُلُ لَهُ عِنْدَ  
رُؤْيَةِ مُشَابِهِ الذَّاتِ لَمَحَةٌ مِنْ طَلْعَةِ الذَّاتِ الْمُشَبَّهِ بِهَا، فَهَنَّاكَ يَتَوَسَّمُ الذَّاتَ اللَّائِحَةَ حَتَّى  
يَعْرِفَ مِنْ أَيْنَ جَاءَ الشُّبُهَةُ فَيَصِفُهُ.

وَسَنَذَكُرُ أَسْمَاءَ مَنْ أَحْصَيْنَاهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ السَّادَةِ فِي آخِرِ هَذَا الْمَقَالِ.

### الآثارُ المرويةُ في الشَّمَائِلِ:

إِنَّ أَحَادِيثَ الشَّمَائِلِ الْمُحَمَّدِيَّةِ الرَّاجِعَةَ إِلَى صِفَةِ ذَاتِهِ كَثِيرَةٌ، تَنْتَهِي أَسَانِيدُهَا إِلَى  
ثَلَاثَةِ وَعِشْرِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُمْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، عَائِشَةُ،  
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، أَبُو هُرَيْرَةَ، جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ،  
جَابِرُ بْنُ سَمُرَةَ، أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ، جُبَيْرُ بْنُ مُطْعَمٍ، أَبُو الطُّفَيْلِ، هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ،  
عَمْرُو بْنُ أَخْطَبٍ، سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، أَبُو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَرَجَسٍ، أُمُّ هَانِيَةَ  
بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، أَبُو رَمْثَةَ<sup>(١)</sup>، أُمُّ هِلَالٍ أَوْ أُمُّ بِلَالٍ<sup>(٢)</sup>، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، السَّائِبُ بْنُ يَزِيدٍ،  
أُمُّ سَعِيدِ الْخَزَاعِيَّةِ.

وَقَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَحْذَفَ أَسَانِيدُهَا وَأَخْتَصَرَ مَا وَرَدَ فِيهَا مِمَّا بِهِ الْحَاجَةُ، وَيَسْهَلُ مَعَهُ  
التَّوْصِيفُ، وَأَرْتَبَهُ عَلَى مَوَاضِعِ الْجَسَدِ، وَلَا أَذْكَرُ إِلَّا مَا فِيهِ صِفَةٌ ذَاتٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُشَاهَدَ،  
وَأَتْرَكَ الْمُكْرَّرَ إِلَّا مَا فِي بَعْضِهِ بَيَانٌ أَوْ خِلَافٌ بِالنِّسْبَةِ لِبَعْضِ آخَرَ، مَعَ الْمُحَافَظَةِ عَلَى  
الْأَلْفَاظِ الْوَارِدَةِ فِي الْآثَارِ، وَإِذَا كَانَ بَعْضُ مَا وَصَفَهُ بِهِ الْوَاصِفُونَ يُفَسِّرُ الْبَعْضَ الْآخَرَ  
ذَكَرْتُهُ بِكَلِمَةِ «أَيُّ» التَّفْسِيرِيَّةِ، بَدُونَ وَضْعِ بَيْنَ هِلَالَيْنِ، وَإِذَا كَانَ التَّفْسِيرُ مِنْ كَلَامِي ذَكَرْتُهُ  
بَيْنَ هِلَالَيْنِ.

(١) هُوَ بِكَسْرِ الرَّاءِ وَسُكُونِ الْمِيمِ، اشْتَهَرَ بِكُنْيَتِهِ، وَقِيلَ: اسْمُهُ رِفَاعَةٌ، كَمَا قَالَ التِّرْمِذِيُّ، وَقِيلَ: حَيَّانٌ، زَوَى عَنْ  
النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مِنْ تَيْمِ الرَّبَابِ، كَمَا جَزَمَ بِهِ التِّرْمِذِيُّ، وَقِيلَ: تَمِيمِيٌّ، مِنْ بَنِي تَمِيمٍ.  
(٢) أُمُّ هِلَالٍ بِنْتُ بِلَالٍ، وَقِيلَ: الْعَكْسُ، قِيلَ: هِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ.

## تفصيل الشمائل:

## عموم الجسم والقامة:

لَيْسَ رَسُولَ اللَّهِ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ. وَهُوَ رَبْعَةٌ ( مُتَوَسِّطُ الطَّوِيلِ )، إِلَى الطَّوِيلِ أَقْرَبُ، رَجُلٌ بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ، جَلِيلُ الْكَتْدِ ( مَجْمَعُ الْكَتْفَيْنِ وَهُوَ الْكَاهِلُ )، جَلِيلُ الْمُشَاشِ ( رُؤُوسُ الْمَنَاكِبِ )، ضَخْمُ الْعِظَامِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ ( رُؤُوسُ الْمَفَاصِلِ )، فَخْمٌ مُفَخَّمٌ، ( لَيْسَ بِنَحِيفٍ وَلَا ذَقِيقِ الْعِظَامِ )، لَيْسَ بِالْمُطَهَّمِ ( الْكَثِيرِ اللَّحْمِ )، وَلَمَّا كَبِرَ بَدُنٌ. بَادِنٌ مُتْمَاسِكٌ ( غَيْرُ مُسْتَرَخِي اللَّحْمِ )، أَجْرَدٌ، سَائِلُ الْأَطْرَافِ ( غَيْرُ قَصِيرِ الْيَدَيْنِ وَلَا الْأَصْبَاعِ )، إِذَا مَشَى يَتَكَفَّمًا، يَتَقَلَّعُ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ ( مَكَانٌ مُنْحَدِرٌ ) أَوْ يَنْقَلِعُ مِنْ صَخْرٍ، كَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صَعْدٍ، أَسْرَعُ النَّاسِ مَشِيَّةً، لَوْنُهُ لَيْسَ بِالْأَبْيَضِ الْأَمْهَقِ ( الشَّدِيدِ الْبِيَاضِ ) وَلَا بِالْأَدَمِ ( الْأَسْمَرِ )، أَسْمَرُ اللَّوْنِ إِلَى الْبِيَاضِ؛ أَيُّ أَيْبُضٌ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ، أَزْهَرُ اللَّوْنِ، أَيْبُضٌ، كَأَنَّمَا صَبِغَ مِنْ فِضَّةٍ، أُنُورٌ الْمُتَجَرَّدُ ( مَا تُعْطِيهِ الثِّيَابُ ).

## الرَّأْسُ:

عَظِيمُ الْهَامَةِ، رَجُلٌ الشَّعْرُ؛ أَيُّ لَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ ( الْجَعْدُ الْمَوْصُوفُ بِالْجُعُودَةِ وَهِيَ عُسْرُ ارْتِخَاءِ الشَّعْرِ، وَالْقَطَطُ الشَّدِيدُ الْجُعُودَةُ )، وَلَا بِالسَّبْطِ ( السَّبُوطَةُ ارْتِخَاءُ الشَّعْرِ بَدُونَ التَّوَاءِ ). وَقِيلَ: سَبَطُ الشَّعْرِ ( فَالْمَعْنَى أَنَّهُ إِلَى السَّبُوطَةِ أَقْرَبُ )، عَظِيمُ الْجُمَّةِ، كَانَ شَعْرُهُ فَوْقَ الْوَفْرَةِ وَدُونَ الْجُمَّةِ، ( الْوَفْرَةُ: الشَّعْرُ الْوَاصِلُ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنِهِ )، وَقِيلَ: كَانَ ذَا لِمَّةٍ ( وَلَعَلَّهَا أَحْوَالٌ )، إِنْ فُرِّقَتْ عَقِيقَتُهُ ( شَعْرُ الرَّأْسِ ) فَرَقَهُ، وَإِلَّا تَرَكَهُ. وَكَانَ يُسَدِّلُ شَعْرَهُ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يُسَدِّلُونَ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرُقُونَ، وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ، ثُمَّ فَرَّقَ رَأْسَهُ، وَرَبَّمَا ضَفْرَهُ، فَقَدْ دَخَلَ الْفَتْحُ وَلَهُ أَرْبَعُ ضَفَائِرٍ. وَكَانَ شَعْرُهُ أَسْوَدَ، وَفِي صُدْغِيهِ شَيْبٌ قَلِيلٌ شَعْرَاتٍ .

## الْوَجْهُ:

فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ مَعَ اسْتِطَالَةٍ قَلِيلَةٍ، لَمْ يَكُنْ بِالْمُكَلَّثِمِ ( أَيِ الْمُدَوَّرِ الْوَجْهِ )، وَاسِعَ الْجَبِينِ، صَلَّتِ الْجَبِينِ، سَهْلُ الْخَدَّيْنِ، أَسِيلُ الْخَدَّيْنِ ( لَا نُتُوءَ فِيهِمَا )، وَلِوَجْهِهِ بَرِيقٌ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ .

## الْأَنْفُ:

أَفْنَى الْعَرَنِينَ ( أَفْنَى: طَوِيلٌ بِدِقَّةٍ، وَالْعَرَنِينَ: الْأَنْفُ )، يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشْمَمٌ ( الشَّمْمُ

استواء أعلى قَصَبَةِ الأنفِ مَعَ ارتفاعِ يَسِيرِ فِي الأَرْنَبَةِ)، يُرَى فِي أَنفِهِ بَعْضُ احْدِيدَابِ.  
العَيْنَان:

أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ، أَدْعَجُهُمَا (شَدِيدِ سَوَادِهِمَا). وَقَالَ جَابِرُ بْنُ سَمْرَةَ: إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِ  
قَلْتَ: أَكْحَلُ العَيْنَيْنِ، وَلَيْسَ بِأَكْحَلٍ، أَشْكَلُ (الشَّكْلُ حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِ العَيْنِ)، مُشْرَبُ  
العَيْنَيْنِ حُمْرَةٌ، وَقِيلَ: أَحْوَرُ (شَدِيدِ بَيَاضِ أبيضِ العَيْنَيْنِ)، أَفْحَدُ (طَوِيلُ شَقِّ العَيْنَيْنِ)،  
أَهْدَبُ الأَشْفَارِ (طَوِيلُهَا)، فِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌّ، (كَثْرَةُ شَعْرِ)، نَظَرُهُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلَ مِنْ  
نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ (إِلَى فَوْقِ)، جُلُّ نَظَرِهِ المُلَاحَظَةُ (حَافِظًا نَظَرَهُ).

#### الحاجبان:

أَزْجُ الحَوَاجِبِ (دَقِيقُهُمَا مَعَ تَقْوَسِ)، سَوَابِغُ فِي غَيْرِ قَرْنٍ، وَقِيلَ: مَقْرُونُ الحَاجِبَيْنِ  
أَي: يَقْرَبَانِ مِنَ القَرْنِ، بَيْنَ حَاجِبَيْهِ عِرْقٌ يَدُرُّهُ العَصْبُ.  
الفم:

ضَلِيعُ الفَمِ (وَاسِعُهُ)، حَسَنُهُ، مُفْلَجُ الأَسْنَانِ، إِذَا تَكَلَّمَ رَأَى كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ  
فُئَايَاهُ، صَحِيكُهُ بَسْبَسْمٌ، وَرَبَّمَا صَحَكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِدُهُ.

#### الأذنان:

تَأْمُ الأُذُنَيْنِ.

#### اللحية والشارب:

كَتُّ اللِّحْيَةِ (كَثِيرَةُ الشَّعْرِ)، قَدْ مَلَأَتْ نَحْرَهُ، سَوْدَاءُ اللُّونِ، فِيهَا شَيْبٌ شَعْرَاتُ  
فِي مَقْدَمِهَا مِنْ تَحْتِ الشَّفَةِ السُّفْلَى، وَكَانَ يَقْصُ شَارِبَهُ (مِنْ جِهَةِ الشَّفَةِ).

#### العنق:

فِي عُنُقِهِ سَطَعٌ (بِالتَّحْرِيكِ، ارْتِفَاعٌ)، كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبرِيقُ فِضَّةٍ، إِذَا التَّفَّتَ التَّفَّتَ جَمِيعًا.  
الصَّدرِ والبطن:

سَوَاءُ البَطْنِ وَالصَّدرِ، مَوْصُولٌ مَا بَيْنَ اللَّبَةِ وَالسَّرَّةِ بِشَعْرِ يَجْرِي كَالخَطِّ، أَشْعَرُ أَعَالِي  
الصَّدرِ، لَيْسَ فِي بَطْنِهِ وَصَدْرِهِ شَعْرٌ غَيْرُ ذَلِكَ، دَقِيقُ المَسْرُوبَةِ (بِضَمِّ الرَّاءِ: الشَّعْرُ الَّذِي  
يَكُونُ مِنَ النَّحْرِ إِلَى السَّرَّةِ)، عَارِي الثَّدْيَيْنِ وَالبَطْنِ (مِنْ الشَّعْرِ)، أَجْرَدٌ، بَطْنُهُ أبيضُ  
كَالقَرَاطِيسِ المَثْنِيَةِ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ.

## اليدان:

أَشْعُرُ الذَّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ، طَوِيلُ الرَّنْدَيْنِ، عَبْلُ الْعَضْدَيْنِ ( ضَخْمَهُمَا )، شُنُّ الْكَفَّيْنِ ( غَلِيظُ فَخْمُ )، رَحْبُ الرَّاحَةِ، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ ( رَوْسُ الْعِظَامِ )، سَائِلُ الْأَطْرَافِ، لَيْنُ الْكَفَّيْنِ كَالْحَرِيرِ، وَرُويَ أَنَّ سَبَابَتَيْهِ أَطْوَلُ مِنَ الْوُسْطَيَيْنِ وَهُوَ غَلَطٌ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ ذَلِكَ فِي سَبَابَتِي رَجْلِيهِ كَمَا سَيَأْتِي.

## الظهر:

بَيْنَ كَفَيْهِ فِي ظَهْرِهِ خَاتَمُ النَّبُوَّةِ، وَهُوَ غُدَّةٌ أَي: بِضْعَةٌ نَاشِزَةٌ، حَمْرَاءُ، مِثْلُ زُرِّ الْحَجَلَةِ ( الزَّرُّ بَزَائِي مَكْسُورَةٌ ثُمَّ رَاءٌ: قِطْعَةٌ مِنْ ثَوْبٍ تُحْشَى بِصُوفٍ أَوْ نَحْوِهِ وَتَخَاطُ فَتَكُونُ كَشَكْلِ الْبَيْضَةِ، يُشَدُّ بِهَا شِقَّةُ أَثْوَابِ الْحَجَلَةِ بِفَتْحَتَيْنِ وَهِيَ الْبَيْتُ كَالْقَبَّةِ بَأَنَّ يَدْخُلُ الزَّرُّ فِي عُرْوَةِ تَقَابِلِهِ، فَتَقَعُ الشِقَّةُ عَلَى الشِقَّةِ ).

## الرجلان:

شُنُّ الْقَدَمَيْنِ، حُمْصَانُ الْأَحْمَصَيْنِ، ( ضَامِرٌ وَسَطِ الْقَدَمَيْنِ )، مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ ( أَمْلَسُهُمَا، لَا تُتَوَّءُ فِيهِمَا وَلَا شَقُوقٌ )، قَلِيلُ لَحْمِ الْعَقَبِ، رَحْبُ الْقَدَمَيْنِ؛ أَي: ضَخْمَهُمَا، وَكَانَ فِي سَاقِيهِ حُمُوشَةٌ ( أَي: دَقَّةٌ )، وَلِسَاقِيهِ بَرِيْقٌ.

وَرَوَى أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ وَالْبَيْهَقِيُّ حَدِيثَ أَنَّ سَبَابَتِي سَاقِيهِ أَطْوَلُ مِنَ الْوُسْطَيَيْنِ، لَكِنَ فِي سَنَدِهِ سَلَمَةُ بْنُ حَفْصِ السَّعْدِيِّ، كَانَ يَضَعُ الْحَدِيثَ.

وَالصَّحِيحُ أَنَّ ذَلِكَ لَا أَصْلَ لَهُ، وَأَنَّ خَلَقَ أَعْضَاءَ رَسُولِ اللَّهِ عَلَى أَحْسَنِ خَلْقَةٍ ﷺ.

## من يشبه رسول الله ﷺ:

كَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ وَبَعْضُ التَّابِعِينَ يُشْبَهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يُعَدَّ مِنْ بَعْدِ التَّابِعِينَ أَحَدٌ يُشْبَهُهُ. وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ الَّذِينَ كَانُوا يَرَوْنَ شَبَهَهُ فِي بَعْضِ الذُّوَاتِ قَدْ انْقَرَضُوا فِي عَصْرِ التَّابِعِينَ، فَلَمْ يَبْقَ مَنْ تَلُوحُ لَهُ مَلَاحُ ذَاتِ رَسُولِ اللَّهِ فِي بَعْضِ الَّذِينَ يُشْبَهُونَهُ؛ لِأَنَّ الشَّبَهَ يَحْصُلُ مِنْ مَجْمُوعِ صِفَاتٍ لَا يَتَفَقَّنُ لَهَا إِلَّا مَنْ يَعْرِفُ الْمُشَبَّهَ بِهِ، الْمَوْصُوفَ بِهَا.

وَقَدْ صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ شَبِيهُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] (٣٢١٤) بترقيم ديب البغا.

وأما الذين يُشبهون رسولَ الله من أمته فَتسعةَ عَشَرَ أو عَشْرُونَ وهُم: ابنته فاطمة، وابنه إبراهيم، وجعفر بن أبي طالب. قال له رسول الله: « أَشَبَّهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي »<sup>(١)</sup>، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أخو رسول الله من الرضاعة، وعثمان بن عفان، وقثم بن العباس، والحسن بن عليّ يُشبهه رسول الله في نصفه الأعلى، وكان أبو بكرٍ يلاطفه وهو صغير يقول له: « بأبي شبيهُ النَّبِيِّ، لَيْسَ شَبِيهَا بِعَلِيٍّ »، والحسين يُشبهه في نصفه الأسفل، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وعون بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن عقيل بن أبي طالب، ومسلم بن عقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن الحارث ابن نوفل، الملقب ببيّة، ومسلم بن معتب بن أبي لهب، وعجيز بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب، وكايس بن ربيعة، والسائب بن عبيد، وعبد الله بن عامر بن كريز العبشمي، وعبد الله بن أبي طلحة الخولاني.

وكان كفّ عليّ بن أبي طالب يُشبهه بكفّ رسول الله.

فهؤلاء الذين بلغ بهم استقراي لمن ذكر أنه يُشبه رسول الله ﷺ، وأنّ مُشابهتهم إياه متفاوتةٌ وكلها لا تبلغ تمام شَبْهِهِ. وهذا معنى قول عليّ ﷺ في حديث صفته: « يقول ناعته لم أر قبلة ولا بعده مثله »، وعليه يُحمل قول البوصيري - رحمه الله -:

مُنْرَةٌ عَن شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ      فَجَوْهَرِ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرَ مَنْقَسِمٍ

\* \* \*  
\* \*  
\*

(١) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب جعفر بن أبي طالب الهاشمي ﷺ.





## الفهارس

- ١ - فهرس الآيات القرآنية.
- ٢ - فهرس الأحاديث والآثار.
- ٣ - فهرس الأعلام.
- ٤ - فهرس الوقائع.
- ٥ - فهرس المصطلحات.
- ٦ - فهرس المصادر والمراجع.



فهرس الآيات القرآنية

الآية	رقمها	الصفحة
﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي هُوَ فِيهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾	٢٤، ٢٣	١٢٩
﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٤﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	١٢٩، ١٢٨	٩٥
﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾	١٨٥	٤٢
﴿ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾	١٩١	١١٤
﴿ أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ ﴾	٢٤٧	١٢٣
﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ ﴾	٢٦٩	١٢٨
﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾	٢٨٦	١٠٠

سُورَةُ الْعَنْكَابِ

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكْفُرْنَ مِنَ الْمُتَنَبِّئِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ حَادَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ فَقُلْ تَمَّالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾	٦١ - ٥٩	١٥١، ١٢٦
﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾	٦٤	١٥٠
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾	١٤٤	١١٨
﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	٩٦

## سُورَةُ الرَّحْمٰنِ

- ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾  
 ١١٣ ١٢٠، ١١٥
- ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ﴾  
 ١٦٤ ١٢٨

## سُورَةُ الْمَائِدَةِ

- ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾  
 ٣ ١٣٩، ١١٦، ٧٨
- ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾  
 ١٩ ٥٣
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ﴾  
 ٤٨ ١١٨
- ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾  
 ٦٧ ١٦٣
- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾  
 ٧٢ ١٥١

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

- ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَنجِي إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾  
 ٥٠ ١٣٥، ١١٨
- ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾  
 ١٢٤ ١١٩
- ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَفَنَظِيرٌ ﴿٥٠﴾ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْهِنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾  
 ١٥٧، ١٥٦ ٥٣

## سُورَةُ الْأَحْزَابِ

- ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِيَّاتِ﴾  
 ١٩٩ ١٢٣

## سُورَةُ الْأَشْرَافِ

- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾  
 ١٧ ١٠٥
- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّنْ وَلَدِهِمْ مِّنْ شَعْنٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّمْلَقٌ﴾  
 ٧٢ ١١٥

سُورَةُ التَّوْبَةِ

- ١٣٨ ١٧ ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ -  
 ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ ﴾ -  
 ١٢٧، ٩٦ ١٢٨ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ﴿  
 ١٦٧ ١٢٨ ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ -

سُورَةُ الزُّمُرِ

- ١١٨ ١٢ ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ﴾ -  
 ١٢١، ١٠٠ ٩١ ﴿ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ -

سُورَةُ الْحَجَرِ

- ١٢٦، ٦٦ ٩٦ - ٩٤ ﴿ فَاصْبِرْ بِمَا تُوْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ ﴾ -  
 الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿

سُورَةُ الْفَتْحِ

- ١٥٠ ٩٠ ﴿ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْمَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾ -  
 ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ -  
 ١٢٥، ١٢٤ ١٢٥ وَيُخَذِلْ لَهُمُ بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

- ١١١، ١١٠، ١٠٩ ١ ﴿ سَبِّحْنَ الَّذِي آتَىٰ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ لَيْلًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ -  
 الْحَرَارَ إِلَى السَّمَاءِ الْأَقْصَا ﴿  
 ١١١ ١ ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ -  
 ١٠٣، ٥٣ ١٥ ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ -  
 ١٠٨، ١٠٧ ٦٠ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرِّيَا أَلْحَىٰ أَرْضِيكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ ﴾ -  
 ١١٢ ٧٧ ﴿ سُنَّةٌ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ﴾ -  
 ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةً ﴾ -  
 ﴿ قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاكِرِينَ ﴾ -  
 ﴿ قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاكِرِينَ ﴾ -  
 ١٢٦ ٩٣ - ٩٠ ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَائِدَةً ﴾ -  
 ﴿ قُلْ إِنَّمَا نَحْنُ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِنَّمَا كُنَّا لَكُمْ فَاكِرِينَ ﴾ -

سُورَةُ الْكَافِرِينَ

- ١١٨ ١١٠ ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ -

## سُورَةُ الْحَجِّ

- ﴿أُذِّنُ لِلَّذِينَ يُقَدِّمُونَ بَأَنَّهُمْ ظُلْمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ الَّذِينَ إِذَا مَكَتَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣﴾﴾

١٣٧ ٤١ - ٣٩

٩٥، ٥٠، ٤٩

٧٨

- ﴿وَلِلَّهِ عِاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٣﴾﴾

## سُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ

- ﴿تَبَّتْ يُدُوعُهُمْ أَعْيُنُهُمْ فِي الصَّاعِ مَكِيدٍ ﴿١﴾﴾

- ﴿أَتُؤْمِنُ بِإِسْرَائِيلَ وَقَوْمِهَا وَلَا تَأْتِيكُمُ الْمَلَائِكَةُ نَائِلَاتُ ﴿٢﴾﴾

١٦٤

٢٠

١٢٣

٤٧

## سُورَةُ الْبُرُجَةِ

- ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴿١﴾﴾

١١٦

٣٢

## سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

- ﴿وَقَفَّكُ فِي السَّجْدِ ﴿١﴾﴾

١٠٤

٢١٩

## سُورَةُ الْبَلَدِ

- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿١﴾﴾

- ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ وَإِذَا يَدْعُوا إِذًا أُولُوا مَدِينٍ ﴿٢﴾﴾

١٦٦

٧٩

١٢٧

٨٠

## سُورَةُ الْقَصَصِ

- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴿١﴾﴾

١٢٤

٥٦

## سُورَةُ الْجِنِّ

- ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ ﴿١﴾﴾

- ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿٢﴾﴾

٤١

٤١

١٢٥، ١٢٤

٤٦

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِنَاسٍ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴿١﴾﴾

١١٨

٢٨

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

- ﴿إِنَّ آتَانَ إِذَا نَدِيَ ﴿١﴾﴾

- ﴿وَلَيْتَ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢﴾﴾

١١٨

٢٣

١٢٨

٢٤

## سُورَةُ الْأَنْعَامِ

- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴿١﴾﴾

١٤٢

١٤

سُورَةُ التَّوْبَةِ

١٦٤ ٣٣ - ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾

سُورَةُ الشُّورَى

١٢٤ ٤٨ - ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاءُ﴾

- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا﴾

١٣٦ ٥٢

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

- ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٥﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٦﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَذِهِ أُمَّةً وَآبَاءَهُمْ حَقًّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ﴾

١٠٤ ٢٦ - ٢٩

- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ﴾  
- ﴿وَقَالُوا مَا آلهَتُنَا حَيْرٌ أَمْرٌ هُوَ مَا صَرَّفْنَاهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

١٠٤ ٣٠، ٣١

١٢٤ ٥٨

سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنَ الَّذِينَ أُخْرَجْتَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

١٥٥ ٤

سُورَةُ الطَّلُوعِ

١١٢ ٤٨ - ﴿وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٧﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٨﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ النَّارِ﴾

١٠٨ ١٣ - ١٥

سُورَةُ الْحَجَّةِ

١٦٥ ٩ - ﴿وَيُؤَيِّرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

٨٨ ٤ - ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِّيَ عَظِيمٌ﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

- ﴿عَذِيبُهُمُ الْقَتْبُ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ عَيْبِهِمْ أَحَدًا ﴿١٠٠﴾ إِلَّا مَن أَرْتَضِ مِنْ رَّسُولٍ﴾

١٣٥ ٢٦، ٢٧

٦٥	٢٠١	سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ	- ﴿يَأْتِيهَا التَّنْذِيرُ﴾ ﴿قُرْآنًا نَّذِيرًا﴾
٥٤	٥	سُورَةُ الصَّافَّاتِ	- ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَفَرِحْ﴾
٦٤	٥ - ١	سُورَةُ الْعَلَقِ	- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَعْلَمَ ﴿٥﴾
١٤٥	٣ - ١	سُورَةُ الْبَقَرَةِ	- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَعِذْ بِهِ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾
١٣٨	٢		- ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾
١٧٠	١	سُورَةُ الْإِنشِرَافِ	- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾

\* \* \*  
\* \* \*  
\* \* \*



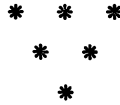
## فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث / الأثر
١٦٠	- ائذنوا له بشس أحو العشيرة.....
١٢٥	- ابعثوا إلى محمد فكلموه حتى تعذروا إليه.....
١٦٦، ١٥١	- أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة.....
١٦٦	- آتيت رسول الله ﷺ وهو متوسد برده.....
١٦٤، ١٥٣	- أحب الحديث إلي أصدقاه.....
١٢٠	- أدبني ربي فأحسن تأديبي.....
١٣١	- إذا أقبل الليل من هاهنا.....
١٦٧	- ارجعوا إلى أهليكم.....
١٣٢	- أرسل علياً إلى اليمن وأوصاه أن لا يدع تمثالاً إلا طمسه.....
١٧٥	- أشبهت خلقي وخلقي.....
١٠٥	- اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم.....
١٢٩	- أفصح العرب، بيد أي من قريش.....
١٣١	- ألا أخبرك بملاك ذلك كله.....
٧٧	- الآن تغزوهم ولا يغزوننا.....
١٥٠	- أما البسط فلا حاجة لي بها.....
١٥٢	- أمركم بأربع وأنهاكم عن أربع.....
١١٣	- إن الله أذن لي في الهجرة.....
٩٧	- إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل.....
١٣٨، ١٣٣	- أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان.....
١٥٦	- إن من البيان سحراً.....
١٢٩	- أنا أفصح من نطق بالضاد.....
١٦٣	- أنا النبي لا كذب.....
١٣٠	- أنزل القرآن على سبعة أحرف.....
١٦٢، ١٥٧	- انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله.....
١٦٥	- إنك لتحمل الكلل وتكسب المعدوم.....
١١٧	- إنها نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل.....

- إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله..... ١٢٠
- إني أمرت بالستر، فلم أجد شيئاً أستر منه..... ٨٠
- أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً..... ١٣٠
- أوصيكم بتقوى الله ﷻ والسمع والطاعة..... ١٣٩
- أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح جعلوا له صورة..... ١٣٣
- أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله..... ١٢٥
- أيها الناس اسمعوا مني أدين لكم..... ١٣٥
- بأبي شبيهه بالنبي، ليس شبيهاً بعلي..... ١٧٥، ١٧٠
- بشس خطيب القوم أنت..... ١٦١
- بأنه ابن الذبيحين..... ٩٧
- بينما نحن جلوس مع النبي ﷺ..... ١٥٢
- تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا..... ١٣٩
- التقوى هاهنا..... ١٣١
- جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ بردة..... ١٦٥
- حيث يطلع قرن الشيطان..... ١٣١
- حيثما كنتم واتقوا الله فلا يضركم..... ١٥٤
- حيثما مررت بقبر مشرك فبشره بالنار..... ١٠١
- خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام..... ٥٣
- رأيت في المنام أني أهاجر إلى أرض بها نخل..... ١١٥
- سبحانك اللهم ربنا وبحمدك..... ١٤٥
- سلوه لأي شيء يصنع ذلك؟..... ١٧٠
- الصلاة وما ملكت أيمانكم..... ١٣٣
- صلوا كما رأيتموني أصلي..... ١٣١
- فأخذ جبريل بيدي، فخرج بي إلى السماء..... ١٠٨
- فاستيقظت وأنا بالمسجد الحرام..... ١٠٧
- فرب مبلغ أوعى من سامع..... ١٢٧
- في النار..... ١٠١
- قد رأيته..... ١٥٩
- كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير..... ١٣٥

- ١٢٠، ٨٩ ..... كان خلقه القرآن .....
- ١٦٥ ..... كان رسول الله أجود بالخير من الريح المرسلة .....
- ١٥٥ ..... كذبتم بل مدح الله الزين، وشتمه الشين .....
- ٩٨ ..... لا تسبوا مضر فإنه كان قد أسلم .....
- ١٦١ ..... لا تقوموا كما تقوم الأعاجم .....
- ١٣٣ ..... لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد .....
- ١٥٦ ..... لقد كنت في غنى يا أبا بني دارم .....
- ١٣٢ ..... لقد هممت أن أبعث قومًا في الناس معلمين .....
- ١٦٨ ..... لكل نبي دعوة مستجابة .....
- ١٤٠ ..... لو أنفق أحدكم مثل .....
- ١٦٤ ..... لو سألتني هذا السوط ما أعطيتكه .....
- ٩١ ..... لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر .....
- ١٥٦ ..... ليس ذلك لك ولا لقومك .....
- ١٣٢ ..... ما بال أقوام يشترطون شروطًا ليست في كتاب الله؟ .....
- ٧٩ ..... ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة .....
- ١٥٧ ..... ما ذكر لي رجل بفضل إلا رأيته دون ما قيل فيه غيرك .....
- ١٦٥ ..... ما سئل رسول الله شيئًا فقال: لا .....
- ١٦٥ ..... ما عندي شيء، ولكن اتبع علي .....
- ١٦٤ ..... ما كان لنبي أن يكون له خائنة الأعين .....
- ١٥١ ..... مرحبًا بالوفد غير خزايا ولا ندامى .....
- ١٥٩ ..... مرحبًا بك وبقومك .....
- ١٣٣ ..... مروا أبا بكر ليصلي بالناس .....
- ٩٦ ..... من أنفككم نسبًا وصهرًا .....
- ١٤٥ ..... من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره .....
- ١٢٧ ..... نضر الله امرأ سمع مقالتي .....
- ١٢٥، ١٠٠ ..... الناس معادن كمعادن الذهب والفضة .....
- ١٣٥ ..... نعم فإني لا أقول في ذلك كله إلا حقًا .....
- ١١٢، ٦٤ ..... هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى .....
- ١٦٢ ..... هون عليك فإني لست بملك .....

- ١٤٤ ..... - وأجيزوا الوفد كما كنت أجيزهم.
- ١٤١ ..... - واغد يا أنيس على زوجة هذا.
- ١٣١ ..... - وإن دماء الجاهلية موضوعة تحت قدمي هذه.
- ١٦٩ ..... - وددت أني قد رأيت إخواننا.
- ٩٦ ..... - وسألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب.
- ١٣٩ ..... - وعظنا رسول الله موعظةً.
- ١٥٨ ..... - وفد ثلاثة عشر رجلاً من تجيب قبل حجة الوداع.
- ١٣٥ ..... - ويل للعرب من شر قد اقترب.
- ١٦٤ ..... - يا أيها الناس انصرفوا عني، فقد عصمني ربي.
- ١٥٩ ..... - يا رسول الله، تهدم البناء وغرق المال.
- ١٥٧ ..... - يا رسول الله، نحن بنو آكل المرار.
- ١٦٢ ..... - يا مسكينة عليك السكينة.
- ١٢٥ ..... - يا معشر النساء تصدقن.
- ١٥٠ ..... - يمنعكما من الإسلام ادعَاؤكم لله ولدًا.



## فهرس الأعلام\*

الصفحة	العلم/.....	الصفحة	العلم/.....
٧١	- أُرَيْقَطُ الدُّوَيْلِي		حَرْفُ الهَمَزَةِ
٦٧	- الإِشْرَاءُ	٤٥	- إبراهيم الرياحي (فقيه مالكي تونسي)
٨٤	- أَسْمَاءُ الكِنْدِيَّةِ	٨٦، ٨٥	- إبراهيم (ابن الرسول ﷺ)
٤٩	- إِسْمَاعِيلُ (رسول الله)	٦٢، ٤٩	- إبراهيم (رسول الله)
٦٦	- الأَسْوَدُ بن المَطْلَبِ	٤٦	- ابنُ الجَوْزِيِّ
٧٣	- اشْتَنْبَرُ	٤٤	- ابنُ المُصْطَفَى
٤٤	- أَصْحَابُ العُلُومِ	٤٣	- ابنُ دِحْيَةَ البَلَنْسِيُّ
٤٨	- إِيَّاسُ	٩١	- ابنُ شهاب
٨٢	- أُمُ المَسَاكِينِ	٤٨	- ابنُ عَبَّاسٍ
٥٩، ٥١	- أُمُ أَيْمَنَ	٤٢	- ابنُ مَرْزُوقٍ
٨٣	- أُمُ حَبِيبَةَ	٦٨، ٦٦	- أبو البُخَيْرِيِّ
٨٣	- أُمُ سَلَمَةَ	٦٨	- أبو الحَكَمِ (أبو جهل)
٥٦	- أُمُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بنِ عَوْفٍ	٥٩	- أبو الفَضْلِ
٥١	- أُمُ عَبْدِ المَطْلَبِ	٦١	- أبو أُمِيَّةُ بن المغيرة المَخْزُومِي
٨٥	- أُمُّ كَلْثُومٍ	٧٤	- أبو أُيُوبِ خَالِدِ بن زَيْدِ النَجَارِيِّ
٨٥	- أُمُّ وَكَيْدٍ	٧١	- أبو بَكْرٍ (الصديق)
٥١	- أَمْنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ	٦٦	- أبو جهل
٨٤	- أُمَّهَاتُ المُؤْمِنِينَ	٦٦	- أبو سُفْيَانَ
٦٢، ٦١	- الأَمِينُ	٦٨، ٦٧، ٦٦، ٥٩	- أبو طَالِبٍ
٦٤	- الإِنْجِيلُ	٤٤	- أبو عَنَانَ المَرِينِي
٤٣	- الأَنْدَلُسُ	٤٤	- أبو فَارِسٍ (الحفصي)
٦٥	- أَنَسُ بن مَالِكٍ	٥٨	- أبو كَهَبٍ
٧٥	- الأَنْصَارُ	٦١	- أبو هَالَةَ التَّمِيمِي
٥٧، ٥٢	- أَهْلُ الجَاهِلِيَّةِ	٥١	- أَبَوَاءُ
٥٤	- أَهْلُ السَّنَةِ	٧٧	- أَحْزَابُ
٤٤	- أَهْلُ الطَّرِيقِ	٤٢	- أَحْمَدُ بن مُحَمَّدِ العَرَفِيِّ السَّبْتِيِّ
٧٥، ٦٨، ٦٧، ٥٨، ٥٦	- أَهْلُ مَكَّةَ	٩١	- أَحْمَدُ
٧٠، ٦٩	- الأَوْسُ	٤٩	- أَدَدُ
٧٥، ٤٤	- الإِيَّالَةُ	٤٣	- إِزْبِيلُ
٧٣	- أَيْلُولُ (شهر)	٦٥	- أَرْقَمُ بن أَبِي الأَرْقَمِ

(\*) يَتَضَمَّنُ هَذَا المَلْحَقُ ثَبَاتًا كَامِلًا لِكُلِّ أَسْمَاءِ الأَعْلَامِ وَالبُلْدَانِ وَالقَبَائِلِ، الوَارِدَةِ فِي «قِصَّةِ المَوْلِدِ».

## حَرْفُ الْحَاءِ

- ٥٨ ..... الحارث بن عبد العزى  
 ٩١ ..... الحاشر  
 ٤٥ ..... حاضرة تونس  
 ٥٥ ..... الحنشة  
 ٦١ ..... الحجر الأسود  
 ٦٤، ٦٢ ..... حراء  
 ٧٣، ٧٢ ..... الحرّة  
 ٨٢ ..... حفصة  
 ٤٧ ..... حكيم  
 ٥٨ ..... حليلة بنت أبي ذؤيب  
 ٥٦ ..... الحمل  
 ٥٨ ..... حنين

## حَرْفُ الْهَاءِ

- ٨٧ ..... خاتم النبوة  
 ٨٥، ٨٢، ٦٨، ٦٤، ٦١، ٦٠ ..... خديجة بنت خويلد  
 ٨٣ ..... خزاعة  
 ٧٠، ٦٩ ..... الخزرج  
 ٤٨ ..... خزيمة  
 ٤٨ ..... خلدان بن معد  
 ٧٧ ..... الخندق  
 ٥٦ ..... الخيزران

## حَرْفُ الدَّالِ

- ٥٧ ..... دار التبابعة  
 ٦٧ ..... دار الندوة  
 ٤٤ ..... الدولة الحفصية

## حَرْفُ الرَّاءِ

- ٧٣، ٧١، ٤٤ ..... ربيع الأول  
 ٦٤ ..... ربيع الثاني  
 ٦٧ ..... رجب  
 ٦١ ..... رحلة الصيف  
 ٨٥ ..... رقية  
 ٦١ ..... ركن الكعبة  
 ٦٨، ٦٤، ٤٢ ..... رمضان  
 ٨٣ ..... رملة  
 ٧٩ ..... روضة

## حَرْفُ الْبَاءِ

- ٥٠ ..... بابل  
 ٧٢، ٧١ ..... البخاري  
 ٥١ ..... بختنصر  
 ٨٤ ..... برة  
 ٤٢ ..... البرزلي (أبو القاسم)  
 ٥١ ..... بلاد العرب  
 ٧٨ ..... بلال بن رباح  
 ٥٦ ..... بنت عوف  
 ٨٣ ..... بنو أسيد بن خزيمة  
 ٨٣ ..... بنو المصطلق  
 ٦٧ ..... بنو المطلب  
 ٥١ ..... بنو النجار  
 ٨٣ ..... بنو النضير  
 ٥٨ ..... بنو سعد بن بكر  
 ٦٢ ..... بنو شيبه  
 ٥٦ ..... بنو عامر  
 ٦١ ..... بنو عبد الدار  
 ٧٣ ..... بنو عمرو بن عوف  
 ٦٨، ٦٧، ٦٠ ..... بنو هاشم  
 ٧٣ ..... بيت الأعزب  
 ٦٢ ..... البيت  
 ٥٦ ..... البيضاء

## حَرْفُ التَّاءِ

- ٦٥ ..... الترمذي  
 ٦٤ ..... التوراة  
 ٤٤ ..... تونس

## حَرْفُ الشَّاءِ

- ٧٣ ..... شيبه  
 ٧١ ..... شيبه الوداع  
 ٧١ ..... ثور  
 ٥٨ ..... ثوبه السلمية

## حَرْفُ الْجِيمِ

- ٦٤ ..... جبريل  
 ٨٣ ..... جويرية بنت الحارث

- عام الفيل ..... ٦٤، ٥٥  
 - عامر بن فُهَيْرَة ..... ٧١  
 - عائشة ( بنت أبي بكر ) ..... ٨٨، ٨٢، ٧٩  
 - العباس ..... ٦١  
 - عبد الله ( ابن الرسول ) ..... ٨٥  
 - عبد الله ( أبو النبي ) ..... ٥٦، ٥١، ٤٧  
 - عبد الله بن أبي ابن سلول ..... ٧٥  
 - عبد الله بن أرقط ..... ٧١  
 - عبد الله ( ابن حليلة السعدية ) ..... ٥٨  
 - عبد الله بن عبد الله بن أبي ابن سلول ..... ٧٥  
 - عبد المطلب ..... ٥٩، ٥٨، ٥١، ٤٧  
 - عبد مناف ..... ٦٨، ٤٧  
 - عتبة بن ربيعة ..... ٦٦  
 - عدنان ..... ٤٩، ٤٨  
 - عرب مكة ..... ٥٠  
 - العرج ..... ٧٣  
 - عرفة ..... ٧٨  
 - عسفان ..... ٧١  
 - العقبة ..... ٧٠، ٦٩  
 - عقيل بن أبي طالب ..... ٥٦  
 - علي بن أبي طالب ..... ٨٠، ٥٩  
 - عمرو بن ربيعة ..... ٦٨  
 - عمرو بن لحي ..... ٥٤  
 - عياض ..... ٥٢

### حَرْفُ الْعَيْنِ

- غالب ..... ٤٨  
 - الغفر ..... ٥٥

### حَرْفُ الْفَاءِ

- فاطمة ..... ٨٦، ٨٥  
 - الفتح ..... ٧٨  
 - الفجار ..... ٦٠  
 - الفرس ..... ٥٠  
 - فهر ..... ٤٨  
 - الفهلوية ..... ٥٠

### حَرْفُ الرَّايِ

- زُقاق الموليد ..... ٥٦  
 - زمعة بن الأسود ..... ٦٨  
 - زهرة ..... ٥١  
 - زهير بن أبي أمية ..... ٦٨  
 - زينب بنت جحش ..... ٨٣  
 - زينب ( بنت رسول الله ) ..... ٨٥

### حَرْفُ السِّينِ

- سُرَاقَة بن جُعشُم ..... ٧٢، ٧١  
 - سعد بن خيصة ..... ٧٣  
 - سلمى بنت عمرو النجارية ..... ٥١  
 - السهيلي ..... ٥٩  
 - سودة بنت زمعة ..... ٨٢  
 - سوق الليل ..... ٥٦

### حَرْفُ الشِّينِ

- الشام ..... ٦١  
 - شعب أبي طالب ..... ٦٧  
 - شعب بني عامر ..... ٥٦  
 - الشفاء ( قابلة الرسول ) ..... ٥٦  
 - شوال ( شهر ) ..... ٦٩  
 - شيبه بن ربيعة ..... ٦٦

### حَرْفُ الصَّادِ

- الصحيفة القاطعة ..... ٦٨  
 - الصفا ..... ٥٦  
 - صفر ..... ٧٤، ٧١  
 - صفية بنت يحيى ..... ٨٣

### حَرْفُ الطَّاءِ

- الطاهر ..... ٨٥  
 - الطائف ..... ٦٩  
 - الطيب ..... ٨٥

### حَرْفُ الْعَيْنِ

- عاتكة ( عمّة النبي ) ..... ٦٨  
 - العاصي بن وائل ..... ٦٦  
 - العاقب ..... ٩١

٧٩، ٧٤	- المَسْجِد (النَّبَوِي) .....
٥٥، ٥٤	- مُسْلِم .....
٥٥	- الْمَسِيح .....
٤٣	- الْمَشْرِق .....
٤٤	- الْمَشِيرِ الْأَوَّلِ أَحْمَدُ بَاشَا .....
٨٤	- مِصْر .....
٤٥	- مُصْطَفَى الْبَكْرِيِّ .....
٦٩	- مُضْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ .....
٤٨	- مُضْر .....
٦٨	- الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ .....
٤٣	- مُظَفَّرُ الدِّينِ كَوَكْبُورِي .....
٥١، ٥٠، ٤٨	- مَعَدَّ .....
٤٤، ٤٣	- الْمَغْرِب .....
٨٤	- الْمُفَوَّقِس .....
٦٢، ٥٩، ٥٨، ٥٦، ٥٥، ٥١، ٥٠	- مَكَّة .....
٧٨، ٧٥، ٧٢، ٧١، ٦٨، ٦٧	
٧١	- مَلَل .....
٦٦	- مُنْبَهٌ بْنُ الْحِجَاكِج .....
٧٠	- مَنِى .....
٥٦	- الْمَهْدِي .....
٦٤	- مُوسَى .....
٦١	- مَيْسِرَةٌ .....
٨٤	- مَيْمُونَةُ الْهَلَالِيَّة .....
	<b>حَرْفُ التَّوْنِ</b>
٦٦	- نَبِيهِ بْنُ الْحِجَاكِج .....
٥٠، ٤٨	- نِزَار .....
٦٠	- النَّضْرُ بْنُ الْحَارِث .....
	<b>حَرْفُ الْهَاءِ</b>
٦٨	- هَاشِمُ بْنُ عَبْدِ مَنْف .....
٧٨، ٧٧، ٧١، ٧٠، ٦٧، ٦٦، ٥٦	- الْهَجْرَةُ .....
٦٨	- هِشَامُ بْنُ عَمْرٍو .....
٨٣	- هِنْدُ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّة .....
٥٨	- هِوَاذَن .....

**حَرْفُ الْقَافِ**

٨٥	- الْقَاسِم .....
٤٢	- الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ مُحَمَّدٌ .....
٧٣	- قُبَاء .....
٧٦	- قِبَائِلُ الْعَرَب .....
٨٢، ٧١، ٦٧، ٦٥، ٦٢، ٦١، ٦٠، ٥٨، ٤٨	- قُرَيْش .....
٥١، ٤٧	- قُصَي .....
٤٥	- الْقَيْرَوَان .....
٦٠	- قَيْسُ عَيْلَانَ .....

**حَرْفُ الْكَافِ**

٤٧	- كَعْب .....
٦٧، ٦١	- الْكَعْبَةُ .....
٥١، ٤٧	- كِلَاب .....
٧٣	- كُثْلُومُ بْنُ الْهَدَم .....
٦٠، ٤٨	- كِنَانَةٌ .....

**حَرْفُ اللَّامِ**

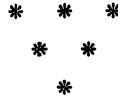
٤٨	- لُؤَي .....
----	---------------

**حَرْفُ الْمِيمِ**

٩١	- الْمَاجِي .....
٨٤	- مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّة .....
٩١	- مَالِكٌ .....
٦١	- الْمَأْمُون .....
٦٧	- الْمُحَرَّم .....
٤٥	- مُحَمَّدُ الصَّادِق .....
٥٢	- مُحَمَّدُ الْكَلْبِي .....
٩١	- مُحَمَّدُ بْنُ جَبْرِ بْنِ مُطْعَم .....
٥٦	- مُحَمَّدُ بْنُ يَوْسُفِ الثَّقَفِي .....
٥٧	- مُحَمَّدُ خَانَ .....
٤٨	- مُدْرَكَةٌ .....
٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠	- الْمَدِينَةُ .....
٥١، ٤٧	- مَرَّةٌ .....
٦٧	- الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى .....
٦٨، ٦٧	- الْمَسْجِدُ الْحَرَام .....



			حَرْفُ الْوَاوِ
٥٠ .....	يَسْتَأْسِبُ -	٦٥، ٦٤ .....	وَرَقَةُ بِنُ نَوْفَلٍ -
٧٧، ٧٥ .....	الْيَهُودِ -	٦٦ .....	الْوَالِيدِ بْنِ مَغِيرَةَ -
٨٣ .....	يَهُودِ الْحِجَازِ -		حَرْفُ الْيَاءِ
		٦٩، ٥١ .....	يَثْرِبَ -



## فهرس الوقائع (\*)

الصفحة	التقويم الميلادي	التاريخ الهجري	الحدّث
٥٥	أواخر ٥٧٠	عام الفيل، سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- دخول جيش الحبشة مكة.
٥١	أواخر ٥٧٠	سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- مرض عبد الله في رحلته إلى يثرب.
٥١	أواخر ٥٧٠	سنة ٥٣ قبل الهجرة وأمنة حامل بالنبي منذ شهرين.	- وفاة عبد الله، في يثرب عند أخواله.
٥٥	٢٠ أبريل ٥٧١	١٢ ربيع الأول، سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- مولد النبي ﷺ.
٥٨	٢٧ أبريل ٥٧١	١٩ ربيع الأول، سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- ختان النبي ﷺ.
٥٨	٢٧ أبريل ٥٧١	١٩ ربيع الأول، سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- إولام عبد المطلب، وتحرّج زور، ودعوة رجال من قريش قطعوا.
٥٨	أبريل ٥٧١	ربيع الأول، سنة ٥٣ قبل الهجرة (٧ أو ١٠ أيام).	- إرضاع النبي ﷺ من قبل أمه أمّنة.
٥٨	نفس الفترة	نفس الفترة.	- إرضاعه من قبل ثؤيبَةَ الأَسْلَمِيَّة، جارية عمّه أبي لهب.
٥٨	يونيو ٥٧١	جمادى الأولى والثانية، سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- التماس المراضع للنبي.
٥٩	يوليو ٥٧١	رجب، سنة ٥٣ قبل الهجرة.	- إرضاعه من قبل حليلة السعدية.
٥٩	٥٧٦	سنة ٤٨ قبل الهجرة.	- حليلة السعدية تُرجعه إلى أمّه وهو ابن خمس سنين وشهر.
٥٩	٥٧٩	سنة ٤٥ قبل الهجرة، لما بلغ النبي ﷺ ثمان سنين وكثراً.	- وفاة عبد المطلب.

(تابع الجدول)

(\*) يشتمل هذا الفهرس على أهم الأحداث المذكورة في الكتاب حسب التسلسل الزمني.

الصفحة	التقويم الميلادي	التاريخ الهجري	الحدّث
٥٩	٥٧٩	سنة ٤٥ قبل الهجرة.	- كَفَالَةَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ لَهُ.
٥٩	٥٨٤	سنة ٤٠ قبل الهجرة.	- حَادِثَةُ السَّمَرِ فِي مَكَّةَ.
٦٠	٥٨٥	سنة ٤١ قبل الهجرة.	- حَرْبُ الْفِجَارِ.
٦١	٥٩٦	له خمس وعشرون سنة، سنة ٢٨ قبل الهجرة.	- رَحْلَةُ الصَّيْفِ إِلَى الشَّامِ مَعَ مَيْسِرَةَ.
٦١	نفس السنة	نفس السنة.	- الزَّوْجُ مِنْ خَدِيجَةَ.
٦١	٦٠٦	لَمَّا بَلَغَ تَحْسَا وَثَلَاثِينَ سَنَةً، سنة ١٨ قبل الهجرة.	- الْمَسَاهِمَةُ فِي بِنَاءِ الْكَعْبَةِ وَالتَّحْكِيمِ لَوْضَعِ الْحِجْرِ الْأَسْوَدِ.
٦٢	٦٠٧ - ٦١٠	سنة ١٦ قبل الهجرة.	- الْمَجَاوِرَةُ كُلَّ سَنَةٍ شَهْرًا، فِي جَبَلِ جِرَاءِ، فِي مَكَّةَ.
٦٢	٦٠٧ - ٦١٠	فِي نَفْسِ تِلْكَ الْمُدَّةِ.	- إِطْعَامُ الْمَسَاكِينِ.
٨٥	٦٠٩	قَبْلَ بَعَثَتِهِ بِقَلِيلٍ، سنة ١٤ قبل الهجرة.	- وِلَادَةُ ابْنِهِ الْقَاسِمِ.
٦٤	٦٠٩	شَهْرُ رَبِيعِ الثَّانِي، سنة ١٣ قبل الهجرة.	- ابْتِدَاءُ الرَّؤْيِ الصَّادِقَةِ.
٦٤	أغسطس ٦١٠	السَّابِعَ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ، مِنْ سَنَةِ ١٣ قَبْلَ الْهَجْرَةِ.	- نَزُولُ الْآيَاتِ الْأُولَى مِنْ سُورَةِ الْعَلَقِ.
٦٤	نفس الفترة	نفس الفترة.	- الْذَهَابُ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَبِي أُسَيْدٍ.
٦٥	نفس الفترة	نفس الفترة.	- نَزُولُ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ، وَدَعْوَةُ النَّاسِ لِلْإِسْلَامِ.
٦٥	٦١٠ - ٦١٣	سنة ١٢ قبل الهجرة.	- دَعْوَةُ النَّاسِ سِرًّا، وَإِسْلَامُ زُهَّاءِ أَرْبَعِينَ رَجُلًا.
٦٥	٦١٠ - ٦١٣	١٢ - ١٠ سنوات قبل الهجرة مدة ثلاث سنوات.	- الْإِيوَاءُ إِلَى دَارِ الْأَزْقَمِ بْنِ أَبِي الْأَزْقَمِ.
٦٦	٦١٣	سنة ١٠ قَبْلَ الْهَجْرَةِ.	- نَزُولُ آيَةِ الصَّدَقِ بِالْأَمْرِ وَإِظْهَارِ الرَّسُولِ وَالْمُسْلِمِينَ الْإِسْلَامِ.

الصفحة	التقويم الميلادي	التاريخ الهجري	الحَدَث
٦٦	نفس الفترة	نفس الفترة.	- غضب المُشْرِكِينَ وَأَذَاهُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ.
٦٧	٦١٧	٥ سنوات قبل الهجرة.	- كتابة صحيفَةِ الْقَطِيعَةِ.
٦٧	٦١٧	مُسْتَهَلَّ الْمُحَرَّمِ، سَنَةٌ ٦ قبل الهجرة.	- انْحِيَازِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ إِلَى شُعْبِ أَبِي طَالِبٍ.
٦٧	٦١٧ - ٦٢٠	٣ سنوات.	- القَطِيعَةُ.
٦٨	٦٢٠	٣ سنوات قبل الهجرة.	- نقض الصَّحِيفَةِ.
٦٩	٦٢٠	بعد خُرُوجِ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ الشَّعْبِ بِشَائِنَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا.	- وفاة أبي طَالِبٍ.
٦٩	بداية مارس ٦٢٠	بَعْدَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، رَمَضَانَ سَنَةَ تِسْعٍ مِنْ الْبُعْثَةِ أَوْ سَنَةَ عَشْرِ.	- وفاة خديجة.
٦٩	أواخر مارس ٦٢١	سؤال من تلك السَّنَةِ.	- خروج النبي ﷺ إلى الطَّائِفِ.
٦٩	٦٢١	موسمُ سَنَةِ عَشْرِ مِنْ البُعْثَةِ.	- عرض الدعوة على قبائل العَرَبِ في مَوْسِمِ الْحَجِّ.
٦٩	٦٢٠	موسمُ سَنَةِ عَشْرِ مِنْ البُعْثَةِ.	- بيعة العقبة، لَقِيَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَ الْعَقَبَةِ سِتَّةَ نَفَرٍ مِنَ الْخَزْرَجِ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الْإِسْلَامَ، فَقَبِلُوا وَأَسْلَمُوا.
٦٧	أواخر ٦٢١	سَنَةُ اثْنَتَيْنِ قَبْلَ الْهِجْرَةِ أَوْ ثَلَاثٍ فِي شَهْرِ رَجَبٍ.	- الإِشْرَاءُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى ثُمَّ إِلَى السَّمَاوَاتِ.
٦٩	٦٢١	موسم سنة إحدى عشرة.	- قَدُومُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ لِلْحَجِّ وَإِسْلَامِهِمْ.
٧٠	يونيو ٦٢٢	موسم سنة اثنتي عشرة من البُعْثَةِ.	- إيمان ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين من الأوس والخزرج ومبايعة النبي ﷺ عند العقبة.

الصفحة	التقويم الميلادي	التاريخ الهجري	الحَدَث
٧١	نصف يوليو ٦٢٢	شهر ربيع الأول من سنة ثلاث عشرة من البعثة.	- الهجرة من مكة إلى المدينة.
٧١	١٣/١٢ سبتمبر ٦٢٢	ليلة الجمعة ٢٧ من شهر صفر، سنة ١٤ من البعثة.	- الخروج في فحمة العشاء والوصول إلى غار ثور عند الفجر.
٧١	١٦ سبتمبر ٦٢٢	الاثنين غرة ربيع الأول.	- قضاء ثلاث ليالٍ والخروج إلى المدينة.
٧٢	نفس الفترة	نفس الفترة.	- خروج سراقه في إثرهم وقصة فرسه الذي ساخت منه القدمان.
٧٣	٢٣ سبتمبر ٦٢٢	الاثنين الثاني عشر، وقيل: الثامن من ربيع الأول.	- نزول قُباء في بني عمرو ابن عوف.
٧٣	٢٧ سبتمبر ٦٢٢	يوم الجمعة، ١٢ ربيع الأول.	- دخول المدينة، والتأس سائرون معه ما بين ماشٍ وراكبٍ.
٧٣	نفس اليوم	نفس اليوم.	- النزول بدارِ كلثوم بن الهدم.
٧٤	سبتمبر ٦٢٢ - أبريل ٦٢٣	ربيع الأول - شوال، سنة ١ للهجرة.	- المكث في دارِ أبي أيوبَ سبعة أشهر.
٧٤	قبل أغسطس ٦٢٣	قبل صفر، سنة ٢ للهجرة.	- الانتقال إلى سُكنى بيوتِه قبل أن يكْمَل بناءَ المسجد.
٧٤	أغسطس ٦٢٣	صفر من العام المُقبِل.	- إتمام بناء المسجد النبوي.
٧٥	نفس الفترة	نفس الفترة.	- المواخاة بين المسلمين.
٧٦	٦٢٢ حتى ٦٣٢	من ١ للهجرة إلى ١٠.	- تدبير أحوال المسلمين ونظامهم.
٧٧	٦٢٦	سنة ٥ للهجرة.	- غزوة الأحزاب.
٧٨	ديسمبر ٦٢٩	رمضان، سنة ٨ للهجرة.	- فتح مكة.
٧٨	٦٢٩ - ٦٣٠	سنة ٨ - ١٠ للهجرة.	- تسارع العرب إلى الدخول في دين الإسلام أفواجا.
٧٨	٦٢٩ - ٦٣٠	سنة ٨ للهجرة.	- قدوم الوفود إلى النبي من جميع من أسلم من قبائل العرب وأحيانها.

الصفحة	التقووم المملادى	التارىخ الهجرى	الحَدَث
٧٨	٦٣٢	السَّنة العاشرة.	- حَجَّة الوداع والخطبة.
٧٨	٦٣٢	يوم عَرَفة من تلك الحَجَّة.	- نُزول الآية: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

\* \* \*  
\* \*  
\*

## فهرس المصطلحات (\*)

الصفحة	المصطلح	الصفحة	المصطلح
٧٩	- تبليغ (الدعوة) .....		حَرْفُ الْأَلْفِ
٦٢	- تَحْنُثٌ .....	٥٤	- آحاد .....
٧٩	- تدبير .....	٤٦، ٤٥، ٤٤، ٤٢	- الاحتفال (بالمولِد) .....
٤٤، ٤٢، ٣٩	- تعظيم (النبي) .....	٥٨، ٥٤، ٤١	- أخبار .....
٧٩	- تعليم (أصحابه) .....	٥٤	- أدلة الاعتقاد .....
	حَرْفُ الْجِيمِ	٦٧	- إشرء .....
٥٣، ٥٢	- جاهليَّة .....	٩١، ٩٠	- أسماء (النبي) .....
٧٦	- جماعة .....	٦٦	- أصحاب .....
٦٣	- حوار .....	٤٤	- أصحاب العلوم .....
	حَرْفُ الْحَاءِ	٥٤	- أصول الاعتقاد .....
٧٨، ٦٩	- حجج .....	٤١	- أفاضل الأئمة .....
٦٢	- حجة .....	٧٩	- إمامة (بالنَّاسِ) .....
٦٠	- حَزْبُ الفِجَارِ .....	٤١، ٣٩	- أئمة .....
٧٧	- حِزْب، ج. أخزاب .....	٧٥	- أنصار .....
٤٥، ٤٣	- حفل .....	٥٩، ٥٢	- أهل الجاهلية .....
٧٧	- حَوْزَة (المسلمين) .....	٥٤، ٤٩	- أهل الأنساب .....
	حَرْفُ الخَاءِ	٥٤	- أهل السنة .....
٨٢	- خصوصيَّة (نبويَّة) .....	٤٤	- أهل الطريق .....
٧٩	- خطبة .....	٥٤، ٥٣	- أهل الفترة .....
	حَرْفُ الدَّالِ	٧٥، ٦٨، ٦٧، ٥٨، ٥٦	- أهل مَكَّة .....
٧٩، ٦٧، ٦٥	- دَعْوَة .....		حَرْفُ البَاءِ
٥٤	- دليل (الوَحدانيَّة) .....	٤٦	- بَرَكَة (النبي) .....
٧٨، ٧٧، ٦٦، ٦٢، ٥٣، ٤٢، ٤١	- دين .....	٧١، ٧٠، ٦٩، ٦٨، ٦٧	- البعثة .....
	حَرْفُ الرَّاءِ	٧٤	- بَيْت (النبوَّة) .....
٣٩	- رَحمة .....	٧٠	- يَبَعَة .....
٨١	- رسالة .....		حَرْفُ الشَّاءِ
		٥٤	- تأويل .....

(\*) نذكر في هذا الملحق، أهم المصطلحات والمفاهيم التي تشكل النسيج المعرفي الأساسي للسيرة النبوية. ومن المفيد أن نقارب هذا الجنس الأدبي من خلال مفاهيمه المركزية التي تنظم إنتاج السيرة بما هي جنس أدبي، تاريخي، رمزي.

- ٥٢، ٤١ ..... الفَصَائِلُ الْمُحَمَّدِيَّةُ - رَوِيَا ..... ٦٤
- حَرْفُ الْفَافِ حَرْفُ الرَّايِ ..... ٨٢
- ٧٨، ٧٦، ٦٩ ..... قبائل العَرَبِ - زَوَاجُ (النبي) ..... ٨٢
- ٤٤، ٣٩ ..... قَدْرُ (النبي) ..... حَرْفُ اللَّيْنِ ..... ٧٧
- ٨٩، ٧٩، ٦٩، ٤٩ ..... القرآن ..... سَرِيَّةُ ..... ٤١
- ٧٩ ..... قَضَاءُ ..... سِيرَةُ ..... ٤١
- حَرْفُ اللَّيْمِ حَرْفُ اللَّيْنِ ..... ٥٢
- ٦٢ ..... مُجَاوَزَةٌ ..... شَرْعُ ..... ٥٢
- ٤١ ..... مَحَبَّةٌ ..... شَرَفُ الْعُنْصُرِ ..... ٥٣
- ٤١ ..... مَحَبَّةُ الثُّبُوتِ ..... شِرْكُ ..... ٥٣، ٤٢
- ٤١ ..... مُخْتَارٌ ..... شَرِيعَةٌ، شَرَائِعُ ..... ٧٨، ٧٦، ٦٩، ٥٢
- ٧٧، ٧٦، ٧٥، ٧٤، ٧٣، ٧٢، ٧١، ٧٠ ..... المَدِينَةُ ..... سَمَائِلُ ..... ٨٧
- ٧٩، ٧٤، ٦٨، ٦٧، ٥٧، ٥٦ ..... الْمَسْجِدُ ..... شَهْرُ حَرَامٍ ..... ٦٠
- ٨٩، ٧٧، ٧٥، ٧١، ٦٦، ٦٥ ..... مُشْرِكٌ، مُشْرِكُونَ ..... حَرْفُ الصَّادِ ..... ٦٠
- ٧٧، ٦٧، ٦٢ ..... مُعْجِزَةٌ ..... صِحَّةُ ..... ٤١
- ٧٧، ٧٥ ..... مُنَافِقٌ، مُنَافِقُونَ ..... صَحِيحٌ ..... ٧٢، ٧١، ٦٧، ٥٨، ٥٥، ٥٤، ٥١، ٤١
- ٧١، ٦٩ ..... مَنَعَةٌ ..... صَحِيفَةٌ ..... ٦٨، ٦٧
- ٧٥، ٧٢ ..... مُهَاجِرٌ، مُهَاجِرُونَ ..... حَرْفُ الضَّادِ ..... ٤٢، ٣٩
- ٦٩ ..... مَوَاسِمُ الْحَجِّ ..... صَلَاةُ ..... ٤٢، ٣٩
- ٥٦، ٥٥، ٤٦، ٤٥، ٤٣، ٤٢ ..... مَوْلِدُ (النبي) ..... حَرْفُ الطَّاءِ ..... ٥٢
- حَرْفُ التَّوْنِ حَرْفُ الطَّاءِ ..... ٥٢
- ٦٤ ..... نَامُوسٌ ..... طَهَارَةٌ (النَّسَبِ) ..... ٥٢
- ٧٨، ٦٦، ٦٥ ..... نَزُولُ (القرآن) ..... ظُهُورُ الْإِسْلَامِ ..... ٧٥، ٦٥
- ٥٤، ٥٣، ٥٢، ٤٨، ٤٧ ..... نَسَبٌ ..... حَرْفُ اللَّيْنِ ..... ٥٩
- ٧٧، ٦٩، ٦٥، ٣٩ ..... نَصْرٌ ..... الْعَدْلُ ..... ٧٨، ٧٧، ٧٣، ٥١، ٥٠، ٤٩
- ٧٦ ..... نِظَامٌ ..... عَرَبٌ ..... ٨٩، ٥٤، ٤٢
- حَرْفُ آلِهَاءِ حَرْفُ الطَّاءِ ..... ٩٠، ٥٤، ٤٢
- ٧٨، ٧٧، ٧١، ٧٠، ٦٧، ٦٦، ٥٦ ..... هِجْرَةٌ ..... عِلْمَاءُ ..... ٤٢
- ٣٩ ..... هُدًى ..... عِيدٌ ..... ٤٢
- حَرْفُ الْوَاوِ حَرْفُ اللَّيْنِ ..... ٤١
- ٦٤ ..... وَخِيٌ ..... عُيُونُ (السيرة) ..... ٤١
- ٧٩، ٧٨ ..... وَفُودٌ ..... غَزْوَةٌ، غَزَوَاتٌ ..... ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٥١
- حَرْفُ آيَاءِ حَرْفُ الْفَاءِ ..... ٧٨
- ٨٣، ٧٧، ٧٥، ٧٣ ..... يَهُودٌ ..... نَبَحٌ مَكْتَمٌ ..... ٧٨



## فهرس المصادر والمراجع

- ١- إنحافُ أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، أحمد بن أبي الضياف، طبعة وزارة الثقافة، تونس (١٩٩٩ م).
- ٢- الاستعارة التمثيلية في التحرير والتنوير، عليّ أحمد العطار، جامعة الأزهر، كلية اللغة العربية، القاهرة، رسالة دكتوراه (١٩٩٠ م).
- ٣- أشدُ الغابة في معرفة الصحابة، عزّ الدين ابن الأثير، أبو الحسن علي بن محمد الجزري، دار الفكر.
- ٤- أسرار البلاغة، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة دار المدني بجدة ومطبعة المدني، القاهرة (١٩٩١ م).
- ٥- أعلام تونسيون، صادق الزمرلي، تقديم وتعرّيب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي (١٩٨٦ م).
- ٦- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: د. محمد كمال الدين عز الدين علي، عالم الكتب، بيروت (ط ١) (١٤١٧ هـ).
- ٧- أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق: عبد العزيز الدوري، بيروت، جمعية المستشرقين الألمانية (١٣٩٨ م / ١٩٧٨ هـ).
- ٨- البدايات والنهاية، ابن كثير، مكتبة المعارف، بيروت، (ط ٢) (١٩٧٧ م).
- ٩- تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن (١٣) إلى نهاية القرن (١٥)، روبرار برنشفيك، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٨٨ م).
- ١٠- تاريخ الرسل والملوك، محمد بن جرير الطبريّ، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة (١٩٦٠ م).
- ١١- التاريخ الكبير، مُحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، محمد عبد المعيد خان، الهند (١٣٨٤ هـ).
- ١٢- تاريخ بغداد أو مدينة السلام، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي.
- ١٣- تاريخ دمشق، ابن عساكر، دار الفكر، بيروت - لبنان (ط ١) (١٤١٩ هـ / ١٩٩٨ م).
- ١٤- تاريخ مدينة دمشق - حماها الله - وذكر فضلها، وتسمية من حلّها من الأماثل، أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها، ابن عساكر، دار إحياء التراث، دمشق (١٩٩٧ م).
- ١٥- التآليف المولدية، محمد عبد الحي الكتاني، المَجلة الزيتونية، مجلد (١) عدد (٩) سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م).
- ١٦- تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت (ط ١) (١٩٨٢ هـ).
- ١٧- ترجمة الشفاء قابلته ﷺ، المَجلة الزيتونية، محمد البشير النيفر، عدد (٩) سنة (١٣٥٦ هـ) (ص ٤٥٠، ٤٥١).
- ١٨- تطهير النواحي بترجمة العلامة إبراهيم الرياحي، إبراهيم الرياحي، طبعة المكتبة العتيقة، تونس (١٨٤١ م).
- ١٩- التمهيد لِمَا فِي الْمُوطَأِ مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَسَانِيدِ، أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري الأندلسي، وزارة الأوقاف الإسلامية المغربية، المغرب (١٩٦٧ م).
- ٢٠- تونس وجامع الزيتونة، محمد الخضر حُسين، دار النوادر، دمشق، بيروت، الكويت، تحقيق: علي الرضا الحسيني (٢٠١٠ م).
- ٢١- الجامع الصحيح سنن الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٢٢ - الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت (ط ٣) (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- ٢٣ - جمع الوسائل في شرح الشمائل، نور الدين الملا الهروي القاري، المطبعة الشرفية، طبع على نفقة مصطفى الباي الحلبي وإخوته.
- ٢٤ - جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر (١٩٦٢م).
- ٢٥ - خَلْقُ أفعال العباد والرُّدُّ على الجَهْمِيَّةِ وأصحاب التعطيل، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: فهد ابن سليمان الفهيد، دار الأطلس الخضراء (٢٠٠٥م).
- ٢٦ - دلائل النبوة، البيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٥هـ).
- ٢٧ - ذِكْرَى المَوْلِدِ النَّبَوِيِّ، رشيد رضا، دار النشر للجامعات (٢٠٠٩م).
- ٢٨ - الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، دار الحديث (٢٠٠٩م).
- ٢٩ - رَسَائِلُ الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي في تحقيق نَجاة أَبِي المصطفى ﷺ، جلال الدين السيوطي، تحقيق: حَسَنِينَ مَخْلُوف، القاهرة، مطبعة المدني (ط ٢) (١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م).
- ٣٠ - رَقْمُ الحُلُلِ في نَظْمِ الدُّوَلِ، ابن الخطيب، المطبعة العمومية، تونس (١٣١٦هـ).
- ٣١ - الروض الأنف، السهيلي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، القاهرة (٢٠٠٨م).
- ٣٢ - السُّبُلُ الجَلِيَّةُ في الآباءِ العَلِيَّةِ، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الأمين (١٩٩٢م).
- ٣٣ - السنة الشعرية في العصر الأموي، عمر الإمام، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة، المطبعة الرسمية، تونس (٢٠٠٨م).
- ٣٤ - سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- ٣٥ - سنن أبي داود، السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٤م).
- ٣٦ - سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الأزدي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر.
- ٣٧ - سنن الدارقطني، علي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، تحقيق: السيد عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت (١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م).
- ٣٨ - السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد (ط ١) (١٣٤٤هـ).
- ٣٩ - سير أعلام النبلاء، الذهبي، مؤسسة الرسالة (١٩٩٣م).
- ٤٠ - السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار المعرفة، بيروت (١٤٠٠هـ).
- ٤١ - السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون، علي بن برهان الدين الحلبي، دار النوادر، الكويت (٢٠١٣م).
- ٤٢ - السيرة النبوية والآثار المحمدية، أحمد زيني دحلان، طبعة مطابع الهيئة المصرية (١٢٨٥هـ).
- ٤٣ - السيرة النبوية، أبو محمد، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، طبعة مصطفى الباي الحلبي (ط ٢) (١٣٧٥هـ).

- ٤٤ - السيرة النبوية، لابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري أبو محمد، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل (١٤١١هـ).
- ٤٥ - شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٤٦ - شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، دمشق - بيروت (ط ٢) (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ٤٧ - شرح صحيح مسلم، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النُّوي، تحقيق: موفق مرعي، دار الفحاء للطباعة والنشر (٢٠١٠م).
- ٤٨ - شُعَبُ الإيمان، أحمد بن الحسين بن موسى البيهقي، تحقيق: مختار أحمد الندوي، عبد العليّ عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد (٢٠٠٣م).
- ٤٩ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، المكتبة التوفيقية.
- ٥٠ - الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية، محمد بن عيسى بن سورة الترمذي أبو عيسى، تحقيق: سيد عباس الجليمي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت (ط ١) (١٤١٢هـ).
- ٥١ - شيخ الإسلام محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الحبيب ابن الخوجة، (٣) أجزاء، طبعة وزارة الأوقاف (٢٠٠٤م).
- ٥٢ - الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، مُحَمَّدُ العزيز بن عاشور، دائرة المعارف التونسية (١٩٩٠م).
- ٥٣ - صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٥٤ - صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد محمد تامر، مؤسسة المختار، القاهرة (٢٠٠٣م).
- ٥٥ - صفحات من تاريخ تونس، تقديم: حمادي الساحلي، والجيلاني بن الحاج يحيى، دار الغرب الإسلامي (١٩٨٦م).
- ٥٦ - الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت (ط ١) (١٩٦٨م).
- ٥٧ - الطبقات الكبرى، ابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٧م).
- ٥٨ - عبقرية محمد، عباس محمود العقاد، المجموعة الكاملة، دار الكتاب المصري (١٩٩٤م).
- ٥٩ - على هامش السيرة، طه حسين، دار المعارف.
- ٦٠ - فتاوى الإمام الشاطبي، الشاطبي، جمعها وحقَّقها وقَدَّم لها: محمد أبو الأجنان (١٩٨٥م).
- ٦١ - فتاوى البُرزلي، البُرزلي، دراسة وتحقيق وفهرسة: محمد الحبيب هيلة، (٧) أجزاء، دار الغرب الإسلامي، بيروت (٢٠٠٢م).
- ٦٢ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، المطبعة السلفية، الروضة، مصر (ط ١، ٢).
- ٦٣ - فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، تحقيق: د. وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط ١) (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- ٦٤ - قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة (٢٠٠٤م).

- ٦٥ - كتاب الأعلام، الزركلي، طبعة بيروت (١٩٨٠ م).
- ٦٦ - كشف الدُّعرات بِوَصْفِ الشُّعرات، الفاضل بن الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ملحق بكتاب قصة المولد (١٩٧٢ م).
- ٦٧ - كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٩ م).
- ٦٨ - كيف نشأ احتفال المولد في بلاد الإسلام؟ الفاضل ابن عاشور، المجلة الزيتونية، مجلد (١)، عدد (٩)، سنة (١٣٥٦ هـ / ١٩٢٩ م).
- ٦٩ - لسان العرب، ابن منظور، دار الجيل، بيروت (١٩٨٨ م).
- ٧٠ - مَجَلَّةُ جوهر الإسلام، محمد الحبيب ابن الخوجة، عدد (٣ / ٤ / ١٩٦٧ م).
- ٧١ - محمد النبي الإنسان، جعفر ماجد، منشورات رحاب المعرفة، تونس (١٩٩٤ م).
- ٧٢ - محمد، توفيق الحكيم، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، مصر (١٩٨٤ م).
- ٧٣ - المُخَصَّص في اللغة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، تحقيق: إبراهيم خليل جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٩٩٦ م).
- ٧٤ - مسالك الخُنفاء في أبوي المصطفى، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ضمن كتاب الحاوي للفتاوى.
- ٧٥ - مُسامرات الظريف: محمد بن عثمان السنوسي، تحقيق: الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي (١٩٩٤ م).
- ٧٦ - المُستدرك على الصَّحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن حمدويه، المعروف بالحاكم، دار المعرفة، بيروت (١٩١٥ م).
- ٧٧ - مسند الإمام أحمد بن حنبل، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (ط ٢) (١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م).
- ٧٨ - مُسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن محمد الحنبلي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر (ط ٣).
- ٧٩ - المعجم الأوسط، الحافظ أبو القاسم، سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة المعارف، الرياض (ط ١) (١٩٨٥ م).
- ٨٠ - المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب، أبو القاسم الطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل (ط ٢) (١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م).
- ٨١ - المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، شمس الدين السَّخاوي، دار الكتاب العربي.
- ٨٢ - المقدمة، أو العبر، وديوان المبتدأ والخبر، في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: عبد السلام الشدادتي، الدار البيضاء (٢٠٠٥ م).
- ٨٣ - المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، أبو العباس القسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- ٨٤ - موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس الأصبحي، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة مصطفى البابي الحلبي (١٩٨٥ م).
- ٨٥ - الموطأ، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان (ط ١) (١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م).
- ٨٦ - نَشْرُ العَلَمَيْنِ المُنبئَيْنِ في إحياء الأبتوين الشَّريفَيْنِ، ضمن رسائل الإمام جلال الدين السيوطي، في نجاة والدي النبي.

- ٨٧ - نهاية الأرب في معرفة قبائل العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، مصر (ط ١) (١٩٥٩م).
- ٨٨ - الوزير الأكبر الشيخ يوسف جعيط: محمد الفاضل ابن عاشور، المجلة الزيتونية (ج ٢) مجلد (١٠)، تونس (١٩٥٥م).
- ٨٩ - وَقِيَات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت (١٩٧٢م).
- مؤلفات الطاهر ابن عاشور المعتمدة في التحقيق:**
- ١ - أَيْسَ الصُّحُبِ بِقَرِيبٍ؟ دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة (٢٠٠٧م).
- ٢ - التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (١٩٩٧م).
- ٣ - تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة، دار سحنون للنشر (٢٠٠٧م).
- ٤ - الشمائل المحمدية، المَجَلَّةُ الزيتونية، عدد (٩)، سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٢٩م).
- ٥ - فتاوى الشيخ العلامة محمد الطاهر ابن عاشور، دراسة وتحقيق: الدكتور محمد بوزغيب، الدار المتوسطة للنشر (٢٠١١م).
- ٦ - قصة المولد، طبعة الدار التونسية للنشر (١٩٧٢م).
- ٧ - كَشَفُ الْمُعْطَى من المعاني والألفاظ الواقعة في المُوَطَّأ، تحقيق: طه بن علي بوسريح، دار سحنون للنشر والتوزيع (٢٠٠٧م).
- ٨ - مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق: الميساوي، دار النفائس، الأردن (٢٠٠١م)، وتحقيق: الشيخ محمد الحبيب ابن الخوجة، طبعة وزارة الأوقاف القطرية (٢٠٠٤م).
- ٩ - المَقْصِدُ العَظِيمُ مِنَ الهِجْرَةِ، المجلة الزيتونية، العَدَدُ (٣) مِنَ المَجَلَّدِ (٣)، بتاريخ (محرم ١٣٥٨هـ / مارس ١٩٣١م).
- ١٠ - نَسَبُ الرَّسُولِ ﷺ، المَجَلَّةُ الزيتونية، عدد (٩)، سنة (١٣٥٦هـ / ١٩٢٩م).
- ١١ - وُفُودُ العَرَبِ فِي الحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ، الهِدَايَةُ فِي (٥) أَعْدَاد: (مارس ١٩٧٨م) (مايو ١٩٧٨م) (سبتمبر ١٩٧٨م) (نوفمبر ١٩٨٢م) (يناير ١٩٨٣م).
- ١٢ - الرسول والإرشاد، مجلة الهداية، في ثلاثة أعداد: (أكتوبر ١٩٧٣م) (أبريل ١٩٧٥م) (مارس ١٩٧٧م).
- ١٣ - الإِشْرَاءُ، مَجَلَّةُ الهِدَايَةِ (يوليو ١٩٧٥م).

### بعض المراجع الأجنبية:

- 1 - D. Combe, Les genres littéraires, Hachette, Paris, ( 1992 ).
- 2 - J. Majed, La presse littéraire en Tunisie, Publications de l'Université de Tunis, ( 1979 ).
- 3 - La vie de Muḥammad, La Prédication prophétique à La Mecque, Ed. Fayard, ( 2008 ).
- 4 - M. Zink, La subjectivité littéraire, éd. PUF, ( 1985 ).
- 5 - Y. Stalloni, Les genres littéraires, Dunod, Paris, ( 1997 ).

## نبذة عن المحقق

أ. د. نجم الدين خَلْفَ الله..

- أستاذٌ مُحَاضِرٌ، بِجامعة لُورَانِ الفَرَنسِيَّةِ، وبِمعهد العلوم السِياسِيَّةِ بِباريس.

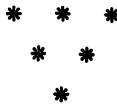
- مُتَخَصِّصٌ على شهادة الدكتوراه في اللُّغة والآداب والحضارة العَرَبِيَّةِ الإِسْلامِيَّةِ من مَعَهَد اللُّغات الشرقيَّةِ بِباريس.

- تتعلَّقُ أبحاثُهُ بنظريَّاتِ المَعْنَى في التراث العربي الإسلامي ( من بلاغة ونحوٍ وأصولِ فقهٍ )، ومناهج تفسير القرآن، وتاريخ الفقه الإسلامي، وتطوُّرات اللغة العربيَّةِ في مَجَالِ الاصطلاح القانوني. نَشَرَ العَدِيدَ من الكتب والمقالات بالفرنسية والإنجليزية حولَ نظريَّةِ المَعْنَى في التراث البلاغيِّ والتأويليِّ العربيِّ، إلى جانب إصداره عدَّةَ كُتُبٍ تعليمية في تدريس العربية لغير الناطقين بها.

- ويعود اهتمام الباحث نجم الدين خلف الله بالعلامة الطاهر ابن عاشور إلى مَرحلة إعداد أطروحة الدكتوراه التي تتناولُ نظريَّةَ المَعْنَى عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني، مؤسس علم البلاغة، ومُصنِّفاتها - ولا سيما الدلائل والأسرار - لِهَيِّ من المصادر الأساسية في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، وعليها مُعتمَدُهُ في بيانِ نَظْمِ الآيات وتناسقِ مَعَانِيها ونكتِ البلاغة فيها، كما خَصَّصَ الشيخُ ابنُ عاشور سلسلةً من الأمالي على دلائل الإعجاز، ( وهي ما تزال مخطوطة ونعتزم بحول الله نشرها ).

- ومنذ ذلك الحين والباحث عاكفٌ على كلِّ آثار ابن عاشور لبيان خصائص مدرسته التفسيرية والبلاغيَّة والكلامية، وما هي - في نظره - إلا امتدادٌ وتهذيبٌ وإعادة ابتكارٍ لتحقيقات الزمخشري والرازي والقرطبي وابن عطية، وكلهم من أساطين التفسير.

- و« قصة المولد » التي نَعَتَزُ بتقديمها اليوم هي باكورة هذه الأعمال والتحقيقات التي نعتزم إنجازها بِحَوْلِ الله.



### جمهورية مصر العربية

رقم الإيداع ٢٠١٥/١٤٩٦٩

I. S. B. N الترميم الدولي

978 - 977 - 717 - 252 - 3

### الجمهورية التونسية

I. S. B. N الترميم الدولي

978 - 9938 - 834 - 67 - 3